


دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الخامس ـ السنة التاسعة ـ ذو القعدة 1385 ـ مارس 1966

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة التاسعة
ذو القعدة 1385
مارس 1966
ثمن العدد درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط





دابت هذه المجلة ، منذ برزت للوجود ، وخرجت الى دنيا الناس ، في ان تكون اداة اتصال وثيق بين الكتاب والقراء ، وملتقى الاقلام الموهوبة ، والطبقة المثقفة ، التي تمتاز بالبحوث الناضجة ، والاسلوب الشريف الممتع ، والمعرفة الدقيقة ، والنقد الادبي التكاملي الذي يصحح المفاهيم ، ويصقل الاذواق ، ويتجنب الشطط والاعتساف في الاحكام .

ولقد كان هدفها – وما يزال – هو خلق نهضة قوية متحررة ، تحرك الفكر، وتشغل الناس، وتهز رواكد النفوس ، وتوجه ناشئتنا الصاعدة الى الانتاج الاصيل ، والابداع الشامل ، لتستطيع مجاراة الحياة، والتجاوب معها ، والتمكن من الاطلاع على اوجه الرأي في مختلف زواياه ، مما يجعلها ارحب فكرا ، واحد نظرا ، واوسع ثقافة .

وهكذا فسحت المجلة صدرها لكل تحليل واع ، ونقد مقوم ، يستهدف استجلاء طريق الحق ويتغيى اقامة ما انحرف عن الحقيقة العلمية ، وجافى الذوق الادبي الرفيع .

فالحركة الفكرية والادبية لا يمكن ان تتطور في ضوء الدراسات المنهجية ، حسب الاصول والمقاييس الجديدة ، الا اذا وجدت من رجال الفكر والادب ، الذين يغرفون من حوض الثقافات العالمية ، ويلقحون بها ثقافتنا العربية ، كل عمل مفيد ينطلق بنا الى آفاق التطور والنماء ، ويساعد على حركة البعث والاحياء .

وما « العدد الماضي في الميزان » الذي اعتادت مجلتنا منذ نشاتها ادراجه لتقويم مواضيع العدد السابق ، ووزنها بالقسطاس المستقيم ، الا مساهمة منها في بعث الحيوية الادبية ، والنشاط الفكري ، على صعيد الاراء المختلفة ، وربط الاتصال بين الكتاب والمثقفين ، وخلق حركة ثقافية تخرج بنا من الضمور الفكري ، والجمود العقلي الى رحاب المناقشة الحية التي تنبض بالمودة والاخاء ..

بصيرا مخلصا لرسالة الثقافة والفكر ، ينظر الى النص العلمي ، أو الادبي ببصيرة نافذة ، ليصدر احكام القاضي النزيه .

فالنقد وان كان عملا دقيقا لا ينهض به الا من تكاملت له الاسباب ، وتوفرت لديه الوسائل ، واوتي ملكة فنية تؤهله للقيام بدراسة النص الموزون ، فهو الى ذلك يعوزه الذوق السليم لتعزيز ذلك التكامل ويتضامن معه لاثارة المشكل في النص الادبي او العلمي المرتكزة على شمول التفكير وبعد النظر .

والمجلة اذا تكلف ناقدا لوزن العدد الماضي لا يكون من غرضها ان تثير بين كتابها وادبائها حربا عوانا تحتد من سليط القول ، او تريدها معارك ضارية سلبية ، تبعث الاحقاد الدفينة ، والسخائم الملفوفة ، ولكنها تسعى بهذه الطريقة النزيهة في النقد والتقويم الى استدامة الحركة الفكرية والادبية في بلادنا وبعث عناصر الحيوية وقوة الوجود والاستمرار في ذهنية رجال الادب عن طريق الاتصال بين القراء والكتاب وشد عزائمهم للنهوض بالبلاد من الناحية الفكرية والادبية والثقافية في شتى مجالاتها ومختلف ميادينها .

ونحن لا نفتا نرحب بالنقد البناء ، والمناقشة الهادفة ، ونسعى جاهدين لاستخلاص الحقيقة المتوخاة ، كما نرجو من حملة الاقلام في هذه البلاد ورجال الفكر فيها ، ان لا يضيق عطنهم في مضمار الاخذ والرد ، والمطارحة والحوار ، بل نريد ان يمتد افقهم ، ويرحب صدرهم ، لتحمل الوان النقد الذي يخلو ـ طبعا ـ من التلويح والتجريح، او الشعور بالصلف والاستعلاء .

وليس الادب ـ كما قال صديقنا الاستاذ عبد المجيد بن جلون ـ الا هذه الواحة الوارفة الهادئة ، التي يصفو فيها الفهم ، ويتألق الادراك ، ويتوهج الفكر ، ويستريح فيها القارىء بعد العناء الذي يلقاه في الصحف السياسية ، على مبعدة من المهاترة والتشكيك والصراخ ، وعلى مقربة من التوادد والامان والهمس . »

وبهذا نسير باستمرار في اعلاء صرح سامق للعربية وآدابها جديرا بان يبقى خالدا كما بقيت صروح الادب القديم الى جانب ادب حديث مستكمل للاصالة ، مواكب للتيارات الحديثة ، مساير لروح العصر الجديد .

دعوة الحق

دراسات اسلامية



« الثقافة جيش غير منظـور .. »

حكمة بالغة ، وقولة حـق من كـان لايزال من صدقها فى شك فلا يقرأ هذا المقال ، لانه لن يخـرج منه بطائل ! ذلكم ان الثقافة الصحيحة قوة ، وحصانة، بالنسبة للامة المثقفة ، كما ان جيشها هو لها كذلك . . . والامة الاسلامية التي تتطلع الى حياة افضل فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لن يتاتى لها ذلك الا اذا كانت لديها ثقافة منهجية منظمة ، قادرة بما تتوفر عليه من أسباب النضج والحيوية ان تاخـذ مكانتها بين الثقافات العالمية المختلفة ، وان تتصـارع معها على نفس المستوى ؛ وان يكون لديها من اسبـاب القوة والمناعة ما تـستطيع به المحافظة على بقائها ان لم يكن فى استطاعتها ان تحتل مكان السيادة من الثقافات الاخـرى .

وان الناس فى العالم الاسلامـي من أقصاه الى اقصاه ليتحدثون كما يتحدث غيرهم فى مختلف انحاء العالم الحديث عـن العدالـة والمساواة والحـرية والديمقراطية ، ويتلهفون على يوم يرون فيه سلامـا وامنا وطمانينة وعافية اجتماعية ينعم فى ظلالها كـل فرد ، وكل أسرة ، وكل مجتمع ، بل تنعم بها الانسانية كلهـا . . .

وتلكم بالضبط هي رسالـة الاسلام في أنقـى صورها « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

وذلكم على التدقيق هو القصد من بعثة الرسول عليه السلام كما هي وكما فهمها المسلمون الاوائل : « ان الله بعث محمدا هاديا . . . ولم يبعثه جابيا » .

وقد دللت فى الشق الاول من هذا المقال المنشور بالعدد الاول (نونبر 1965) من هذه المجلة وبمـا لايدع مجالا للتشكك على القيم المثالية التي لاتزاحـم، والاهداف الانسانية السامية ، والغايـات التربويـة النموذجية التي تستشف من خلال الثقافة الاسلامية باعتبارها الاساس الذي انبنى عليـه ماضي العالـم الاسلامي أيام مجده وتفوقه ، ونقطة الانطلاق التي من تصحيح اوضاعها الحالية يجب ان تقدح الشرارة الاولى لكي تنير المشعل وتتبين الطريق نحو حاضر أمثـل وغـد افضـل .

ولكي تتضح خطواتنا معا اعود فأقول : ان عالمنا الاسلامي يعاني ما يعانيه من التخلف والانهزام ، وهو اذ يستهدف الانطلاق نحو المستقبل السعيد لابد مـن أن يبدا من « الثقافة » باعتبارها ذلك الجيش غيـر المنظور الذي منها سيستمد ـ كما تستمد امم العالـم جميعها ـ أسباب الحياة والتطور والازدهـار . . . والثقافة الاسلامية كوسيلة للتربية غنيـة بكـل ذلك ، ولكن : هل الطرق المتبعة فى تلقين هذه الثقافة حاليا كفيلة بتحقيق هاتيك الغاية ؟ او بعبارة اخرى: ما هو حظ الثقافة الاسلامية فى الوقت الراهن مـن الاستفادة من الطرق المنهجية سواء بالنسبة لتلقينها، او لنشرها واذاعتها ؟

ان هذا السؤال المحدد يشغل بالي فى الحـاح، وهو الذي دفعني الى الاهتمام بالثقافـة الاسلامية ، والكتابة عنها فى هذه المجلة الغيورة ، وهـو فى رأيـي يجب ان يشغل بـال مفكرينـا وعلمائنـا وساستنا ومصلحينا بل وجمهور العالم الاسلامي ، لان الثقافـة بدون منهج فراغ فى فراغ ، ولان الثقافة بدون مخطط هي الام الشرعية للفوضى العقلية والبلبلة الفكـرية ، وخير منها فى رايي البقاء على الفطرة فى رحاب الامية !.

وثقافتنا الاسلامية بوضعها الراهن ثقافة مشلولة لا لانها بطبيعتها كذلك ؛ بل لان غيرها من الثقافـات

المعاصرة تتهيأ له من الاسباب والظروف ما لايتهيأ لها، فتبقى هي في اذهان الكثيرين – وخاصة من شبابنا الذي لم يكشف له الغطاء عن المفاهيم والقيم الحقيقية للثقافة الاسلامية ، بينما تصبحه وتماسيه الثقافات الاجنبية بكل زخارفها ومساحيقها – ثقافة لاتستحق ان تسمى ثقافة ، لانها في رأيهم مجرد افكار وتظريات قديمة ان عاشت زمنا في القرون الوسطى فلن تصلح للعصر الحديث ، عصر التقدم الصناعي والتطور الآلي؛ عصر الذرة والصاروخ وغزو القمر ، عصر الاشتراكية العمالية لا اشتراكية « الزكاة » او « اشتراكية الصدقة والتسول ! » عصر العلم والعمل لا عصر التوكل والكسل ! عصر المادية لا عصر الميتافيزيقية ! عصر « مشكلة الخبز وتضخم السكان » لا عصر « جوعوا تصحوا » أو عصر « للصائم فرحتان ... » !

وشباب هذه فكرة معظمه عن الاسلام ، وهذه بضاعته من الثقافة الاسلامية ، ضمن جمهور من المسلمين معظمه أمي .. فقير .. غير متصنع .. تتفشى فيه البطالة .. تلقى افكاره عن الاسلام والايمان بالوراثة خلفا عن سلف .. هل يرجى من هذا الجمهور وذلك الشباب ان يعكس فكرة – ولو واحدة صحيحة عن الاسلام الحق باعتباره دينا ونظاما سواء داخل العالم الاسلامي أو خارجه ؟ وبالتالي هل حال من هذه حاله تبشر – ان استمر في هذا الاتجاه – بالحاضر المتالق او الغد الافضل ؛ قطعا لا .

واذن : فمن المسؤول عن هذا الوضع السيء المجتمع الاسلامي ، وعن هذه الافكار المقلوبة عن الاسلام وثقافته ؛ هل هو طبيعة هاتيك الثقافة ؟ الجواب قطعا لا ؛ لان الثقافة الاسلامية – كما دللت على ذلك في مقالي السابق هي المثل الاعلى والنموذج الاسمى لتربية الافراد والجماعات والامم والشعوب، وضمان حياة العزة والكرامة والرفاهية واليمن والرخاء والسلام لنا ولهم سواء في العاجلة والآجلة بشهادة المنصفين حتى من غير ابناء الامة الاسلامية ..

واذن فمن المسؤول عن هذا الوضع الشاذ لثقافتنا الاسلامية ؟

ان المسؤول الرئيسي في رايي هو جميع المتصدين لهذه الثقافة والمشتغلين بها من اساتذة ، وخطباء مساجد ، ووعاظ ، وزعماء اسلاميين ، ومتكلمين باسمها في الندوات والمؤتمرين ، وذلك لانهم في رايي جميعا متضامنون متواطئون في السكوت على ما يعوق الثقافة الاسلامية من انحراف في اداء رسالتها نحو جمهور المسلمين ، هذا الانحراف الذي اصابها ويصيبها من عدم نقد الطرق العقيمة التي تقدم بواسطتها هذه الثقافة الى الجمهور ، وعدم المناداة بوجوب الاتفاق على منهج علمي واضح يكون جميع المتصدين لهذه الثقافة ملزمين باتباعه اثناء العمل ؛ تماما كما هو الشان في مختلف الوان الثقافات الحية المعاصرة من رياضية وطبيعية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية ؛ حيث يوجد لكل منها منهاج خاص ، ذو اسس علمية قائمة على الاستنباط والاستقراء بواسطة الملاحظة والتجربة ، ويكون جميع المتصدين لفرع من هذه الفروع الثقافية ملزما بالسير وفقا لذلك المنهاج وتتبع خطواته ، والا كان عمله غير مضمون النتائج ولا محمود العواقب «1» .

واعترف ان نقد الطرق المتبعة في تلقين ثقافتنا الاسلامية ، واقتراح منهاج علمي متكامل يقوم على انقاض هاتيك الطرق ؛ شيئان عظيمان ، وامران جسيمان ، هما في حاجة الى اقامة الندوات والمؤتمرات لمناقشتهما والاتفاق على راي نهائي فيهما ... ولكن حسبي من هذا المقال ان اثير المشكلة وانبه الاذهان اليها ، وان ادلي برايي المتواضع فيها مضغوطا مختصرا ، على هذا يدفع الغيورين الى الاهتمام بها جملة وتفصيلا ، فيهيئوا الظروف اللائقة والجو المناسب لمناقشتها على المستوى الذي يليق بموضوع يتوقف عليه حاضر المسلمين ومستقبلهم .

اما قبل : فما هو الحال الذي توجد عليه ثقافتنا الاسلامية في الوقت الراهن ؟ وما هي طرق الاصلاح ؟.

واسارع فأقول قبل التصدي للاجابة على هذين السؤالين : ان استقراء هذا الموضوع بالنسبة لجميع الاقطار الاسلامية مستحيل على الاقل بالنسبة لي؛ لاسيما وأن مناطق من العالم الاسلامي تشع منها اشعاعات للثقافة الاسلامية جد متالقة كالازهر بالجمهورية العربية المتحدة الذي لايجارى في هذا المضمار مثلا ... ولهذا فساكون مضطرا الى الاقتصار على حال الثقافة الاسلامية بمغربنا العزيز فقط ، واقتراح ما اراه حسب اجتهادي الشخصي كفيلا بالاصلاح وتقويم الاعوجاج ...

«1» راجع كتاب « المنطق الحديث ومناهج البحث » للدكتور محمود قاسم نشر مكتبة الانجلو المصرية ، فهو يلقي اضواء مهمة جدا على هذا الموضوع)

1) اول رسول من رسل التوعية بالثقافة الاسلامية في رايي بالمغرب هو « خطيب الجمعة » ... فصلاة الجمعة هي الفرصة الاسبوعية الوحيدة التي تجمع جماهير المسلمين والآباء — وحتى كثير من السيدات والامهات — على صعيد واحد ، يسوقهم الى رحاب المساجد فيها ايمانهم بوجوب ادائها والسعي عند اذان المؤذن اليها ، وكونها فرض عين على كل مكلف قادر وليست بدلا من الظهر ، وهم يستعدون لها بما يستعدون به من التطهر والتطيب والتزين ؛ ويسعون لها وهم فرحون بنعمة الاسلام والايمان، مستشعرون قداسة هذا اليوم من ايام الاسبوع ، الامر الذي يكونون معه مهيئين نفسيا لتقبل كل خير وكل هدي وكل فضيلة وكل ما يعود عليهم شخصيا وعلى اسرهم ومجتمعهم بل والانسانية جمعاء بالسعادة والفلاح ... فماذا تكون النتيجة ؟

انهم يجدون — في الاعم الاغلب — خطيبا محدود الثقافة سطحيها ؛ لايكاد يلم بشيء من شؤون الناس والحياة في عصرنا الحاضر — غير مستشعر بما يعتلج في صدور المسلمين اليوم من هموم واهتمامات ، وليست له اية خبرة من قريب او بعيد بنفسية الجماهير ونوازعها ، ولا بكيفية استمالتها والتأثير فيها ، كل مقومات الخطبة في نظره وحسبما تلقاه ماجدا عن ماجد ان تبتدأ بالتحميد والتمجيد والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان تشتمل على بعض الآي والاحاديث وتختتم بالدعاء الصالح لجمهور المسلمين وللامام ... اما الموضوع والدقة في اختياره، واما الاسلوب والحرص على تبسيطه حتى ولو اقتضى الحال ان يكون بالعامية في بعض الاحياء والمناطق التي لايفقه معظمها من اللغة العربية شيئا ، واما عن الخطابة كفن له اصوله وقواعده التي عليها يقوم كالالمام بنفسية الجماهير والطرق التي يجب أن تسلك لاقناعها والتأثير فيها ، وكالاعتناء بالالقاء الذي يلعب دورا خطيرا في استجلاب المستمعين واستمالتهم والاستحواذ عليهم.. فانا شخصيا لا اجد من ذلك — واقول مرة اخرى في الاعم الاغلب — شيئا .

وبناء عليه فاذا أردنا لجمهور المسلمين ان يحسنوا الاستفادة من الارشاد والتوجيه والتوعية والتثقيف بواسطة « خطب الجمعة » التي تلعب اخطر دور في السواد الاعظم من المسلمين بالمغرب فيجب علينا ان تولي « اختيار خطباء المسلمين » من طرف المسؤولين عناية خاصة ، بل ان تعلن الدولة التعبئة العامة في هذا المجال فتستنفر للقيام بهذه المامورية الخطيرة كل شخص تبثت جدارته لها ولو بالاكراه ان اقتضى الحال لان من كتم علما الجمه الله بلجام من نار كما يروي الرسول عليه السلام .

كما ارى ان من الواجب ان تعقد لخطباء المساجد بالمغرب دورات تدريبية وتثقيفية يزودون فيها بمبادىء علم النفس الجماهيري ، وباصول الخطابة وقواعدها وبفن الالقاء واساليبه ، وبنظرات شاملة متكاملة عن رسالة الاسلام الحقيقية ، وعن اصول الترغيب والترهيب فيه ، وعن المشاكل التي يعانيها الاسلام والمسلمون وكيفية عرضها ، وعن الحلول الممكنة لمعالجتها ، وان ينبهوا الى ان الاسلام هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ، وانه ليس فقط — كما يصوره معظمهم — نارا تلظى ، وحميما وغسلينا ، وسوط عذاب ! وانهم بالادمان على خطتهم الاخيرة هذه انما يدفعون السواد الغالب من المسلمين الى اليأس ؛ وانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون .. الخاسرون.

هذا : واذا اضفنا الى ما تقدم أن بعض خطبائنا نادى على المنبر جهارا نهارا بالويل والثبور وعظائم الامور لكل من يجرأ على القول بامكانية « غزو الفضاء ، واختراق السماء » في وقت كانت فيه « لايكا » الحيوان الاعجم قد مضت عليها ايام واسابيع وقد غزت فعلا الفضاء واخترقت السماء ، وان بعضهم قد قرأ فيما قرأ من احاديث ان « شر الاماكن الاسواق » وان « اول من يدخل الجنة الفقراء وآخر من يدخلها الاغنياء » فمضى في خطبته يذم الاسواق واقتحامها، ويمجد الفقر وينفر من الغنى ، جاهلا سيادته وغافلا في نفس الوقت عن أن المقصود من الحديثين — ان صحا — ذم اخلاق بعض أهل الاسواق من غش وتدليس وتعامل بالربا والحظ على تجنبها ، وان المقصود من الحديث الثاني التنبيه ليوم الحساب حيث يكون للغني ما يحاسب عليه من مال فيسأله الحق سبحانه عن ماله : من اين اكتسبه ، وفيما انفقه لا ذم المال الذي هو من ضروريات الحياة في نظر الاسلام ... اذا اضفنا الى كل ذلك الذي تقدم هذا النوع من الخطباء الذين يقومون بدورهم معكوسا ، ويؤدون رسالتهم في جمهور المسلمين مقلوبة ، عرفنا في اية هوة سحيقة يتردى وعي المسلمين عن طريق خطبة الجمعة بالاسلام ورسالته ، وعرفنا ايضا في اي طريق منحرف يسار بالمسلمين بواسطة هدي وثقافة كهذه ليست في الحقيقة من هديه وثقافته .

على أن الانصاف يقتضيني أن اقول : ان ما يتقاضاه خطباؤنا من التعويض المادي لقيامهم بهذا

العمل يستلزم اعادة النظر فيه اذا اردنا ان يتقدم الميدان خيرة المثقفين، وان تنهض به النهوض المطلوب

2) ويأتي بعد ذلك في نظري وسائل التثقيف الجماهيري المختلفة، واخص منها: الاذاعة والتلفزة والصحافة فما يقدم في الاذاعة من برامج للثقافة الاسلامية يجب ان يتحمل مسؤوليته مختصون في هذه الدراسات منتدبون له ان لم يمكن أن يكونوا متفرغين، وان توضع له اهداف واضحة تتفق واهتمامات المغرب بوصفه قطرا اسلاميا ذا مركز خاص يمكن ان يقوم بدور عظيم وفعال في خدمة القضايا الاسلامية بوجه عام والاسلامية الافريقية بوجه خاص ... كما يجب ان تعطى عناية خاصة بأسلوب العرض، واللغة المبسطة، وضبط الاماكن والاعلام، وان ينتدب للقيام بهذه المهمة مذيعون ذوو ثقافة عربية واسلامية تعصمهم من الزلل الذي كثيرا ما يلاحظ بصورة مثيرة جدا في هذا المضمار.

ومثل ذلك يقال في التلفزة ايضا، مضافا الى كل ذلك ان الاوقات المخصصة حاليا لهذا الموضوع غير كافية، وانه افضل بكثير ان نعرض على جمهور المستمعين والنظارة مختلف المواقف البطولية والانسانية التي يغنى بها تاريخ الاسلام والمسلمين من ان نعرض عليهم التمثيليات التي يكثر فيها القتل والمكر والاحتيال؛ اذ في ذلك تربية للعقل والشعور والذوق وتوجيه نحو الحق والخير والفضيلة والجمال بينما على العكس من ذلك هذا النوع الاخير الذي هو باختصار: سم قتال.

وأما الصحافة المغربية فلعمري انها مقصرة في هذا الباب على الرغم من تلك النوبة التي تعتري بعضها خلال شهر رمضان المعظم، وليس ادل على ذلك من اننا نراها تخصص للادب والرياضة وغيرها اعدادا من الاسبوع خاصة بينما لاتخصص للقضايا الاسلامية والثقافة الاسلامية شيئا اللهم الا الحديث العابر يظهر في هذه الصحيفة او تلك بين الفينة والاخرى.

على ان الانصاف يقتضي ان اذكر بالتمجيد في هذا الباب صحيفة أبلت البلاء الحسن وجاهدت جهاد الابطال تلكم هي صحيفة «الميثاق» التي كان يصدرها الاستاذ العلامة المصلح السيد عبد الله كنون باسم رابطة العلماء في المغرب، والذي بذل في سبيلها استاذنا الجليل هذا — ومعه زملاء له آمنوا بربهم فزادهم هدى — انفس النفيس واغلى الغالي ... ولكنها مع الاسف الشديد اضطرت الى التوقف عن الصدور !!.

ورجاؤنا الا يكون نفس المصير في انتظار مجلة «الايمان» التي يصدرها الاستاذ الجليل السيد ابو بكر القادري والاستاذ الجليل السيد الحسن السائح، هاته المجلة التي تغني جمهرة المثقفين بأبحاثها القيمة وبنظراتها المتكاملة في الثقافة والتوجيه الاسلاميين. والتي جاءت النذر منذ شهور بأنها ربما اضطرت الى التوقف بسبب العجز المادي ! !.

وغني عن التنويه ما لمجلتنا هذه «دعوة الحق» من جهاد في هذا الصدد .. حياها الله، وبارك في جهود القائمين عليها والعاملين بها، وادام لهم التوفيق وهداهم الى سواء السبيل

3) وفي ميدان تلقين الثقافة الاسلامية عن طريق التعليم والتدريس نلاحظ:

اولا — بالنسبة للتعليم الثانوي: تسند مادة التربية الاسلامية الى نفس المدرسين والاساتذة الذين يقومون بتلقين التلاميذ مختلف مواد العربية ولو لم تكن لهم دراية بالثقافة الاسلامية من قريب او بعيد، مع انه في الشرق الاسلامي يمنع اسناد تدريس هذه المادة لغير المختصين فيها.

ثانيا — يتجه الآن الى توحيد مناهج التعليم في مختلف الثانويات المغربية، وهذا من جهة سيطعم المواد التي تعطى بالثانويات الاسلامية اصلا بمواد حديثة كمادة العلوم والهندسة واللغات الحية وما اليها، ولكنه في نفس الوقت سيشجع الغالبية من حملة البكالوريا المغربية على الدخول الى الكليات غير المختصة بالدراسات الاسلامية ما دام خريجوها يجدون من المجالات والاهتمام ما لا يجده خريجو الكليات الاسلامية — ان صح هذا التعبير — ولهذا فانني احبذ توحيد المناهج هذا وتطعيمها بالمواد الحية بشرط ان يكون خريجوا الكليات المختصة بالدراسات الاسلامية متمتعين بنفس الحقوق والمجالات التي يتمتع بها خريجو الكليات الاخرى: بل ربما اقتضى الحال ان تكون لهم ميزات اضافية تشجيعا للشباب على التخصص في هذا الميدان الذي يعصف الشعور بالغربة والوحدة والاعتزال بعواطف أبنائه والمنتمين اليه، فيدفعهم ذلك الى نكران انفسهم، وبالتالي الى الياس من كل اصلاح، والاستماتة في سبيل ترك هذا الاتجاه اساسا، اللهم الا من ندر، والنادر — كما يقولون — لا حكم له.

ثالثا — وبالنسبة للتعليم الجامعي والعالي: لايزال يلاحظ على معظم الذين يقومون بأعبائه عدم التقيد

بمنهاج علمي خاص عند التلقين ؛ فالاستاذ يبتـــديء درسه حسبما اتفق ، وينتهي فيه ايضا حسبما اتفق، والدرس في القالب معلومات تلقـــى لا مهارات يدرب عليها الطلاب ولا ملكات تفتق ، وكل العمل يقوم بـــه الاستاذ ؛ اما الطلبة فدورهم الانصات في حيـــن ان التعليم العالي عموما يقوم على تدريب الطلاب وتمرينهم على البحث ووسائله ؛ والمراجـــع ومظانها ؛ او هـــو باختصار تكوين للملكات وتفجير للعبقريات من الداخل، لا حشو للذهن وملء له من الخارج ...

يضاف الى ذلك غرام بالشكليات كثير ، وتعلـق بالجزئيات وبالتفاصـيل بل وحتى بالصور المتخيلـــة غير الممكنة الوقوع ؛ الامر الذي يقطع الصلة بين هـــذه الدراسات ـ احيانا ـ وبين الحيـــاة المعاشة في وقت تتجه فيه مدارس للتربية راقية الى عدم تدريس اي شيء الا اذا كان قابلا للتطبيق فعلا ! اي الا اذا كـــان وثيق الصلة بالحياة .

وبديهي ان اصلاح هذه الدراسات يكون عـــن طريق تجنب هذه العيوب التي ذكرتها ، والتي يوجـد مع كل عيب منـــه ما يقابلـــه .

هذا : واذا اردنا ان نفتح الآفاق المديدة أمـــام الثقافة الاسلامية عمـــوما في مختلـــف مستوياتهـــا ومجالاتها وجب علينا تنشيط وسائل الملاحة العقليـــة الى كل ما يقوم العقل وينشط الفكـــر ؛ الى مختلف الثقافات المعاصرة عن طريـــق تعلـم اللغات الاجنبية والاهتمام بالتيارات الفكرية الحديثة لا لكي تكون نسخة من معتنقيها والمتمذهبين بها بل لناخذ منها لثقافتنـــا الاسلامية خير ما فيها من جهة ، ولنتسلح بمعرفـــة ما فيها من عيوب ومثالب ضد المتحاملين على ثقافتنـــا المتعصبين لغيرها من الثقافات فنناقشهم عـــن علـــم ونجادلهم عن معرفـــة .

وبعد : فهذا رأيي ... ارجو مخلصا ان يفهـــم الجميع انني ما اردت به الا النقد النزيه الهادئ البناء، وانني لم اقصد التعريض او التلميح لاي من هـــذا او ذاك، وانني ما اردت به الا الاصلاح، واصلاح حال جمهورنا المسلم من طريق اصلاح دواليب ثقافته الاسلاميـــة ، ولنا قبل هذا وبعده أعظم الآمال في أن تحظى جامعة القرويين العتيدة ، ودار الحديث الحسنية من جلالـــة ملكنا المسلم العظيم والمومن الكريم الحسن الثاني أمير المؤمنين حامي حمى الملة والدين ، ومـــن المسؤولين ، بما تستطيعان به ان تقوما بدورهما خير قيـــام ، وان تكونا مشعلا لهذه الثقافة العتيدة يشع على المغاربـــة جميعا بل المسلمين في كـــل انحاء المعمور ، التوجيـــه الصحيح الصالح نحو الخير والسعادة والنـــور .

الرباط ـ محمد عبد الواحـد بناني

الغيبـــة والنميمـــة

مر ببرقة بن مصقلة رجل زاهد غليظ الرقبـــة ، فقـــال :

ـ هذا رجل زاهـــد ، والعلامات فيه بخلاف ذلـــك .

فقال له الرجل : « كلمه بذلك اصلحك الله لئلا تكون غيبة !

فقـــال . كلمـــه أنـــت حتـــى تـــكـــون نميمـــة .

أهم الفوارق الأساسية بين الإسلام والمسيحية

للشيخ الأستاذ أحمد التيجاني

تعاقبت الاجيال فى هذه الحياة كل امة يحدوها نبى ينير لها طريق الخير والرشاد . ويحذرها عواقب الزيغ والفساد « وان من امة الا خلا فيها نذير » الى ان جاءت نوبة الاسلام فطلع على الوجود حاملا لرسالة عامة يمتد ظلها على الابيض والاسود والاحمر والاصفر : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » — « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » — « وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » (عن سعيد بن جبير أن من بلغه القرآن فقد راى محمدا) وكون الرسالة بهذه الصفة شاملة عاملة يقتضي طبعا ان لها من المؤهلات والخواص ما يضمن لها البقاء ، ويمكنها من الانتشار تحقيقا لمعنى عمومها ولظهور الدين الذي جاءت به على سائر الاديان : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . وتلك المؤهلات عند من يتدبر ويتأمل انما هي « العمل » مصداق ذلك ان القرآن جعله على حد تعبير النحاة « المبتدأ والخبر » لوجود الانسان فى هذه الحياة : جعله المبتدأ حيث اعتبره علة الدخول من أول الامر : « وهو الذي خلق السماوات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا » — « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا » .

وجعله الخبر حيث قال عند الدخول فى الدار الباقية : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها ، وفتحت ابوابها ، وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، واورثنا الارض (أرض الجنة) نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » وبين هذين القطبين قطب الدخول للدنيا وقطب الخروج منها والدخول للجنة ترى الآيات المحكمات تتسابق وتتلاحق بين مختلف السور كأمواج البحر ، ما بين طارد ومطرود كلها فى الاشادة بالعمل وتكرير الوعد بالجزاء عليه : « وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » — « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (يا ما اجدر هذه الآية بان تكتب فى محفظة وتعلق فى غرفة نوم كل مسلم) « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء، تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا » — « يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » — ومن لوازم كون الانسان خلق للعمل ان العمل يمحصه الابتلاء والامتحان : « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » — « ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » — « ام حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة » — هذه الآية فى حق المنافقين الذين يتربصون بالمؤمنين فان كان لهم فتح من الله قالوا لهم : الم نكن معكم ؟ — وان كان للكافرين نصيب قالوا لهم : الم نكن معكم ونمنعكم من المؤمنين — جعلوا لانفسهم وليجة (خراجة باللغة الدارجة) يلجون منها تارة على هؤلاء ، وتارة على هؤلاء على ما تقتضيه المصلحة — « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » — « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم » .

على قدر ما جاء من الآيات فى الاشادة بالعمل والامتحان فيه جاءت آيات تثبت وتقرر بان العمل يترتب

عليه اثره ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ــ « فمن **يعمل** مثقال ذرة خيرا يره ومن **يعمل** مثقال ذرة شرا يره » ــ « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » ــ « يوم تجد كل نفس ما **عملت** من خير محضرا ، وما **عملت** من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا » ــ « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا **أعمالهم** » ــ « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها » ــ يا ما ابدع واروع قوله عليه الصلاة والسلام اغتباطا بهذه الآية : ويل لمن غلبت آحاده على اعشاره ، نعم . اليس من الغبن ان تحبط سيئة واحدة عشر حسنات ! ويقرب منه قول الاصفهاني صاحب كتاب أطباق الذهب : « اليس من الغبن جزار يأكل لحم الميت . ومكي لا يزور البيت » ، وزيادة فى تقرير وتأكيد كون العمل يترتب عليه اثره سجل عليه سبحانه وهو ذو الجود والطول بان قطع به الوعد على نفسه ووعده كما هو معلوم لا يخلف : « ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم » ــ « اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما **عملوا** ويتجاوز عن سيآتهم فى اصحاب الجنة ، **وعد الصدق** الذي كانوا يوعدون » ــ « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر **العاملين** » ولرفع كل شبهة وسدا لباب كل احتمال شاءت رحمته وهو من الارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ان اذن للعبد المخلوق من ماء مهين ان يستنجزه **وعده** كما نسمع صداه فى سورة الاعراف : « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما **وعدنا** ربنا حقا ، فهل وجدتم ما **وعد** ربكم حقا ؟ قالوا نعم » ــ وقال : « ربنا وآتنا ما **وعدتنا** على رسلك ... » ــ « قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ، لهم فيها ما يشاءون خالدين **كان على ربك وعدا مسؤولا** » ولهذا تكرر كذلك الندم من العبد على التفريط فى **العمل** فى حياته : « كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** » « واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين ، بلى قد جاءتك آياتي » هيهات وان يستعتبوا فما هم من المعتبين. « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني » ــ « وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » ــ

« ولو ترى اذ فزعوا ، فلا فوت ، واخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به ، وانى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفروا به من قبل » . ان لاحظ علينا ملاحظ بان من الاعمال ما هو مقبول وما هو غير مقبول اجبناه بان الحكم فى هذا للميزان : « والوزن يومئذ الحق. فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » ــ « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » ــ « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فاذا كان العمل لا ينفع فلماذا الحسرة يوم يقوم الناس لرب العالمين على التفريط فيه فى الحياة « حتى اذا جاء احدهم الموت ! قال : رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، كلا ، انها كلمة هو قائلها » تذهب ادراج الرياح تعتبر لغوا لا يعبأ به . « ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله. او تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين » ــ « ياليتني قدمت لحياتي » ــ يستخلص مما اسلفنا أن القرآن جعل العمل لحمته وسداه ، ووشى به السور بمختلف التعابير والاساليب .

من معين هذا الكوثر المتدفق سقى عليه السلام أمته وأدبها بما أدبه به ربه الذي أحسن تاديبه حيث قال: « اليوم الرهان وغدا السباق والجائزة الجنة » ــ الايمان والعمل اخوان ، شريكان فى قرن لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه ــ الطاعم النائم فى الجهاد افضل عند الله من الصائم النائم فى سواه ــ لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم ــ وقوف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر امام الحجر الاسود ، وجاء فى الحديث القدسي : « دخل رجل الجنة فرآى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فما باله فوق درجتي فيقول سبحانه: « هو عبدك جزيته بعمله وجزيتك بعملك» نعم بقي ان يقال من سوء الادب مع الله ان يقول الانسان « ادخل الجنة بعملي» ولكن يقول: « ادخل الجنة تصديقا بوعد الله وايمانا به » المسالة مسالة تعبير ، الحمد لله الذي **صدقنا وعده** واورثنا الارض (ارض الجنة) نتبوا من الجنة حيث نشاء **فنعم اجر العاملين** . ويتجاوز عن سيئاتهم فى اصحاب الجنة **وعد الصدق** الذي كانوا يوعدون .



وعلى العكس مما جاء به القرآن على طوله فان الكنيسة وحاشا أن اقول انجيل عيسى عليه السلام فانه ما جاء الا بما جاءت به الرسل من قبله كما قال سبحانه لاخيه محمد صلوات الله عليه : « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » — « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتد » — « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » . — « واذ اخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .

اقول ان الكنيسة الكاثوليكية عقمت العمل تعقيما كليا وافقدته كل مزية حيث بنت عقيدتها على قاعدة ان الانسان لا ينال السعادة والنجاة بالعمل بل بمحض الفضل وها نص هذه العقيدة بالفرنسية :

(l'homme ne fait pas son salut par ses œuvres mais seulement par la grâce)

عبارة خلابة كما ترى يالها من عبارة ولكنها سرعان ما اثارت معارضات ونزاعات ادت الى تصدع اركان الكنيسة وتفرق اتباعها ما بين بروتسطان — وكاثوليك — وارتدكس — ويعقوبية — ومارونية — ناقمين على الكنيسة انها بهذه العقيدة قضت على امهات الفضائل لانه على هذا لم يبق فضل للعبقري على الخامل ولا للبطل الشجاع على الجبان الامر الذي يصادم ناموس الحياة وسنة التطور والترقي مع توالي السنين وتغالت الكنيسة فى هذا الى حد قطعت فيه كل صلة مع التمدن والرقي كما جاء التصريح به فى الفصل الاخير من كتاب « السيلابوس » (Le syllabus) ونصه بالحرف : ملعون من يقول ان قداسة البابا يمكنه او يجب عليه ان يتصالح أو أن ينسجم مع مقتضيات التمدن وحرية التفكير والتمدن (من كتاب ما وراء الموت لصاحبه ليون دوني صفحة 75) زاد صاحب الكتاب يقول : ان الديانة الكاثوليكية طمست ما جاء به الانجيل من أصول وتعاليم سامية بوضعها لقاعدة سلب العمل من كل مزية ونتيجة أخروية وتمادت الكنيسة على السير فى هذا السبيل تعقد من حين الى حين مجالس للاساقفة لا تزيدها الا بعدا من تعاليم المسيح وهذا بالرغم عما لا يزال العلم يكشفه من التعارض والتناقض فيما بين الطقوس والتعاليم وبين تطورات الحياة وما جرياتها الواقعية فأين نحن من قول المسيح فى خطبته المعروفة بخطبة الجبل : « تفنى السماء وتفنى الارض ولا يفنى كلامي »

وهذا الذي نقلته عن كتاب ما وراء الموت لم ينفرد به المؤلف بل عرف التاريخ علماء آخرين أوسعوا المسيحية الحالية انتقادا اخص بالذكر من بينهم Voltaire الفيلسوف «فولتير وديدرو وجول لابوم» حتى ان صاحب تاريخ الديانات السام قال فى حق الاناجيل الاربعة المتداولة انجيل متى وانجيل يوحنا وانجيل مرقس وانجيل لوقا بان ما فيها ليس هو صدى كلام المسيح وانما هي مجموعة اسانيد وروايات جمعها بعض المولعين بالآثار والتقاليد فى اواخر القرن الاول الميلادي.

امام ما ظهر من المؤلفات فى الكشف عن هذه الحقائق وامثالها الا يحق للمسلم أن يستبشر بقرب انجاز ما وعد به القرآن فى قوله جل شأنه : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»

نعم كيف لا يستبشر بانجاز هذا الوعد والعلم وصل بالقوم حتى الى كشف الغطاء عن البشارة من سيدنا عيسى باخيه سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه والى السادة القراء نص ما جاء نقلا عن كتاب وراء الموت : « قال سيدنا عيسى بمحضر الحواريين : « بقيت عندي امور لم اقلها لكم لان عقولكم لا تتسع لها وسياتي المسلى (بالفرنسية le Consolateur)يقابله عندنا « كاشف الغمة » فاذا جاء هذا الامين بين جميع الحقائق » (رواية عن انجيل St-Jean XVI - 12-13)
وبعد أن ساق المؤلف نص الانجيل علق عليه بما لفظه : « الكنيسة تؤول هذه البشارة بان مقصود المسيح بهذا الكلام انما هو مجرد اعلام منه للحواريين بانه سينزل عليهم بعد اربعين او خمسين يوما . لكن هذا التاويل من طرف الكنيسة يقول المؤلف مردود لا يقبل بحال لان عقول الحواريين اذا كانت لا تتسع لما اشار اليه سيدنا عيسى من المغيبات التي لم يقلها لهم فكيف تتسع لها بعد نزوله على زعمها هذا من التهافت بل الواقع ان كلام المسيح موجه الى البشرية جمعاء لمن يأتي من بعده ، اهـ .

امثال هذه النقول وهذه الاراء من علماء القوم يستفاد منها ان العقول تحررت من اغلال التقاليد التي كانت ترسى فيها طيلة الزمان الذي ضربت فيه الكنيسة على العقول بسور بقولها : « لا نجاة خارج الكنيسة »
(Point de salut hors de l'Eglise)

نعم تحررت العقول الى حد اصبحنا نقرأ التنويه والاشادة بفضائل الاسلام حتى من رجال الدين امثال البطريق ميشو الذي يقول فى كتابه (رحلة فى الشرق الادنى : (Voyage en Orient l'Abbé Michou

« من المحزن فى حق الامم المسيحية أن يكون التسامح الديني الذي هو قانون التراحم العام بين الشعوب علمه

لهم المسلمون » وضرب لذلك مثلا بدخول سيدنا عمر لبيت المقدس وما دار بينه وبين رجال الدين وعلى راسهم قداسة البطريق صفرونيوس .

بعد أن طاف الجميع الاماكن التي لها شهرة في التاريخ طلب سيدنا عمر الخروج ليؤدي صلاة الظهر هو ومن معه من اهل حاشيته أبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهم فقال له رئيس الكهنوت ولماذا لا تصلي داخل الكنيسة انها بيعة من جملة المعابد فاجابه سيدنا عمر بأن الصلاة تصح منه بكل ارتياح ولكن هنالك عارض وهو أن الجنود المطوقة للمدينة اذا راوا خليفة نبيهم صلى هنا سارعوا الى المطالبة بالاذن لهم في الصلاة وان ادى الحال الى ما لا تحمد عقباه فاختارت الصلاة في الخارج . وفعلا صلى رضي الله عنه هو وحاشيته في رحاب الكنيسة وفي مصلاه هذا شيد المسجد العمري الذي غدا على حد تعبير العلامة ديفرجي مؤلف الكتاب المنقول عنه جوهرة في جيد الشرق الادنى ، بعد زيارة كنيسة القيامة طلب سيدنا عمر الدخول لبيت لحم الحرم الذي ولد فيه سيدنا عيسى فطاف بجوانبه كلها وعند الخروج التمس القديس صفرونيوس رئيس الاساقفة من سيدنا عمر ان لا يصلي المسلمون في هذا الحرم الا افذاذا لا جماعات وان يكتب له عهدا بذلك فلبى عمر هذه الرغبة وكتب له بها صكا لا يزال محفوظا عند القوم من جملة الاثار والذخائر المقدسة . فلم يتمالك رئيس الكهنوت ان التفت الى اصحابه وقال لهم ارايتم معاملة هذا الفاتح . رجل غالب منصور جنوده مطوقة للمدينة يعاملنا بمثل هذه المجاملة وهذه الحسنى ان هذا ليشعر بان القوم جاءوا حاملين لامانة انسانية عظيمة ثم فاضت عيناه بالدموع .
(نقلا باختصار من كتاب « تاريخ العرب » لصاحبه ديفيرجي Desverger

وهذا الذي قاله هذا المؤرخ هو قل من جل مما قاله في تعظيم رسالة الاسلام مؤرخون آخرون امثال لامرتين وكوستاف لوبون — وكلدزيهر النمساوي صاحب كتاب عقائد الاسلام « Les Dogmes de l'Islam » وفاه بهذه الكلمات: «الاسلام دين عمل يتجلى في حياة المجاهد» ومما ينم عما يضمره من اكبار وتمجيد للاسلام توشية كتابه ببعض احاديث نبوية الهاه ويا للاسف جمال عباراتها عن عزوها لمن نقلها عنهم سمعناها فيما بعد من مشايخنا في المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة وهي قوله عليه السلام : رحم الله رجلا ممسكلا بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها — وقوله : لا يجتمع غبار المجاهد مع دخان جهنم — الطاعم النائم في الجهاد افضل عند الله من الصائم القائم في سواه .

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني



ثقافة القرآن والثقافات العالمية

للأستاذ: محمد الحمداوي

- 4 -

3) يونانية لقمان ووصاياه

استشهد الاستاذ الوزاني ـ في جملة ما استشهد ـ على صلة الوصل القائمة بين ثقافة القرءان وثقافة يونان بذكر القرءان للقمان الذي قال عنه « وهناك شخص ثالث يوناني يسميه القرءان لقمان ، ونقل لنا القرءان بعض وصاياه لابنه ، واعتبرناها اساسية في التربية الاسلامية فلنعلم الان انها وصايا يونانية اقرها الاسلام بنفس القيمة التي كانت لها في امة الاغريق » .

والقرءان عند ما قص علينا قصة ذي القرنين ، وقصة الخضر مع موسى ، وقصة لقمان ووصاياه لابنه ، في جملة ما قص علينا من احسن القصص للذكرى والاعتبار لم يذكر الى اية امة من الامم ينتسب هؤلاء الثلاثة ولا احدهم ، والسنة المفسرة للقرءان لم تثبت لنا اي شيء من ذلك ، وقد سبق ابطال قرنية الاسكندر المقدوني ، واغريقية الخضر ، في اقوال العلماء وشواهد التاريخ ، اما لقمان هذا الذي توجد سورة في القرءان تسمى باسمه ، والذي ذكر الاستاذ الوزاني انه يوناني، وان وصاياه يونانية وان القرءان ذكرها بنفس القيمة التي كانت لها عند الاغريق ، فقد ذكر ابن قتيبة في معارفه (1) وابن كثير في تفسيره (2) وتاريخه (3) وابن العربي في احكامه (4) ، وابن حجر في فتحه (5) اكثر من قول منقول عمن قبلهم من رجال العلم بالتفسير والحديث والتاريخ في نسبه وموطنه ذكروا انه حبشي ، وذكروا انه نوبي ، وذكروا انه من سودان مصر ، وذكروا انه اسرائيلي ، ولم ينقل اي واحد من هؤلاء عمن سبقهم بالقول عنه انه يوناني ، ورجح ابن حجر ـ بناء على حديث المستدرك الذي صح عنده اسناده ـ انه كان في زمن داوود . والرواية الاجنبية عن لقمان الحكيم هذا لم تزد اي شيء على ما ذكرته الرواية الاسلامية ، مما يدل على ان اغلب مصادرها عنه جاءت عن طريق الرواية الاسلامية ، ولم تشر هذه الرواية الاجنبية ولو من طرف خفي الى يونانية هذا الرجل ، وان كانت هناك من صلة قد اثبتتها هذه الرواية الى لقمان باليونان فهي ان اليونان مدينون له حيث ان بعض قصاصيهم قد قلدوا اساليب وصاياه غير اليونانية ، فقد جاء في « دائرة معارف القرن العشرين للاعلام » عند الكلام على لقمان الحكيم هذا : « ان جميع اقاصيصه

---

1) المعارف ص 25 .

2) تفسير ابن كثير ج 3 ص 443 .

3) البداية والنهاية ج 2 ص 126 ـ 127

4) احكام ابن العربي ج 2 ص 155 ـ 156 .

5) فتح الباري ج 6 ص 362 .

ووصاياه ذات شبه قوي باقاصيص ايسوب (AESOP) القصاص اليوناني المشهور (6) » وقالت (دائرة معارف ولسون (7)) عن اقاصيص ايسوب وخرافاته « ان لها اصلا متغلغلا في القدم ، وان عليها سمة الحكايات الخاصة بكثير من الشعوب الشرقية ، وان مما لا شك فيه ان حكايات ايسوب هذه ذات اصل عربي وفارسي ، وان ايسوب هو شخص يوناني على شاكلة شخص لقمان العربي ، وليست هناك ــ تقول دائرة معارف ولسون ــ اية واحدة من حكايات ايسوب قد انحدرت الينا من اصل يوناني » . واذا كان ايسوب هذا قد عاش في القرن السادس قبل المسيح كما يقول المترجمون له ، وكان لقمان قد عاش في زمن داوود في اصح الروايات العربية اي في القرن الحادي عشر قبل المسيح ، فان لقمان يكون اذن سابقا لايسوب بقرون كثيرة وحينئذ يكون القصاص اليوناني المتأخر قد تأثر في اسلوب قصصه وحكاياته باسلوب لقمان الحكيم السابق في حكاياته وقصصه على مثل ما تأثر دانتي الايطالي في جحيمه بابي العلاء المعري في رسالة غفرانه .

هذا واننا لم نسمع فيما بلغ علمنا مما كتبه الكاتبون وارخه المؤرخون لحكماء يونان وفلاسفتهم ان فيهم من كان اسمه لقمان ، فاي مستند تاريخي اذن قد استند عليه الاستاذ الوزاني في اثبات يونانية لقمان ويونانية وصاياه ليجعله هو ايضا شاهدا من شواهده على اثبات الصلة بين ثقافة القرءان وثقافة يونان ؟

4) حكمة القرءان وحكمة اليونان

كان مدخل الاستاذ الوزاني الى التماس الصلة بين (ثقافة القرءان) و (ثقافة اليونان) في الحكمة اليونانية ان اشار الى (رجال صالحين) قال عنهم انهم جبوا القرءان في محبس عزلتهم التي عاشوا فيها وفسروا معانيه حسب ما اوحته اليهم هذه العزلة التي جعلتهم كما يقول « ينظرون الى القرءان بمنظارها وقد تدهشهم بعض التعابير القرءانية ، لانها في خضم الحياة البشرية » . وكان من بين الايات القرءانية التي رأى انها ادهشتهم فلم يدركوا على وجه الضبط والتحقيق المراد منها ، قوله تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم ءاياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) .

والرجال الصالحون لا يمكن ان يعني بهم في كلام الاستاذ الوزاني الا اولئك الذين كان لهم من سبق الفهم في كتاب الله ما كانوا به اوفياء لذلك الكتاب ، فهؤلاء ما ادهشتهم الاية المذكورة فغاب عنهم ــ في رايه ــ ادراك معنى الحكمة فيها (فاختلفوا فيها) الا لانهم كما يقول : « غفلوا عن دراسة نفسياتهم وما اصطفت به من انتمائها الى عالم الكتاب ولو ساروا على طريق التفصيل واتقوا من الحضارة اساليبها لما عسر عليهم ان يجدوا المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة » وهو يعني بالمفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة ما ادركه هو حين ادرك «ان العالم باعتبار الهداية والعمل الصالح كان ينقسم الى عالم الكتاب وعلى رأسه بنو اسرائيل ، والى عالم الحكمة وعلى رأسه الامم اليونانية ، فلما نزل القرءان كان جامعا بين الكتاب والحكمة باعتبار ان الامرين معا تراث انساني للمسلمين ان يستفيدوا من احدهما كما يستفيدون من الاخرين ، وبحسب النظرة السطحية يبدو ان القرءان اخذ من عالم الكتاب ، ــ بني اسرائيل ــ اكثر مما اخذ من عالم الحكمة ــ اليونان ــ وليس الامر كذلك بل الكفتان متساويتان، فقد نقل القرءان من الحكمة ما لا يقل عما اخذه من الكتاب » ، فالمفهوم الاجتماعي لعبارة الكتاب على هذا الفهم في الاية الكريمة هو جنس الكتاب الذي على رأسه كتاب بني اسرائيل ، والمفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة فيها كذلك ، هو جنس الحكمة التي على رأسها حكمة اليونان ، وحينئذ تفهم المنة التعليمية العظمى التي امتن الله بها على اتباع محمد في هذه الاية ، انه ارسل اليهم محمدا ليعلمهم ما نقل من ذلك الكتاب وتلك الحكمة . (8)

ومعنى هذا ان الحبر بن عباس رضي الله عنه الذي دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وتعلم التاويل فكان (ترجمان القرءان) كما

---

6) The New Century Cyclopaedia of Names part tow (Lokman)

7) Nelson's Encyclopaedia, part I (Hesopus)

8) سبق في الجزء الثاني من المقال ابطال ان يكون القرءان قد نقل او اخذ او استعمل .

كان يسميه عبد الله بن مسعود (9) ، والذي قال عنه احد مجتهدي القرن الثمن (10) (انه متى صح الاسناد عنه كان تفسيره مقدما على كثير من الجماهير) هذا الحبر الجليل والصحابي الكبير الذي فسر كلمة الكتاب في الاية الكريمة بانها تعني (القرءان) وكلمة الحكمة بانها تعني (المعرفة بالقرءان) بجميع انواع المعرفة ، يكون قد عسر عليه ان يجد المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة ، حين لم يفسر الكتاب بما يشمل كتاب بني اسرائيل ، وحين لم يفسر الحكمة بما يشمل حكمة اليونان يعني فلسفة ابو قراط وسقراط . وجالينوس وافلاطون وارسطو ، كما فسر ذلك الاستاذ الوزاني !!

والعلماء بالكتاب من بعد ابن عباس حين استخرجوا من تفسيره لكلمة الحكمة تفاسير ، وحين فرعوا من فهمه لها فهو ما ، قد عسر عليهم هم ايضا ان يجدوا المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة ، فقتادة والحسن البصري ومقاتل بن حيان وابو مالك حين قالوا عن الكتاب في الاية المذكورة (انه (القرءان) وعن الحكمة انها (السنة (11)) ، ومالك بن انس حين قال: «انه ليقع في قلبي ان الحكمة الفقه في دين الله(12)» والشافعي حين جمع هذه الاية مع ما شابهها من الايات وفسرها بقوله : « فذكر الله تعالى الكتاب وهو القرءان وذكر الحكمة ، فسمعت من ارضى من اهل العلم بالقرءان يقول : الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ البيهقي معللا تفسير الشافعي : انه ما قال بان القرءان ذكر واتبعته الحكمة فذكر الله منته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يجز ـ والله اعلم ـ ان تعد الحكمة هاهنا الا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (13) » . وابن تيمية حين ادرك من معنى الحكمة في القرءان ما عبر عنه بقوله : « وقد بعث الله محمدا (ص) بالحكمة التي هي سنته وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه فكان من هذه الحكمة ان شرع له من الاقوال والاعمال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين (14) » . والاستاذ الامام محمد عبده الذي شرح ما عنوه بكلمة السنة التي فسروا بها الحكمة فاحسن الشرح حين قال : « دعا القرءان الى التوحيد وامهات الفضائل وبين اصول الاحكام ولكنه لم يفصل سيرة الملوك والرؤساء مع السوقة والمرءوسين ولم يفصل سيرة الرجل مع اهل بيته في الجزئيات وهو ما يسمونه نظام البيوت ـ العائلات ـ ولم يفصل طرق الاحكام القضائية والمدنية والحربية وذلك ان هذه الامور ينبغي ان تؤخذ بالاسوة والعمل بعد معرفة القواعد العامة التي جاءت في الكتاب ، ولذلك كانت السنة هي المبينة لذلك بالتفصيل بسيرة النبي (ص) في بيوته ومع اصحابه في السلم والحرب ، والسفر والاقامة وفي حال الضعف والقوة ، والقلة والكثرة ، فالسنة العملية المتواترة هي المبينة للقرءان بتفصيل مجمله وبيان مبهمه واظهار ما في احكامه من الاسرار والمنافع ولهذا اطلق عليها لفظ الحكمة (15) » .

فهؤلاء الاعلام العلماء بالكتاب والسنة (قد عسر عليهم ان يجدوا المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة) وانما الذي لم يعسر عليه فهمها في احسن معناها واصدق مفهومها فهو ذلك الذي فسر الكتاب بما يشمل كتاب بني اسرائيل والحكمة بما يشمل حكمة اليونان ، وهذا والله يذكرنا بما حدثونا به عن ذلك الشاعر (16)

---

9) مقدمة تفسير ابن كثير .

10) محمد بن المرتضى اليمني ، انظر كتابه (ايثار الحق) ص 157 .

11) ابن كثير ج 1 ـ ص 184 .

12) ابن كثير ج 1 ـ ص 322 .

13) احكام القرءان للشافعي ج 1 ـ ص 28 .

14) اقتضاء الصراط المستقيم ص 6

15) تفسير المنار ج 2 ـ ص 29 .

16) ابو علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي ترجمته في معجم الادباء وابن خلكان والشذرات .

الاديب الذي قالوا عنه انه قال : « كلما اجمع الناس على استحسان شيء انشأت من فكرتي من جنسه ما ادحض به المتقدمين »

حقيقة ان بعض عبارات السلف قد اختلفت في التعبير عن المعنى العام الذي قصده ابن عباس (ض) عند ما قال عن الحكمة انها (المعرفة بالقرءان) ، ولكن اختلافهم في التعبير لا يعني اختلافهم في المعنى الذي قصده ترجمان القرءان ، وقد نص ابن تيمية عند ما عرض عبارات السلف عن معنى (الزور) في قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) على ان (عادة السلف في تفسيرهم هكذا يذكر الرجل نوعا من انواع المسمى لحاجة المستمع اليه او لينبه على الجنس كما لو قال الاعجمي ما الخبز ؟ فيعطى رغيفا ويقال له هذا بالاشارة الى الخبز لا الى الرغيف (17)) .

والناظر بعين الاعتبار لحكمة الله في تتابع الرسالات ، وتعاقب الرسل ، وتبديل الكتب ، ونسخ الايت الكونية والتشريعية والاتيان بخير منها او مثلها حسبما يقتضيه تطور الازمان وتغير الاحوال ، كالناظر بعين الاعتبار فيما تضمنه كثير من سور القرءان من حجج تقرير معجزة القرءان ونبوة النبي الذي جاء به ودحض مفتريات بني اسرائيل ومن لف لفهم من كفار العرب ومنافقيهم في تلفيق الاكاذيب ولبس الحق بالباطل ليصدوا عن سبيل القرءان ويبغونها عوجا ، يدرك تمام الادراك ان ما فهمه السلف الصالح من معنى الكتاب والحكمة في الاية السابقة هو الفهم الصحيح ، فمحمد (ص) وان لم يكن بدعا من الرسل قبله ، والكتاب الذي بعث به وان كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ولكن محمدا بعث بالقرءان لتقرير شرعة غير شرعة من سبقه من الرسل ، ولسلوك منهج غير منهجهم في الحكم والسياسة والتربية والاجتماع ، وصدق الله العظيم (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) .

ونسق القرءان في ترتيب هذه الاية على الاية التي قبلها يقوم حجة ناهضة كذلك على ان السلف قد اهتدوا الهداية التامة الى مراد الله في الاية الكريمة، فالاية قبل هذه وهي قوله تعالى : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون) صريحة كالايات قبلها في امر اتباع محمد باستقبال قبلة غير قبلة بني اسرائيل في الاتجاه الا الله ، وذلك يقتضي ان تكون النعمة التعليمية التي امتن الله بها على اتباع محمد عقب نهيهم عن استقبال قبلة بني اسرائيل كتابا غير ما يشمل كتاب بني اسرائيل وحكمة غير حكمة اليونان او غير اليونان ممن لم تقع لهم اي اشارة في هذه الايت لا بالامر بالاقتداء ولا بالامر بالمخالفة ، ولم يكن ذلك الكتاب الا القرءان ولم تكن تلك الحكمة سوى سنة رسول الله .

ثم ان لفظ الحكمة في القرءان لو كان يمكن ان يصرف الى معنى غير معنى السنة وغير معنى الفقه في الدين والمعرفة بكتاب الله علما وعملا لصرف الى حكمة لقمان ، تلك الحكمة التي ذكر الله في القرءان انه اتاها لقمان ، والتي لم ير مالك بن انس اي غضاضة في ان ياتي منها في كتاب الجامع من موطئه بما يؤيده الكتاب والسنة ولكن النبي (ص) رفض ان تساوى حكمة لقمان وحكمة القرءان ، فقد روى ابن هشام في سيرته (18) :«ان سويد ابن صامت اخا بني عمرو بن عوف قدم مكة حاجا او معتمرا فتصدى له رسول الله (ص) حين سمع به فدعاه الى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله (ص) وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان ، فقال له رسول الله (ص) اعرضها علي فعرضها عليه ، فقال (ص) ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل من هذا قرءان انزله الله علي هو هدى ونور » وقد احسن ابن تيمية القول في التفرقة بين حكمة القرءان وحكم غير القرءان وبين من يستحق الثناء من عند الله ومن لا يستحقه من اصحاب الحكم المختلفة حين قال ـ وهو

17) اقتضاء الصراط المستقيم ص 86 .

18) ج 1 ـ ص 265 من هامش الروض

يرد على اولئك الذين زعموا ان الآقيه الثلاثة المعروفه عند المناطقة هي المذكورة في قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي احسن) : «وقد تكلم في هذا طوائف من الداخلين في الاسلام ... لكن غلطوا ... فان مراد الله ورسوله بالعلم ليس هو العلم النظري الذي هو عند فلاسفة اليونان ، بل (الحكمة) اسم يجمع العلم والعمل به في كل امة ، قال ابن قتيبة وغيره : الحكمة عند العرب العلم والعمل به ، وسئل مالك عن الحكمة فقال : معرفة الدين والعمل به ، وكل امة لها حكمة بحسب عملها ودينها ، فالهند لهم حكمة مع انهم مشركون كفار ، والعرب قبل الاسلام كانت لهم حكمة ، وكان فيهم حكماء العرب ، مع كونهم مشركين يعبدون الاوثان ، فكذلك اليونان كانت لهم حكمة كحكمتهم وحكماء كل طائفة هم افضل تلك الطائفة علما وعملا ، قال : لكن لا يلزم من ذلك ان يكونوا ممدوحين عند الله تعالى فان الممدوح عند الله ورسوله لا يكون قط الا من المؤمنين المسلمين الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وعبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يكذبوا نبيا من انبيائه ولا كتابا من كتبه ولا يثني الله قط الا على هؤلاء (19) . وقد حذا ابن قيم الجوزية حذو امامه في هذه التفرقة بين حكمة القرءان وحكمة اليونان ، فأجاد وافاد حين قال : (20) « والحكمة نوعان قولية وفعلية ، فالقولية هي قول الحق والفعلية هي فعل الصواب ، وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها واصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم اقرب الى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله ، الى ان قال عن حكمة اليونان « ان الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها ، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الانبياء ولم يذهب الا لما يقتضيه العقل في زعمه واخص من ذلك انه في عرف المتاخرين اسم لاتباع ارسطو وهم المشاؤون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وقررها وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين » .

والذين لم يكن لديهم اي اعتبار لوجهة النظر الاسلامية ولا لاية وجهة نظر دينية اخرى ، في تفسير التاريخ الانساني ، احداثه وحوادثه ، وعقائده وافكاره وانما كانت وجهتهم في دراسة التاريخ قرن الاسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات ، حسبما يقتضيه قانون العقل ومقارنة الحس ، واستقراء الظواهر قد هداهم بحثهم التاريخي العلمي الى خصائص وسمات في الحضارة القرءانية لا يصح معها ان تفهم كلمة (الحكمة) في القرءان المبعوث به صاحب الرسالة المحمدية بما يمت باية صلة من الصلات الى حكمة اليونان ولا الى اية حكمة لها قربى بحكمة اليونان ، اللهم الا صلة التقابل والتضاد ، والغلبة والانتصار في هذه الضدية الهادفة ، فالمؤرخ الانجليزي «ارنولد توينبي» الذي بنى طريقته في دراسة التاريخ على اساس البحث المستقصى ، والاستقراء الشامل للفوارق والجوامع بين الحضارات والمدنيات ، قد هداه البحث الى ان الرسالة المحمدية جاءت تتويجا لجميع ردود الافعال التي قمت بها الامم قبل هذه الرسالة في مقاومة الثقافة الهلينية (الحكمة اليونانية) التي كانت تحاول ان تفرض نفسها على امم اخرى بعد ان فرضتها على الامم التي جاست جيوش الاسكندر المقدوني خلال ديارها ، فلنستمع اليه حين يقول : « ... وقدر للامبراطور هرقل نفسه ان لا يذوق الموت الا بعد ان رأى « عمرا » خليفة النبي محمد ، يفد الى مملكته ليبطل تماما والى الابد فعل جميع من طبعوا الانحاء السورية بالطابع الهيليني ابتداء من الاسكندر فصاعدا » قال : « فلقد وفق الاسلام فيما فشل فيه سابقوه لانه استكمل عملية طرد الهيلينية عن العالم السوري ، كما عاد فادمج في الخلافة العربية الدولة العالمية السورية التي اختزل الاسكندر الاكبر حياتها بقوة قبل ان تستكمل رسالتها وقتما هدم الامبراطورية الاخمينية الفارسية ، واخيرا منح الاسلام المجتمع السوري بعد طول الانتظار عقيدة دينية عالمية اصيلة ، فعاون بذلك المجتمع السوري ـ بعد انقضاء عدة حروب من توقف حيوية ـ على ان يسلم الروح وهو متأكد انه لن يزول دون ان يخلف عقبا ، اذ غدت العقيدة

---

19) الرد على المناطقة ص 447 ـ 448 .

20) اغاثة اللهفان ج 2 ـ ص 256 ـ257 .

الاسلامية البرقة التـي بزغـت في حينها الحضـارتان العربية والايرانية (21) » .

وبعد فقد قالوا عن ارسطو انه بلغت به المبالغة في التخيل في تنزيه الله الى ان الحق بصفة الالوهية ما لا يليق بمقامها ، ولعل تحمس الاستاذ الوزاني هو ايضا لان يرفع (الثقافة القرءانية) الى ارفع مقام هو الذي بلغ به الى ان يتخيـل من الشواهـد والدلائـل على علميتها ما لم تقبله احكامها ومقرراتها ، وما لم تثبت لا في ميزان العلم ولا في ميزان التاريخ . وفي بقيـة مقاله بقية احكام يرفضها الاسلام بروحه ومنهجـه في تنظيم الحياة وشئون الناس ، كما يرفضها العلم والتاريخ بكل ما يحويه العلم والتاريخ من نصـوص واحكـام كقوله : (وصورة الحج الاسلامي لا تختلف كثيرا عن مواسيم الاغريق في زيارتهم (الاكروبول)) . وكقوله (ان يونس عليه السلام كان من نينوى وان نينوى قرية من صميم العالم اليوناني) وكقوله (وما اجدر افلاطون وارسطو واضرابهما ان يكونوا انبياء ورسلا) الخ ...

واننا لنكتفي بنقص ما مضى في نقص ما بقي ، ونقول للاستاذ الوزاني ان (ثقافة القرءان) ثقافة دينية لهـا خصائصها وسماتها وميزاتها ، وان ثقافة غيـر القرءان ثقافات لها هي ايضا خصائصها وسماتها وميزاتها ، وان الحقيقة الاجتماعية التي عبر عنها من قال « انت دائما انت وانا انا » ، حقيقة ثابتة في الاراء والعقائد والافكار والثقافات كما هي ثابتة في الافراد والجماعات ، وقد ايدتها الاية الكريمة القائلة (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) .

الدار البيضاء ـ محمد الحمداوي

---

21) مختصر دراسة التاريخ ج 1 ـ ص 240 ـ 241 .

الثـــواب والعقـــاب

قال الاصمعي : « رايت بدوية من أحسن الناس وجهـا ، ولها زوج قبيح ! فقلت : « يا هـذا أترضيـن ان تكونـــي زوجـة لهـــذا ؟ »

فقالت : « يا هذا ، لعله احسن فيما بينه وبين ربـه ، فجعلنـــي ثوابـــه . واسات فيما بيني وبين ربـي ، فجعلـــه عـــذابـــي .

ـ افـــلا ارضـى بمـــا رضـي الله لـــي ـ

مع الأستاذ ادريس الكتاني :

وحدة التفكير القرآني

مرة ثانية

للأستاذ : حسن السائح

عندما كتبت مقالا صغيرا بمجلة « دعوة الحق » الغراء عن وحدة التفكير القرآني«1» لم يكن قصدي الا نشر جزء من بحث طويل فى هذا الموضوع اردت به الاستفادة من المحاولات المنهجية الحديثة التي تدرس القرءان الكريم دراسة جديدة لتواجه به معضلات قرننا الحديث .

وقد ذكرت ان هناك محاولات منهجية قدمها كثير من المعاصرين لم يقم احد بعد بجمعها كاملة للاستفادة منها (كوحدة منهجية) اذ ان كثيرا من المفكرين المسلمين المعاصرين درسوا القرآن دراسة منهجية فمنهم من درسوه على اسس لغوية ومنهم من درسه على اسس اجتماعية ومنهم من درسه على اسس فلسفية الخ

ولم يكن قصدي ان استعرض هذه المناهج سواء بنقدها او بعرضها او باستخلاص منهاج جديد منها بل اردت ان انظر منها الى حقيقة طالما اتخذها المغرضون والملاحدة وسيلة لاظهار عدم الترابط فى الافكار والنظريات القرءانية ، ولذلك فقد قلت مسبقا انـي ان اقدم تحليلات لم اسبق اليها . واذن فكل الاراء التي ساعرضها فى هذا المقال مسبوق بها . وانما اجمع شتاتها واصوغها على اساس وحدة متناسقة لادعم بها وحدة التفكير القرءاني على خلاف مايزعم المغرضون، وكان علي اذا اردت ان احقق هذا الهدف ان ابذل جهدا متواضعا حسب امكانياتي الفكرية والادبية لاعرض ذلك على القاريء الكريم الذي يكون نقده خير معين على اكتشاف طريق الهدف الذي نجاهد جميعا من اجله ؛ وهو تكوين فلسفة اسلامية معاصرة نواجه بها مشاكل الالحاد . . . وطبعا لست اهلا لان اتحمل هذه المسؤولية العظمى . غير ان ذلك لايمنعني بصفتي مسلما ان اناقش هذه القضايا فى حدود امكانياتي الثقافية .

وقد وضعت تصميما لهذا المقال الذي هو جزء من مبحث كامل ، لو نشر الى آخره لذكرت فى ختامه المصادر والمراجع والايات المستشهد بها ، ولكنني لم

1) لايمكن ان يجحد احد ان فى القرءان استدلالات مركزة على البحث والعلة على اسس فكرية منطقية ولذلك نقصد بالتفكير القرءاني نوعية التفكير المنطقي الذي يبدو واضحا فى القرءان الكريم الذي ندرك معانيه بعقولنا البشرية التي منحنا الله تعالى اياها لنفهم رسالة الانبياء عليهم السلام ، على نهج قولنا البلاغة القرءانية والفصاحة القرءانية ، فليس الله تعالى بمفكر ولا بفصيح ولا ببليغ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولكن نقصد دراسة القرءان على ضوء القواعد البلاغية بما فيها المستمدة من القرءان الكريم ، وعلى ضوء المنطق لمحاولة فهم اسراره بقدرتنا الفكرية واللسانية ، والغريب أن تطور المنطق والدراسة اللغوية تدعم دائما معجزة القرءان الكريم ، وتلك ءاية من ءاياته . . . وصدق الله العظيم (افلا يتدبرون القرءان ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فالتدبر بالتفكير، والتفكير في القرءان الكريم على اساس مقدرتنا الفكرية ، فالقرءان الكريم يخاطب البشر بمنطق العقل حسب قدرة العقول ، وبلغته البليغة على اسلوب اللغة التي نزل بها ، وهو موجه للبشر كافة ليفهموا اسراره بعقولهم ولو كانوا غير مسلمين او لايتكلمون العربية

انشر منه الا جزءا صغيرا فلم يظهر متكاملا فى صورته الحقيقيــــة .

وهذا التصميم ركزته على ان اقدم متواضعا للقرءان الكريم ، لابدي عظمة هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي هومصدر قوتنا حيث يجب ان ننفي عنه كل التهم المغرضــة الموجهــة اليه ، وقلت ان القرءان الكريم هو كتاب ندرسه ونستفيد منه دائما حيث يفيض وحيه من ينابيع عميقة لا تتغيــر ولا تتبدل لانها ينابيع الانسان فى صورته الطبيعية ، لانــي اعتقد ان القرءان كلما درسته وتعمقته الا واعطاني من المعاني العميقة الشيء الكثير ، لانه عندما يعالج قضايا الانسان الفلسفية يسبر روح الانسان سبرا لانهائيــا وبذلك يظل وحيا (بالمعنى اللغوي) يمدنا بالحقائــق ، وطبعا لم اكن فى هذه الفقرات ادرس القرءان دراســة موضوعية وانما اذكر جانبا من جوانب القرءان المطبوع بالوحدة والشمولية فى كل الميادين لاركز على ذلك ان تكون المعطيات التي يمدنا بها القرءان شموليــة كذلك تتناول سائر الاتجاهات ، ولا تترك ناحيــة الا والمعت اليها ، فهي (ولله المثل الاعلى) كآلة التصويرالتي تلتقط الصورة من سائر ابعادها (اذ الصورة) عند ما ننظـر اليها من امام نرى شكلا خاصا ، وعند ما ننظــر الــى جانبها نرى شكلاءاخرايضا ، وعندما نبتعد عنها بمسافة ما نراها فى شكل آخر ، وهكــذا ، فالصورة واحــدة والمناظر متعددة ولا حصــر ابــدا للتعــدد ! وكذلك القرءان فى نظره للقضايا التي يعالجها حيث يعطي عنها صورا مختلفة حسب أوضاعهــا .

ثم لاحظت ان هذا العرض لايتسلسل فى موضوع واحد بل يختلف ، نظرا لان القــرءان الكريــم نــزل منجما ، ولذلك لا نجد تسلسلا فى العرض . . .

ومن هنا عالجت مشكلا يثيره كثير من المستشرقين مثــل (جولد زهير) و (ه جريم) و (ت د ي بــور) وهو وجود تعارض بين الايات القرءانية وتناقض فيما بينها ، وهذا المشكل يثار فى قضيــة التنزيه والتشبيه ، وفي قضية الجبر والاختيار وغير ذلك من الموضوعات التي يثار فيها مثل هذا الادعاء ، وقد رجعت لدحــض هذه الشبه الى دراسة الاراء الكلامية القديمة وءاراء المفسرين وفلاسفة الاسلام ، ففيما يخص قضية الجبر والاختيار (وهي التي تعني هذا الجزء مــن المبحث) رأيت كيف ان الفلسفة الاسلامية ترى ان التناقض فى الانسان نفسه ، حيث ترى ان حرية الانسان مقيــدة وهو فى نفس الوقت حر ، وقــد بسطت ذلك باختصار فى راي القدماء فى واقع طبيعة الانسان وعلاقته مــع الكــون ، ويمكن للباحث ان يرجع الى تفصيلات ذلك فى كتب تاريــخ الفلســفة الاسلاميــة وبالاخص فى ءاراء الفلاسفة المسلمين القدامــى ليرى تحليلات عميقــة لرايهم فى ذلك وتعليق مؤرخــي الفلسفة الاسلاميــة المحدثين كالاستاذ محمــد ابــو ريدة ، ثم رجعت الى الآراء الفلسفية الواضحــة فى فلسفة جمــال الديــن الافغاني . والامام محمد عبده بالاخص التي هي عمــاد الفكر الاسلامي المعاصــر .

والواقع ان استخلاص فكرة واضحــة عن راي هؤلاء فى الايــات التي تقر الجبر والايات التـــي تقر الاختيار يقضي علي ليكون البحث نزيها ان ارجــع الى اراء السلفيين والملفقيــن على آرائهم .

وهكذا رجعت «اولا» الى الشيــخ محمد عبــده لادرس رايه فى كتبه ، فرايت ان رايــه لا يمكــن ان يكون واضحا كاملا الا اذا انتزع من مجموع دراستــه فى الانسان ، والجبر والاختيار ، وعمل التاريخ . امــا عن رايه فى الانسان فهو فى نظره يستمد وجوده مــن خالقه الذي وهبه الحواس والعقل والوجدان ولكــن لابد له من الهداية الالاهية ، وقد بسط ذلك المستشرق «تشارلز ادمس» فى دراسته عن الشيخ الامام . امــا من قضية الجبر والاختيار فيرى الشيخ الامام ان كل الطوائف المسلمة اليو م لا ترى مذهب الجبر المحض بل يعتقدون بان لهم جزءا اختياريا فى اعمالهم ويسمــى «بالكسب » وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم على انه يرى انهم محاسبون بمــا وهبهم الله من هــذا الجزاء الاختياري ، وعليه فان الحكم الاخير لله وحده . اما عن رايه فىالتاريخ فيرى انللتاريخ علما فوق الرواية اي البحث عن سير الامم فى صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها وما ينشا عنها من التغيير والتبديل فى العادات والاخلاق والافكار ، **ويقــول** الشيخ الامام : « ان هذا الفن له فائدة البحث عــن «القضاء والقدر» والاذعان بان قــوة البشــر فى قبضة مدبر للكائنات ومصرف للحوادث» ، يقول الشيخ الامام : لو انتقلت قدرة البشر بالتأثر ما انحط رفيع ولا ضعف قوي . . ثم للشيخ الامام راي اصلاحــي فى الاستفادة من الجبر والاختيــار .

اما عن « التعارض بين الايــات » فقد جاء راي الشيخ الامام فى رده على «هانوتــو» حيث ذكــر ان القرءان الكريم فيه ءايــات تعيب على اهــل الجبــر

رايهم ، وتنكر عليهم قولهم كقوله تعالى « لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا » واثبت الاختيار والكسب فى نحو «اربع وستين ءاية» وما جاء من الايات مما يتوهم الناظر فيه ما يخالف ذلك فانما جاء فى تقرير السنن الالهية العامة المعروفة بنوامس الكون ، واذن فللشيخ محمد عبده الفضل فى التفريق بين مرامي الايات القرءانية حسب موضوعاتها ، ثم زاد الشيخ مفرقا بين الاختيار الفردي والجماعي فقال : والعاقل يرى الفرق الجلي بين مسألة اختيار العبد فى افعاله وبين اثر القدرة الالهية فى اخلاق الامم ، فاختيار العبد فى افعاله مما يقر به الوجدان ، لكن ما عليه الامم من الاختلاف فى الطبائع والغرائز والسجايا فليس لاحد من خلق الله فيه اختيار !

ثم يحاول الشيخ الامام ان ينقل الاعتقاد بالقضاء والقدر الى ميدان العمل الفردي والجماعي ويستدل على ذلك بالتاريخ فى حركته المستمرة ، وهذا الراي الواضح للشيخ الامام المتفرق فى شتى مقالاته وكتبه «كرسالة التوحيد» و «مقالته عن القضاء والقدر» و«تاريخ الشيخ الامام» عالجه الذين درسوا الفلسفة الاسلامية بشيء من التغيير ، فالدكتور محمد البهي نقل مذهب السلفية الحديثة بامانة ، واوضح ان الشيخ الامام علل قوله بالاختيار ببعض نصوص القرءان الدالة على اسناد الفعل والعمل الى الانسان ، وبعض النصوص الاخرى التي ربطت الجزاء الاخروي ثم يزيد مبررا اخر عن فلاسفة الاسلام باعتبار الانسان « المختار » لبنة ايجابية فى بناء الجماعة ، ثم بعد ذلك يخلص الى تفسير الجبر ، اذ ان لكل حادث سببا يقارنه فى الزمان ، وانه لايرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ماضيها ان مبدع نظامها، وان لكل منها تدخلا ظاهرا فيما بعده الى ان ينتهي ان لظواهر الكون من السلطة على التفكير والارادة ما لا ينكره ابله .. والواقع ان الدكتور البهي كان نزيها فى عرضه لفكرة الشيخ الامام فى الموضوع ، ولكنه لم يشرح بتفصيل موقفه من التاريخ كما هو واضح فى كتب الامام ومقالاته وقد شرح الاستاذ ابو محمد ابو زيدة موقف الفلسفة الاسلامية من الجبر والاختيار على هذا الاساس السلفي ولكن بطريقة فلسفية بحتة . اما المستشرقون فالاستاذ «سمث» يوضح عدم وجود تناقض بين الآيات، ويذكر انه حيث يكون الاهتمام موجها الى الله فان سلطانه المطلق الكامل يكون موضع التاكيد ، اما حين يكون الاهتمام الى الانسان فان التاكيد ينصب على الانسان . وقد وهب له الله الحرية والمسؤولية الاخلاقية ، ولكنه حين يعرض لراي السلفيين يرى ان الاشعري يستبعد كل العلل الثانوية من غير ان يشرح الكسب الذي اثبته الاشعري وهو اهم ما فى التفكير السلفي ، بل ويرى ان الشيخ الامام يسير ضد هذا الاتجاه ، مع ان الشيخ الامام بنى نظريته على الكسب والسير وراء الاشعرية بصفة واضحة ، كما انه يذكر رأي الاسلام فى التاريخ ولكنه يقصي دائما نظرية « الكسب » الرئيسية فى الفكر الاسلامي السني سواء فى « الفرد » او «الجماعة» فاضطررت ان اعرض للقضية متكاملة فى نزاهة البحث عند الشيخ الامام مبعدا ما زاده المستشرقون مما هو تحريف فى فهم الموضوع ، وما اثاره الشيخ الامام من زيادات توجيهية رغم اهتمام الدكتور البهي بها لانها توجيهات اصلاحية . وبعد هذا خلصت الى الفلسفة الحديثة وموقفها من الجبر والاختيار حيث اثارت قضية النسبية فى الارادة ، او الحتمية الارادية عند «شوبنهور» او الحتمية التاريخية عند هيجل من قبله معتمدا على نقط مجملة من الفلسفة المعاصرة فى قضية الجبر والاختيار وهي مبسوطة فى كتاب قصة الفلسفة الحديثة وكتاب العقل الاسلامي الحديث — وقصدي ان اظهر مدى استمرار صراع الفكر فى هذه القضية العويصة باختصار كامل . لانها ليست من صميم الموضوع ..ووقفت عند هذا الحد من بيان عدم وجود التضارب فى القرءان فى قضية الجبر والاختيار الذي يستلزم ان التفكير القرءاني موحد فى هذه القضية رغم ما يبدو من تعارض . هذا هو تصميم موضوع مقالي ، ثم بعد ذلك علق الاخ الكتاني على هذا المقال فاتهمني بكثرة الاغلاط اللغوية ، وعدم وضوح التعبير ، واثارة تعابير نابية ، وعجن الافكار وغير ذلك مما تعجبت ان يكتبه الاخ الكتاني . ولكن لا بأس فهل هو محق فى ذلك ؟ لقد حاولت ان اعطي عرضا مختصرا لوحدة التفكير فى القرءان فى تصميم ما اظن الافكار عجنت فيه عجنا وعلى سبيل المثال لذلك تعرضت لقضية الجبر والاختيار التي يثيرها كثير من المفكرين على اساس دراسة هذه القضية فى الفلسفة الاسلامية القديمة والحديثة والاتجاه العام ولم احلل ذلك بعمق لانني لست بصدد الكلام على الجبر والاختيار وانما بصدد ابعاد التناقض عن الآيات ، لذلك لجأت الى المصادر التفسيرية

والفلسفية والسلفية سواء في قضية الجبر والاختيار أو في مذهب التشبيه والتنزيه والتحليل والتحريم في بعض المحرمات «وهو الجزء الذي لم انشره بعد» فعرضت للاراء الاسلامية في اختصار تام ، وقد ذكرت في اول الامر اني لم اقدم تحليلات لم اسبق اليها ، بل تحليلات سبقت اليها ، فكيف يقول الناقد اني نسيت ان اذكر صاحب هذا التقسيم الغامض ، مع انه واضح جدا ! والذين وضعوه هم مفكرو الاسلام من عهد الفارابي الى عهد الشيخ الامام الذي احصى الايات المتعلقة بذلك في اربع وستين اية . وانا لم اذكر اسماءهم لاني قلت في اول المقال اني لن اقدم تحليلات لم اسبق اليها ، على ان هذا التقسيم مذكور في كتب تاريخ الفلسفة الاسلامية وكتب الشيخ الامام بالدراسات الاسلامية ، وانا لا ازعم ان هناك تناقضا بل بالعكس ارد على من يقول بالتناقض ، فكيف يجوز له أن يطلب مني « تحليلات عميقة » » « وتركيز جديد » «والاعتماد على منهج » جديد لانفي عن ايات القرءان التناقض الذي ازعم انها تشتمل عليه .

ثم كيف ينكر ناقد نزيه ان الطوائف الاسلامية كان يكفر بعضها بعضا في قضية الجبر والاختيار ، لان كل طائفة تتمسك بنص وتنفي ما عداه ، فما رأيها في النص الذي يعتمد عليه خصومها ؟ والمستشرقون وعلى رأسهم « جولد زهير » يرددون كلمة التناقض ولهم اثر لا ينكر في توجيه الدراسات الاسلامية المعاصرة ، فلم لا نهتم برد مزاعم التناقض ؟ ثم كيف يرى الاخ ان هذه القضية قتلت بحثا مع انها ما تزال قضية حية في التفكير الحديث ، وما الحتمية التاريخية عند هيجل والجبر الاقتصادي عند ماركس وقصة الحرية عند الوجوديين الا اراء في صميم الجبر والاختيار .

ولنفرض جدلا ان القضية قد انتهت في القرن الرابع الهجري «بالضبط» افلا يحق لنا ان نتساءل عن ادلة الجبريين وهم فرقة اسلامية عظيمة برجالها في تاريخ الفكر الاسلامي !

اما عن ملاحظة الاخ حول كلمة « الخفية » فليس المراد منها الكلمة غير الواضحة وانما معناها الكلمة المستورة التي تنفذ الى القلب ؛ فهي خفية في نفوذها الى قلب الانسان وعقله ، وهذا استعمال مشهور لا خفاء فيه ، وعن معاد ضمير «وهبه العقل» فهو يعود على الله تعالى في جملة يستمد وجوده من خالقه الذي هو الله تعالى .

واخيرا اثار ملاحظات لغوية ارى لزاما ان انبه اخوته الى الصواب لا لاني متعصب للخطا ، ولكن لاني اخطىء الصواب اذا صححتها فكلمة « جنح » استعملتها بمعنى « جعل له جناحا » كما في سائر كتب اللغة وكلمة حكم تتعدى بعلى وباللام ولو بناء اختلاف معنى الحرف ، «والانسان» اسم جمع «نحويا» لا « عمليا » فيوصف بمجموعته لانه يؤنث ويذكر كما في « لسان العرب » ، اما مصدر تطور تطورا فان جميع النحاة يذكرون اسم المصدر في توضا وضوءا وصلى صلاة وله وجه على هذا الاحتمال ، وأتعجب من ملاحظته على تاء « بعيدة » مع انه خطا مطبعي وفي وسعه ان يقرا ذلك السطر نفسه ليعرف اغلاط المطبعة في تغيير كلامه . .

وهذه اجوبة بسيطة على ملاحظات بسيطة . واخيرا اشكره على ضمير التثنية الذي اغفلت عنه .

الرباط : حسن السائح

الإسلام والمسلمون في بلاد النمسا

للأستاذ الشيخ طه الولي

عاد من النمسا الاستاذ طه الولي سكرتير جمعية المكتبات اللبنانية ، واحد كبار موظفي دار الكتب ، وقد كتب هذا التحقيق عن الاسلام والمسلمين فى تلـــك القطعة المضيئة من أوروبا بعد أن زارها بدعوة من مؤسسة هامر بورشتال التي تعتبر اكبر مرجع للاستشراق فى بلاد النمسا .

الرحلـة الى بـلاد النمسا :

اتيـح لـي ان ازور النمســا بدعوة من موسسـة « هاربورشتال » وهي موسسة ثقافية تهتم بالدراسات الشرقية وتومن للوافدين من الشرق الى النمسا لطلب العلـم الوسائل التـي تساعدهم على تحقيق ما قدمـوا من اجلـــه

ويشرف على هذه الموسسة شخصيات نمسويـة ، لها حظ من الثقافـة الاسلاميـة ، ومن هذه الشخصيـات الدكتور « رودلف باتيني » السكرتير العام للموسسة ، وهو رجل عالم في منتصف العقـد السـادس من عمره ، يمتاز باللطف والتهذيب وسعـة الاطـلاع على شوون العالم العربي ، وقـد سبق لـه ان زار الشرق الادنـى واجتمع الى عدد كبير من الجاليات العرب والمسلمين وتوطدت بينه وبينهم اواصر الاحترام والصداقة .

الجاليـة الاسـلاميـة :

وفي خلال اقامتـي في فينا ، خـلال شهري ايار وحزيران لاجل استكمال دراستي لعلم المكتبات ، تمكنت من الاتصال بعدد كبير من افراد الجالية الاسلامية المقيمين في بلاد النمســا والذين اكتسبوا نتيجة استقرارهم في هذه البلاد الجنسيـة النمسوية وتمتعوا بسائر الامتيازات التي يتمتع بها ابناء البلاد الاصليين .

وهذه الجاليـة الاسلاميـة في الواقـع تتألف من الاشخاص الذين يتحدرون من اصل عثماني او من الذين هاجروا من بلادهم لاسباب اجتماعية او سياسية او ادبية كالالبانييـن الارناووط واليوغوسلافييـن البوشناق ، وغيرهم من سكان المناطق التي انحسر عنها سلطان الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى او التي غمرتهـا الموجة الشيوعية في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

وهناك ، فئات كبيرة من المسلمين الاتراك الذين يقصدون النمسا طلبـا للـرزق عن طريق العمـل في المصانع والموسسات واعمال الطـرق . وهوءلاء يتجاوز عددهم الالفين من الانفس موزعون في مختلف المدن النمسوية وفق ما تقتضيه ظروف عملهم واختصاصهـم ، على ان اغلبهم يمارسون الاعمال اليدوية في شق الطرق ورصفها او اصلاحها ، ويتقاضون اجـورا لا تختلف عن امثالهم من ابناء البلاد الاصليين .

المسلمـون النمساويـون :

بالاضافة الى هذه الجالية التي ما يزال افرادهـا محتفظين بجنسياتهم القومية الاصيلـة ، فان هناك عـددا كبيرا من ابناء النمسا الاصليين الذين اختاروا الديانة الاسلامية عقيدة لهم بعد دراستها والاطلاع على مبادئها ،

وهؤلاء يحافظون على التمرس بشعائر الاسلام واقامة اركانه بكل اخلاص وصدق وايمان . وعددهم في الوقت الحضر محدود ، ولكنهم يتزايدون مع الايام ، ولقد اكرمني الله بهداية اثنين من النمساويين خلال اقامتي في فينا ، وقد ذكر لي احدهما ويدعى (بترروت) ان هناك طائفة كبيرة من ابناء البلاد سجلوا انفسهم في الدوائر الرسمية على انهم يؤمنون بالله دون التقيد بدين معين ، وهؤلاء يمكن ادخالهم في حظيرة المسلمين اذا وجدوا من يرشدهم الى تعالم الاسلام باسلوب منطقي وطريقة واضحة .

والمسلمون في النمسا يتمتعون بكافة الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها غيرهم من ابناء الاديان الاخرى بموجب القوانين والشرائع الموضوعة . وانهم اذا كانوا من ابناء البلاد ، يجدون امامهم نفس الفرص التي يجدها سائر مواطنيهم في مختلف مجالات العمل سواء في الحقل الاهلي او في دوائر الدولة الرسمية . فليس في النمسا تمييز بين ابناء الشعب الواحد بسبب العقيدة الدينية او المذهب السياسي او الاتجاه الفكري . ولقد تعرفت الى عدد من المسلمين النمساويين الذين يشغلون مناصب حكومية محترمة ويؤدون واجبهم في خدمة وطنهم كاي نمساوي آخر دون ان يكون اسلامه عائقا له عن بلوغ الرتبة الادارية او الفنية التي تؤهله لها كفاءته وامكاناته .

بل ان المسؤولين في النمسا كثيرا ما اظهروا عاطفة خاصة نحو مواطنيهم من المسلمين ، فلقد علمت من هؤلاء ان بلدية فينا قد تبرعت في زمن مضى بقطعة ارض كبيرة ليشاد عليها مسجد جامع يستخدمه المسلمون لاغراضهم الدينية والروحية والاجتماعية ، ولكن هذه البادرة لم تجد من يفيد منها في الوقت المناسب مما جعل الدوائر البلدية تعود عن تبرعها الذي اعتبرته في غير محلــــــه .

على ان الاتصالات التي قمت بها خلال وجودي في النمسا ادت الى اعادة النظر في موقف البلدية التي ابدت استعدادها لتقديم الارض مجددا اذا وجدت من المسلمين الحماسة الجدية لاستغلالها فيما قدمت من اجله .

النشاط الاسلامــي في النمسا :

علاقة النمسا بالاسلام والمسلمين ليست حديثة ، بل هي ترجع الى ذلك العهد الذي انطلقت فيه جحافــل العثمانيين تحت راية « لا اله الا الله محمد رسول الله» باتجاه الغرب حتى نطحت باسنة رماحها اسوار فينــا بالذات مرتيــن متواليتين في القرنين السادس عشر والـرابع عشر . ولولا ان اوربا تنادت يومها الى وقف الزحف العثماني بكافة قواها وامكاناتها العسكرية لكان الوضع الديني في هذه القارة على غير ما هو عليه الآن .

وعلى الرغم من الملابسات التاريخية التي رافقت طبيعة الاحتكاك بين الشرق المسلم والغرب المسيحي ، على الرغم من هذه الملابسات فان الروح المهيمنة اليوم في النمسا تمتاز بالاعتدال والتعقل فيما يتصل بصدد الوجود الاسلامي في ربوعها . ولقد لمست بنفسي رغبة المسؤولين في النمسا في توفير كافة وسائل الطمانينة والراحة للمسلمين من مواطنين او مقيمين او عابري سبيـــــل .

الجمعيــة الاسلاميــة النمساويــة :

ومن دلائل التسامح الرسمي والاهلي في النمسا مع المسلمين هو وجود « الجمعية الاسلامية النمساوية » .

وهذه الجمعية هي مؤسسة اجتماعية ثقافية ، غايتها جمع شمل مسلمي النمسا في نطاقها ورعاية مصالحهــم وتامين احسن الظـروف لوجودهم في هـذه البـلاد . وبالتالي فانها تحاول ان تكون في خدمة اي مسلم يقصد النمسا ، وتضع تحت تصرفه الوسائل التي تمكنه من التعرف على اخوانه في الدين والاجتماع بهم في ناديها القائم في وسط فينا .

ورئيس هـذه الجمعية هـو الدكتور احمد عبد الرحيم زاهي ، افغاني الاصل نمسوي الجنسية ، يعاونه سكرتير الجمعية الدكتور اسماعيل باليش يوغوسلافي الاصل نمسوي الجنسية . وللجمعية مجلس ادارة يضم نخبة من الشخصيــات الاسلاميــة المشهـود لها بالفضل والاخـــــلاص .

ولا بد من الاشارة الى ان الدكتور باليش سكرتير الجمعية يعتبر احد اركان الدراسات الاسلامية في النمسا

ويشغل حاليا منصب مدير القسم الاسلامي في المكتبة الوطنية الكبرى وله عدة مؤلفات عن الاسلام والنبي عليه الصلاة والسلام وتفسير سورة يس باللغة الالمانية. والدكتور باليش يتمتع في الاوساط الاجتماعية والعلمية بالنمسا بمكانة مرموقة تساعده على خدمة اخوانه المسلمين وتأمين مصالحهم في الدوائر الرسمية.

وهذه الجمعية الاسلامية تسد فراغا كبيرا في ميادين العمل الاسلامي. ويعتبر ناديها مركزا لتلاقي المسلمين في اوقات معينة كما يعتبر هذا النادي مدرسة يتلقى فيه ابناء المسلمين دروسا في الدين والسيرة وتلاوة القرءان الكريم على يد استاذ مختص.

وفي نادي هذه الجمعيات تعرفت الى العديد من اخواني الطلبة العرب وابناء الجالية الاسلامية في فينا بمناسبة حديث القيته بدعوة من الرئيس الدكتور احمد عبد الرحيم زاهي.

ولا بد من القول بان الجمعية الاسلامية التي نحن بصددها تبذل جهودا كبيرة في خدمة رسالة الاسلام ومبادئه القومية وهي شبه عزلاء الا من ايمان اركانها وعزيمتهم وصبرهم.

واني اذ اتحدث عن هذه الجمعية لا يعني الا التنويه باعضائها لما اسبغوه علي من فضل حين وضعوا شخصي الضعيف في ضيافتهم شطرا من اقامتي في فينا مع توفير كافة اسباب راحتي واستقراري.

واني اتمنى، بهذه المناسبة، على ممثلي الدول الاسلامية بالنمسا، ان يتجاوبوا مع هذه الجمعية الراقية في مشروعاتها الدينية والثقافية على المستوى الذي يرفع رأس المسلمين ويجعلهم محل احترام الاخرين في تلك البلاد الاوربية السحيقة.

الطلاب العرب في النمسا:

في النمسا مجموعة كبيرة من الطلاب المسلمين، بعضهم في العاصمة فينا، والبعض الاخر في المدن الاخرى، واهمها غراتس. واغلبهم يتخصصون في علوم الطب والهندسة. وهؤلاء الطلاب ينتمون الى جنسيات مختلفة، ففيهم العربي والايراني والباكستاني وغير ذلك من ابناء البلدان الشرقية والافريقية.

ولقد سمحت لي الظروف بان اجتمع الى اكبر عدد من اخواني الطلبة العرب في عدة مناسبات. لا سيما حين طلبوا الي اقامة الجمعة فيهم، وانه من الانصاف ان اشير بهذه المناسبة الى الروح الوطنية التي تخفق بها قلوب هؤلاء الطلاب، فانهم الى جانب عنايتهم بدراساتهم المختلفة لا يدعون فرصة تمر دون معالجة قضية الاسلام الاولى ـ فلسطين ـ بما يسعهم من جهد القول والكتابة والعمل، وكثيرا ما يتبرعون باموالهم لخدمة هذه القضية المقدسة.

وكثيرا ما قرأت لهم نشرات تتضمن الدفاع عن حق العرب في «فلسطين» وبيان زيف العدوان اليهودي على هذه الارض المقدسة.

وهم يتبادلون فيما بينهم نشرات مطبوعة على الستنسل عنوانها المسلم المغترب، ومصدرها ميونيخ في المانيا، وفي هذه النشرات مقالات باقلام الادباء من هؤلاء الطلاب في بيان التعاليم الاسلامية والحض على التمسك بالمبادىء الدينية والاخلاقية. ولست انسى تلك الوجوه الوطنية التي لبت نداء الجمعية في قاعة استؤجرت لهذا الغرض والتي استمعت الي وانا اخطب للجمعية في موضوع فلسطين وقد اغرورقت عيونها بالدموع وتصعدت من صدورها الزفرات الحرى معبرة عما يضطرم في جنباتها من غيرة دينية وحمية وطنية. اجل لست انسى تلك الوجوه، فلقد رايت ملامحها الثائرة العزيمة الصادقة على العمل من اجل عزة العرب ومجد الاسلام.

مجلات وصحف عربية:

ان الطلبة العرب في النمسا حريصون على تتبع احوال بلادهم، كما هم حريصون على تغذية نفوسهم بكتابات الصحف ذات المبادىء السليمة، ولقد كان من اسباب سروري اني كنت ارى مجلة «المسلمون» في بعض بيوت هؤلاء يقراونها من الغلاف للغلاف، ويتداولونها فيما بينهم ليفيد منها اكبر عدد منهم، كما يهمني بهذه المناسبة ان اتوجه بالنداء الى اصحاب الصحف الاسلامية والعربية بان لا يبخلوا على اخواننا الطلبة بما يصدرونه من مطبوعاتهم التي يجد فيها هؤلاء غذاء روحيا لهم في ديار غربتهم يساعدهم على مواكبة تطور الحياة في بلادهم والمساهمة في خدمة هذا التطور الى الافضل.

مؤسســـة الافرو اسياتيــك :

هذه المؤسسة ظاهر امرها، انها في خدمة الطلاب الوافدين الى النمسا من بلدان اسيا وافريقيا للدراسة. وهي مجهزة بكافة الوسائل والادوات الصالحة لاستقبال الغرباء ، وفيها موظفــون مختصــون يضعون انفسهم في خدمة هؤلاء الغرباء، وفيها قاعة محاضرات تعطى بالمجان لمن يطلبها من المنظمات الطلابيــة للاغراض الفكريــة والثقافيـــــة .

وعلى الرغم من ان هذه المؤسسة يشـرف عليهـا ويديرها اشخاص تابعـون للكنيســة الكاثوليكية ، فان هؤلاء حريصون على اعطائهـا الطابـع العلماني دون سواه . ولكن هـذا لـم يمنع بان تكون من طريق غيـر مباشر ، احدى وسائل الدعاية الكاثوليكية التبشيريـة ، ولكـن باسلـوب مغلـف بالخدمات العامـة والنشـاط الثقافـــي .

اجتماعي بالكردينال كونيغ رئيس اساقفة النمسا:

الكثلكة هي المذهب المسيحي السائـد في النمســا ويراس الكنيســة الكاثوليكية هناك الكردينال كونيغ وهو رئيس اساقفة النمسا ، والشخص الثاني بعد البابـا في الفاتيكان . وتعتمد عليه الدوائر البابوية في علاقاتهـا مع غير الكاثوليـك في العالم نظرا للثقافة الواسعـة ، واطلاعه المكين على الاحوال العالمية بالاضافة الى انه يتقن حوالي تسع لغات معروفة . وهو المسيحي الرسمي الوحيد الذي تسمح له البلدان الشيوعية بدخول اراضيها لتفقد رعايا الكنيسة الكاثوليكية فيها .

ولقد دعاني الكاردينال كونيـغ الى زيارتـه في مقره الرسمـي في فينا ، فلبيـت دعوتـه وانا بالثـوب الديني ، فكانت فرصة جميلة مكنتني من التفاهم مع هذا المسؤول المسيحي الكبيـر على افضل الوسائل للتعـاون بين الاسلام والمسيحية لمقاومة موجة الالحاد في العالم ، وكان موقفه مشجعا لا سيما وقد كانت زيارتـي لـه في اعقاب زيارته للقاهرة حيث القـى بالازهـر الشريف محاضرة في موضوع التقارب بين الاسـلام والمسيحيـة حازت اعجاب اصحاب الفضيلة العلماء المسلمين .

ولقد كانت هذه الزيارة مناسبة اتاحت لي التحدث مع هذه الشخصية ذات النفـوذ الكبيـر في بلادها في موضوع الظروف المحيطة بمسلمي النمسا ، والعمل على مناقشة هذه الظروف بما يتلاءم والرغبة المشتركة في تاكيد الثقة المتبادلة بين المؤمنين بوجود الله عز وجل ، وانتهزت الفرصة فشكرت المسؤولين النمساويين على ما يبدونه من روح ايجابية في هذا الصدد .

الدعوة الاسلامية في اوربا :

وقبل ان اترك القارىء الكريم يهمني ان الفت نظر اخواني المسلمين في العالـم الى ان في اوروبـا متسعا لخدمة المباديء والافكار الاسلامية عن طريـــق الحجة والمنطق والرأي السديد . وانه لمن المستحسن ان توزع في كل بلد اوروبي ، نشـرة دوريــة تتضمن الموضوعات التي يمكنها ان تعطي فكرة واضحة عن مزايا الاسـلام وصـلاح تعاليمـه في حل مشكـلات الانســان ومعضلات العصر الراهن .

استعداد الاوروبيين لتفهم الاسلام :

واني لعلـى ثقـة بان كثيريـن من ابنـاء اوروبا سيقبلون على قراءة هذه النشرة الدينية بروح ايجابيـة لا سيما وان الجو المخيم على العالم الغربي اليـوم هـو جو القلق الذي يبعث في النفس الرغبـة الملحـة في طلب الخروج منه الى راحة الطمانينة والاستقرار ولا حرج في اخراج هذه الفكـرة من حدود الـرأي الى نطاق التنفيذ لان غشاوة العداء للاسلام بدأت تنحسر عن افق المثقفين في اوربا اذ بدأ هؤلاء يميلون الى معالجة مفاهيم هذا الدين الحنيف من خلال الحقائق العلميـة والوقائع التاريخية واذا نحن احسنا انتهاز الفرصة فان الامل كبير في ان ياتي يوم غير بعيـد ورسالة القرءان في جملة الحلول التي يمكن اعتمادها لاخراج الحضارة الاوربية من المأزق الذي وضعتها فيه المباديء التـي تتخذ افكار الخالق قاعدة لانطلاقها بين النـاس وترى الوجود ظاهرة مادية لا علاقة للروح فيها .

بيـروت ـ الشيـخ طه الولي



للأستاذ الرضي الحسامي الهاشمي

- 3 -

القبيلة الثانية : كنانة

لقد احصيت 29 لفظة كنانية فى القرآن الكريم عدا ما لم انتبه اليه . وهذه الالفاظ هي :

1 ـ لفظة « **الخاسئين** » فى قوله تعالى : ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا خاسئين . سورة البقرة الاية 64 .

واعتقد ان معناها صاغرين فى هذه اللغة ، لان الخلاف حول معناها شديد جدا . فالزجاج يظن ان ان معناها مبعدين ، بينما جمهور الشراح على ان معناها مدحورين . ويخيل الي ان الزجاج يعطي لهذه المادة «خسأ» معنى واحدا هو التباعد الا فى لفظة واحدة سأذكرها بعد قليل . فقد شرح قوله تعالى : قال اخسأوا فيها ولا تكلمون ب : « تباعدوا فيها » وشرحه هذا يوافق معنى الحديث : خسأت الكلب اي ابعدته ، واللفظة التي اعطاها الزجاج معنى آخر غير التباعد هي « خاسئا » فى قوله تعالى : « ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » وقد شرحها رحمه الله ب « صاغرا » ونظرا لهذا الاجماع فضلت ان يكون معنى خاسئين التي نحن بصدد الكلام عنها : « صاغرين » .

2 ـ كلمة «**شطر**» : الكائنة فى سورة البقرة الاية 144 ومعناها التلقاء والنحو .

3 ـ مفردة « **حصور** » : من سورة آل عمران الاية 39 ومعناها بهذه اللغة : « الذي لا حاجة له فى النساء » هذا عندي هو المشهور ، اما ما ذهب اليه بعض الشراح ، وهم كثيرون ، فضعيف لا اعتز به ، الا ان يظهر لي دليل قاطع على صدق زعمهم وبطلان ما ارجحه ، وفى انتظار هذا فشرحهم كلمة حصور الكنانية بقولهم : هو الذي لا يدخل مع القوم فى الميسر ضعيفة . ولقد اعتمد كثير من الشراح على الشعر العربي لتفسير هذه اللفظة ، وهم يقدمون فى ذلك قول الاخطل :

وشارب مربح بالكاس نادمني
لا بالحصور ولا فيها بسئار

ويفسر شراح هذا البيت لفظة الحصور بانه « الرجل الذي يمنع نفسه من الدخول على القوم فى لعب الميسر » .

ولكن هذا اذا كان صحيحا ، فهو معنى لاحق ، اما نحن فنعطي الكلمات معناها الاول فى لغتها الاصلية ، ولا يهمنا بعد ذلك ما آلت اليه المفردة ، بعد ان دخلت لغة قريش ، واخضعتها لناموس قواعد اللغة العربية واشتقاقاتها .

4 ـ اما لفظة « **تدخرون** » فى الاية 49من سورة آل عمران فالخلاف فيها قائم على اشده . ولكنهم يكادون يتفقون جميعا على انهاان قرئت مثقلة فتميمية، واما ان قرئت مخففة فكنانية ، ولهذا ادمجناها هنا . والملاحظ ان هذه اللفظة كتبت بدال مهملة فى جميع المصاحف التي بيدي وقواميس الفاظ القرآن الكريم التي رجعت اليها .

لكن الامام الزمخشري يعلق عليها تعليقا خفيفا فيقول : وقرىء تدخرون بالدال والتخفيف ، وهو تعليق بسيط لا يشفي الغليل ، ولم يعودنا على مثله الامام جار الله، وهوما هومن اتقان اللغة العربية والبحث عن غوامضها والغوص الى اعماقها . والظن عندي ان هذه المفردة لم تنل ما كانت تستحقه من بيان عند الشراح والمفسرين ولكتابتها بدال مهملة او بذال

معجمة وجوه ، ولابد ان يختلف معناها فى احدى هذه الوجوه على الاقل . فا نقدرنا انها لما دخلت لغة قريش بهذا المعنى الذي اشرنا اليه سابقا والذي لا زالت تعرف به حتى الان كتبت بدال مهملة فرسمها الان فى مصاحفنا على هذا الشكل الذي توجد عليه لا يكون مشكلا ذا بال ، اذ نعرف ان وزن افتعل حينما تكون فاؤه دالا ، او زايا او ذالا فان التاء الزائدة تقلب دالا ، فيجتمعا مثالان ويقع الادغام ، وهذا هو سر تدخرون المثقلة ، وهي كما يقول بعض المهتمين بهذا الامر ، تميمية لا كنانية ، اما انا فاستبعد دخول هذه المفردة الىاللغة العربية الفصيحة بدال مهملة كما سبق ان بينت اعلاه ، لان دخر بهذا الرسم لها معنى آخر غير الذي تقصد اليه الاية الشريفة وهو الذل والصغار . ولهذا استبعده كل البعد . فلم يبق الا ذخر بذال معجمة . واذا كان الامر كذلك ، فيحق لسائل ان يسأل : ولماذا اذن ، والحالة هذه ، كتبت تدخرون بدال مهملة فى جميع المصاحف المشهورة ؟ والجواب عن هذا السؤال بسيط للغاية . فتاء افتعل قلبت دالا مهملة لان فاء الفعل ذال ، وهم فى هذه الاحوال يتبعون طريقتين ، اما ان يحولوا الدال المنقلبة عن التاء ذالا معجمة ، ثم يدغمونها فى الذال الاصلية ، فتصير تذخرون بذال معجم .

وقليل ما اختاروا هذا الطريق ، واما ان يقلبوا تاء افتعل دالا مهملة ثم يحولون الذال الاصلية الى دال مهملة ايضا ، فيجتمع المثالان ويقع الادغام وهذا هو المشهور عندهم .

ويخيل الي انه يكاد يكون مطردا . ويعزز ذلك ما جاء فى القرآن الكريمعلى هذاالشكل وجميعه مهمل، كما فى الاية 45 من سورة يوسف قال تعالى : « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون » واصلها اذتكر ثم قلبت الى اذذكر ثم الى اددكر ثم الى ادكر .

ولفظة مدكر الموجودة ستمرات فىست آيات من سورة القمر .

5 — **«خلاق»** ومعناها بلغة كنانة نصيب وتوجد فى الاية 77 من سورة آل عمران التي يقول فيها عز وجل : ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم » .

6 — **«فورهم»** : الكائنة فى سورة آل عمران الاية 125 والتي كانت تدل فى لغة كنانة على الوجه ويقال انها كانت مستعملة بهذا المعنى عند هذيل وقيس غيلان ايضا . ولاشك ان معناها لم يتغير بمرور القرون ، فهي تدل الان فى اللغة العربية الفصيحة على الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج ، كانه لم يجد الوقت ليدير وجهه لشيء آخر غير الذي هو بصدده ، وهذا دال على السرعة .

7 — كلمة « **مبلسون** » ومعناها آيسون من كل خير ، الاية 44 من سورة الانعام . شرحها الزمخشري بقوله «واجمون» متحسرون « آيسون » وسأتعرض لها ولاخواتها بشيء من التفصيل فى رقم 18 . ولا أدري لماذا أصررت على توزيعها .

8 — **«تهنوا»** : الموجودة فى سورة آل عمران ايضا ، الاية 139 . ومادتها الاصلية فى اللغة العربية وهن ومعناها بلغة كنانة تضعفوا ولكن قريش شاركتها فى هذا المعنى ايضا . ولها نفس المعنى فى الايات الاخرى . وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم » .

9 — لفظة « **ملوكا** » فى الاية 20 من سورة المائدة ومعناها احرارا .

10 — **«قبلا»** : بكسر القاف وفتح الباء لغة كنانية ومعناها بهذه اللهجة عيانا . اما من قراها بضم القاف والباء يكون اعطاها معنى فوجا ، ويكون قراها بلغة تميم . وهي موجودة فى الاية 111 من سورة الانعام . وقد وردت هذه اللفظة بالقراءتين فى سورة الكهف الاية 55 وبالمعنيين المذكورين ايضا . ويجوز قراءتها بفتحتين ان اريد اعطاؤها معنى «مستقبلا» اي ياتيهم العذاب مستقبلا . فانظر الى خفة هذه اللغة وجمالها ، لله درها .

11 — **«معجز»** فى الاية : فسيحوا فى الارض اربعة اشهر ، واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين . وهي الاية الثانية من سورة التوبة . ومعناها « سابق» بلغة كنانة . وكل لفظة مشتقة من هذه المادة فهي كنانية .

12 — **«يعزب»** فى قوله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء » وهي كائنة فى سورة يونس الاية 61 . واللفظة موجودة ايضا فى سورة سبأ الاية 3 ، وكلها بمعنى يغيب كما هو معروف عندنا الان فى اللغة العربية الفصيحة .

13 — كلمة «تبتئس» : في سورة هود ، الاية 36 التي يقول فيها الحق سبحانه : « واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » ومعناها تحزن ، كما وردت بهذا المعنى ايضا في الاية 69 من سورة يوسف .

14 — «ولا تركنوا» معناها بلغة كنانة لا تميلوا الكائنة في سورة هود الاية 113 . وتقرا عند جمهور القراء بفتح التاء اوضمها مع فتح الكاف وقد قرأها أبو عمرو رضي الله عنه بكسر التاء على لغة تميم ، وعندي ان قراءتها بفتح التاء افضل ذلك ان من قرأها بكسر التاء ظن انها تميمية ولم تقم لحد الساعة الحجة الا على انها كنانية ، ولم يصلني انها تميمية قط ، ولهذا كنت مضطرا ، عفا الله عني ان اخالف هذا الشيخ الجليل ، الوقور ، الثقة .

وهذا الميل الذي ينص عليه معناها هو ميل خفيف لا يظهر للمتامل الا بالسبر الطويل ، والبحث المتواصل ، ومع ذلك نهى الحق سبحانه عباده ان يميلوا ولو بهذه الصفة التي اشرت اليها ، الى الذين ظلموا ، مخافة ان يمسهم النار ثم لا ينصرون .

قال الزمخشري موضحا ذلك : وتأمل قوله « ولا تركنوا » ، فان الركون هو الميل اليسير . وقوله « الى الذين ظلموا » اي الى الذين وجد منهم الظلم ، ولم يقل الى الظالمين » .

ولقد اعطتنا هذه المادة كلمات اخر في القرآن الكريم ، جاء اثنان منها في سورة هود وثالثة في سورة الاسراء الاية 74 ورابعة في سورة الذاريات الاية 39.

15 — «السرابيل» سربال ومعناه بهذه اللغة الدرع الواقي من الباس ، سورة النحل الاية 81 . ويخيل الي ان هذه المفردة صارت لما دخلت لغة قريش تعني كل ما يقي من الباس ا والبرد او الحر ويوضع على الجسد . ولهذا شرح الزمخشري في كشافه واحمد المحلي وابو بكر السيوطي السرابيل الاولى في الاية بالثياب والقمصان من الصوف والكتان . والجدير بالذكر هنا ان الشيخ محمد عليان المرزوقي ، صاحب الحاشية المشهورة على تفسير الكشاف يأخذ على الزمخشري سكوته ، آن شرحه لهذه المفردة عن القبيلة التي تستعمل عادة سرابيل في لهجتها ، ولهذا رايناه يضيف على الشرح السابق : «يعني عند العرب ، وخصوصا قطان الحجاز ، وهم الاصل في هذا الخطاب » . ورغم ان الاية قرنت على اعرابي واحد كما اخرجه ابن ابي حاتم عن مجاهد ، الا ان الخطاب موجه حقيقة في اصله وفصله الى العرب جمعاء ، بل الى البشرية كافة لان الناس كلهم ، الا من اخذ الله بيده ، يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها .

16 — «فجوة» في سورة الكهف الاية 17 ومعناها الناحية بلغة كنانة .

17 — «الضد» في الاية 82 من سورة مريم: « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » . ومعناه في لغة كنانة العدو والخصم .

18 — لفظة «الابلاس» الموجودة خمس مرات في القرءان الكريم .

ا — في الانعام ، الاية 44 : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » وقد سبقت الاشارة اليها في رقم 7 .

ب — في المؤمنون الاية 77 : « حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون »

ج — في الروم ، في آيتين الاولى 12 « يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون » . الثانية 49 : « وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين » .

د — في الزخرف — الاية 75 « لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون » وجميعها كنانية بمعنى الياس من الخير والسكوت والانكسار غما وحزنا ، وقد دخلت هذه المفردة للغة العربية واستعملت فيها استعمالا واسعا في الشعر والنثر ، ليس هذا مكان بسط القول فيها .

19 — «السرد» اسم جامع للدروع بلغة كنانة الاية 11 ، سورة سبأ التي يقول فيها سبحانه: « وقدر في السرد » وقد شرحها ابن منظور في كتابه لسان العرب بقوله : « هو الا يجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا فيفصم الحلق ، ولا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل او ينخلع او يتقصف اجعله على القصد وقدر الحاجة » . وهو كلام جميل كما ترى .

20 — كلمة « دحور » في الاية 9 من سورة الصافات ، ومعناها الطرد بهذه اللغة .

21 ـ «او» الموجودة في الاية 147 من سورة الصافات : « وارسلناه الى مائة الف او يزيدون » كنانية ومعناها بل .

22 ـ «اواب» : سورة ص الايات 17 ، 19 ، 30 ، 44 سورة ق الاية 32 ومعناها بهذه اللغة المطيع. ولم تكن هذه اللفظة مقتصرة على لغة كنانة فقط ، بل كانت مستعملة بهذا المعنى ذاته في لغة هذيل وقيس غيلان .

23 ـ «بركنه» . لقد سبقت الاشارة لهذه المادة في الرقم 14 من هذه الحلقة ، وقلت هناك انها تفيد معنى الميل بالشكل الذي بينته ، غير ان هذه اللفظة في هذه الاية 39 من سورة الذاريات : « فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون » قد يكون لها ، او على الاقل ، خيل الي ان لها في هذه اللغة معنى آخر دقيقا ، وجبت الاشارة اليه ، وهذا المعنى هو الرهط من انصاره وجنوده ومؤيديه . وقد شرح المفسرون هذه المفردة شروحا مختلفة ، وفقوا في بعضها واخفقوا في البعض الاخر ، ويظهر هذا الاضطراب جليا عند القراء ؛ فمنهم من قراها بسكون الكاف ، وهي القراءة المشهورة عندنا في المغرب ، ومنهم من قراها بضم الكاف ، ولا ارى لها وجها .

24 ـ كلمة «مدينين» في الاية : « فلولا ان كنتم غير مدينين » من سورة الواقعة ومعناها مبعوثين بلغة كنانة يزعم الشراح القدماء ان هذه المفردة مستعملة ايضا في لغة حمير بمعنى « محاسبين » .

25 ـ لفظة « اسفارا » في الاية 5 من سورة الجمعة ومعناها كتبا .

26 ـ كلمة « اقتت » في الاية 11 : « واذا الرسل اقتت » سورة المرسلات ، ومعناها جمعت في هذه اللغة .

27 ـ «سفرة» الاية 15 من سورة عبس . ومعناها كتبة ، وهي من نفس المادة التي اشرت لها في الرقم 25 من هذه الحلقة . جاء في الصحاح : ان مفرد سفرة سافر ، ككافر كفرة .

28 ـ **الثاقب** في الاية : « النجم الثاقب » رقم 3 من سورة الطارق ، ومعنى هذه اللفظة في لغة كنانة المضيء .

29 ـ «كنود» في الاية 6 : « ان الانسان لربه لكنود » سورة العاديات ومعناها كفور للنعم .

قال الكندي الكنود بلسان كندة العاصي ، وبلسان بني مالك ، البخيل ، وبلسان مضر وربيعة الكفور .

هذه الالفاظ الكنانية المستعملة في القرءان الكريم، ومن الجائز جدا ان اكون قد اغفلت منها كلمات اخر فالقرءان بحر يصعب على من كان ضعيفا مثلي ان يلج غماره دون ان يقع في الزلل . لكن حسبي انني حاولت ، بنية خالصة ، تصنيف هذه الدرر التي كانت حتى اليوم مبعثرة ، مشتتة في امهات يصعب الرجوع اليها .

والله ولي التوفيق .

اكدير : الراجي التهامي الهاشمي

مع الدكتور: عزيز بلال:

حول ندوة الماركسية والاسلام

للاستاذ عبد القادر القادري

في الندوة التي نظمتها جمعية الطلاب بقاعة المحاضرات بالشبيبة والرياضة بتاريخ 16 مارس 1966 بعنوان : (الماركسية والاسلام) حيث القى فيها كل من الاستاذ حسن السائح والدكتور المهدي بن عبود والدكتور عزيز بلال محاضرة حلل فيها المحاضر الاول الماركسية كمذهب وتكلم فيها المحاضر الثاني ما شاء الله ان يتكلم وقال ان (خلاص المسلمين من تخلفهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري يكمن في كلمة واحدة هي العدل، فبالعدل تقدم المسلمون ، وبغير العدل تاخروا ، لان العدل اساس العمران . ولن يتقدم المسلمون في العصر الحاضر الا بالعدل الذي جاء به القرءان الكريم لا بالماركسية وغيرها من المذاهب الاوربية)

اما الدكتور عزيز بلال فقد تشبث برا ّيه القائل : (ان خلاص المجتمع الاسلامي يكمن في الماركسية التي تحارب الاستغلال والاقطاع .... وان الهند تعاني مجاعة خطيرة جدا وان المغرب مستعمر (فتحا) اقتصاديا) .

وهذه الانتقادات هي انتقادات مردودة في را ّينا للاسباب الاتية وهي :

اولا ــ ان السبب في مجاعة الهند هو دين الهندوس الذي يحرم اكل لحوم البقر وقتل الحيوان فملايين الفئران التي تلتهم صباح مساء محصولات الهند الزراعية بدون رقيب وملايين البقر والقردة التي تلتهم هي ايضا الفواكه والخضراوات الهندية ، يتركها الهندوس في ماّمن من الذبح والقتل لان ارواح اجدادهم تتقمص فيها حسب اعتقادهم ، ولو اعتنق الهندوس الاسلام لقضوا على مجاعة بلادهم اذ لا مجاعة في الباكستان التي يدين اهلها بالاسلام .

ثانيا ــ ان المغرب يوجه سياسته الاقتصادية والجمركية الوجهة الصالحة له ولا يخضع في ذلك لاي اجنبي لانه يتمتع باستقلاله الكامل بينما نرى بلدان ءاسيا الوسطى وما وراء القوقاز وسيبريا وجزيرة القريم الاسلامية لا تتمتع الا باستقلالها الداخلي بسبب انضمامها الى الاتحاد السوفياتي الموكول امره الى مجلس السوفيات الاعلى بموسكو .

ولا يخفى على الدكتور عزيز بلال ان بلاد المغرب والجزائر وتونس سبق لها ان رفضت كلها باباء وشمم الدخول في الاتحاد الفرنسي الذي كانت فرنسا تريد اقحام المغرب العربي فيه فلم تنجح .

ثالثا ــ ان الماركسية التي تحارب الاستغلال تتصرف في ءاسيا الوسطى وما وراء القوقاز وسيبيريا الاسلامية تصرف السيد المطلق ولا توجه تكلم البلدان الاسلامية الداخلة في الاتحاد السوفياتي سياستها الاقتصادية الوجهة الصالحة لها وانما يسير اقتصادها في ركاب الاقتصاد السوفياتي .

واذا كان البوصيري رحمه الله قال في همزيته : (وبضدها تتميز الاشياء) فيحق لكل مسلم ان يستعرض تاريخ الاحتلال الاوربي للبلدان الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها وما ءال اليه في اعقاب الحرب العالمية

الثانية ليكون على بصيرة من مستقبل الاسلام والمسلمين في العالـــم .

فقيما يخص احتلال روسيا لاراضي الاسلام : فقد احتل الروس سيبيريا عام 1581 م بدخول الجيوش الروسية للعاصمة (ايسكر) بعد سقوط السلطان كرجم خان رئيس دولة بني قوندي في ساحة الوغى . وفي عام 1954 احتلت روسيا دولة استراخان الاسلامية . وفي عام 1670 م احتلت روسيا اراضي مسلمي اورال . وفي عهد القيصرة كاترين استولت روسيا على جزيرة القريم بالبحر الاسود . وفي عام 1864 م استولى الروس على بلاد القوقاز بعد وقوع قائدها الاعظم الامام شامل اسيرا في قبضة اسكندر الثاني قيصر روسيا عام 1859 م ودخول الجنرال تشرتايف الروسي الى طشقند . وفي عام 1882 م وضعت روسيا امارتي بخارى وخيوه تحت الحماية الروسية . وفي عام 1923 استولى الروس على اذربيجان . وفي عام 1884 تم للروس الاستيلاء على التركستان بعد حروب عديدة وطويلة دامت عدة اعوام.

وفيما يخص احتلال انجلترا لاراضي الاسلام : فقد احتل الانجليز البنغال عام 1757 م والبنجاب عام 1849 م ونيجريا عام 1851 م ومصر عام 1882 م والسودان عام 1898 م والعراق عام 1919 م والاردن عام 1920 م وفلسطين عام 1920 م وزنجبار عام 1870 م وجزيرة قبرص عام 1878 .

وفيما يخص فرنسا : احتل الفرنسيون الجزائر عام 1847 م بعد سقوط الامير عبد القادر الجزائري في قبضة الجيوش الفرنسية ، وعام 1860 م تونس وعام 1882م السينغال وعام 1882 م جزيرة مدغشقر وعام 1912 م المغرب ولم يتم لفرنسا احتلال المغرب عسكريا الا في عام 1935.

وفيما يخص احتلال ايطاليا لاراضي الاسلام : احتل الايطاليون ليبيا عام 1911 م والصومال وايرتيا عام 1887 م

وفيما يخص احتلال اسبانيا لاراضي الاسلام : فقد احتل الاسبان الريف عام 1914 م ولم يتم لهم احتلاله الا عام 1926 م بعد الحرب الريفية وتسليم المجاهد عبد الكريم الخطابي نفسه الى فرنسا

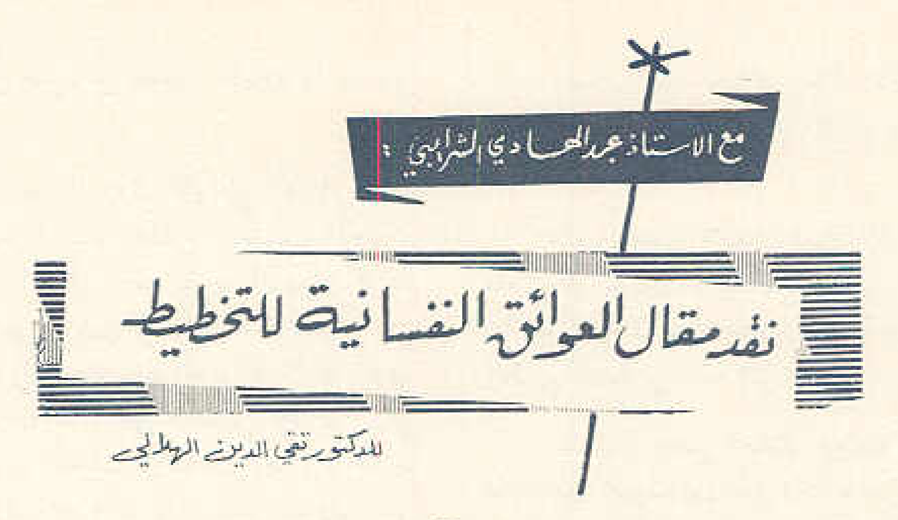
اما فيما يخص احتلال هولندة لاراضي الاسلام : فقد احتل الهولنديون عام 1621 م جزيرة جاوة وعام 1874 م جزيرة سومطرا ، وهما ما تعرفان اليوم باندونيسيا

ولعله من الواجب الديني التذكير بان اهم حادث وقع في منتصف القرن العشرين هو انتفاضة الشعوب الاسلامية في اندونيسيا وماليزيا والهند والعراق وسوريا ولبنان والاردن ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والسينغال ونيجيريا وغينيا وغانا والصومال وايرتيا وزنجبار ومدغشقر والسودان التي كانت كلها ترزح تحت نير استعمار دول غرب اوربا الراسمالية : (انجلترا ـ فرنسا ـ هولندة ـ ايطاليا ـ اسبانيا) وطردها المستعمر الاوربي الرأسمالي من بلادها .

ومن الغريب ان تكون الدول الراسمالية التي يعتبرها كارل ماركس اعلى مراحل الاستعمار هي التي منحت الشعوب الاسلامية استقلالها الكامل في منتصف القرن العشرين .

وذكر فان الذكرى تنفع المومنين

الرباط ـ عبد القادر القادري



-11-

ملاحظـة على ملاحظـة

اطلعت على النقد الموسوم « بالعدد الماضـي في الميزان » للاستاذ عبد الهادي الشرايبـي فرايت فيه ما نصه : اما بحث الدكتور الهلالي في نقد مقال العوائق النفسية ، فاولى به ـ كما لوحظ في اعداد سابقة من المجلة ـ ان ينشر في كتاب ، اذ انه يعني قلة من الباحثين ، بالاضافة الى انه ينشر علـى اجزاء متفرقـة اهـ.

وكان ينبغي للاستاذ الشرايبي ان يبدي رأيـه اولا في الموضوع ، هل هو حق او باطل ؟ وهل هـو مستقيم الحجج او معوجها ؟ وهل وفى بالغرض المطلوب منه ام لا ؟ فهذه امور جوهرية يجب البدء بها قبـل النظر في نشره مجموعا او متفرقا ، لان ذلك امـر عرضي كمالي في نظر حضرته . والانظار تختلـف في هذا الامر .

وهل علم الاستاذ الشرايبي ما هو الباعث على كتابة هذه السلسلة من المقالات دفاعا عن اقدس شيء عند مئات الملايين من البشر . كل من يقرأ هـذه المجلة بانتظام يعلم ان السبب في ذلك هو ان احـد المتهورين الفوضويين الذين يدسهم اعداء الاسـلام واعداء العرب بقصد بلبلة الافكار وبث التفرقة بين ابناء امة واحدة والملة الواحدة نشر مقالا بعنـوان « العوائق النفسانية للتخطيط » في مجلة لبنانيـة تسمى « صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية » في الجزء الخامس من سنتها الثانيـة الصادر في شهر يوليـوز ـ تموز 1964 .

فلما وصل هذا الجزء الذي يتضمن ذلك المقال الى ادارة مجلة دعوة الحق ، وقراه اعضاء لجنـة تحريرها وجدوا فيه من الهجوم الطائـش علـى مقدسات الاسلام ما لا يسكت عليه الا منافق او خائن مارق من اعداء الاسلام واعداء الشعب المغربي المسلم فكتبت الى لجنة التحرير المحترمة تقترح علي الرد على ذلك الكاتب الكاذب الشتام ، فشكرت الاساتذة المحترمين المشرفيـن على تحرير مجلة دعوة الحق على حسن ظنهم بي واستعنت بالله على القيام بهذا الواجب ، فجاء بحمد الله قرة عين لكل مسلم مخلص داخل المغرب وخارجه ، لكنه كان سخنة عين وشجى في حلوق المارقين وحاملي معاول الهدم والتخريب . ثم لا يخفى على المعية الاستاذ الشرايبي ان النشر في بلادنا لا يزال محدودا جـدا ، فايهمـا احسـن ، السكوت على سب الله تعالى والطعن في دين الاسلام حتى يتيسر لنا من ينشر الرد علـى شكل كتاب ؟ ام نشره مجزأ في مجلة واسعـة الانتشار تقرأ تحت كل نجم ، وفي كل صقع ، فيه ناطق بالضاد .

ثم ان المردود عليه لم ينشر في كتاب ، وانما نشر في مجلة ، والرد يتبع المردود ، على ان كـل مشترك في دعوة الحق ، او ملتزم شراءها هي مجموعة عنـده من اعز مقتنياته متصلة الاجزاء ، وليست كالصحيفة اليومية التي يقراها ويلقيها ليستعملهـا البقال في لف مبيعاتـه لزبنائه .

وهل يعلم الاستاذ الشرايبي ان خلقا كثيـرا من جميع طبقات القراء في داخل المغرب وخارجـه ينتظر حلقات هذه السلسلة بشوق وتلهف ، فـلا يكاد يظهر الجزء منها حتى يتلقفه ويقرأ الحلقة ويعيد قراءتهـا . وها انا ذا انشر من ذلك ما ورد علـي في هذا اليوم نفسـه فقط .

الرسالة الاولى من الاستاذ عبد الرحمن محمد صالح المحامي لرئيس ملاحظي الدائرة والذاتية لسكك الحديد العراقية في بغداد .

ونص ما قاله بهذا الصدد : انني اطالع مجلة دعوة الحق المغربية ، واتتبع مقالاتكم القيمة حول « نقد مقال السوائق النفسية ـ لربتي الحبشي » الذي افحمتموه بالحجج والبراهين الدامغة ، فجزاكم الله خير الجزاء اهـ.

الرسالة الثانية

جاءتني من السيد عبد الكريم بن الحاج عمر الناسخ بالمحكمة الشرعية بمدينة ارفود جاء فيها ما نصه : لقد رايت في مقالكم القيم بدعوة الحق في الرد على الملحدين « خن خين بنات معاوية » ولم اعرف معناها ، ارجو منكم تفسيرهااه.

على ان نشر الكتب الكبيرة والمتوسطة والصغيرة سنة درجت عليها كثير من المجلات الاجنبية والعربية. فمنها ان الاستاذ خوجة كمال الدين نشر شرحا لاسماء الله الحسنى باللغة الانجليزية في مجلة اسلامك رفيو موزعا على اجزائها الشهرية استغرق سنتين .

ومنها ان السيد رشيد رحمه الله كان ينشر تفسير القرءان موزعا على اجزاء مجلة المنار التي استغرقت «35» سنة ، في كل جزء منها تفسير آيات من القرءان ونشر لي رحمه الله بطلب منه كتابا الفته في حكم البناء على القبور ، سميته « القاضي العدل » موزعا على سبعة اجزاء .

ونشر لي الاستاذ عبد الرحمن الوكيلي في مجلة «الهدى النبوي» التي تصدر بالقاهرة كتابين كل منهما وزع على اجزاء كثيرة ، وللقراء اذواق مختلفة ، يريد ان يقرا الموضوع الطويل قراءة متواصلة حتى يتمه ، وبعضهم يطيب له ان يقرا في كل شهر ، او في كل اسبوع حلقة منه .

ثم ان نشر البحث الطويل مجزا على اجزاء عديدة في مجلة لا يتنافى مع نشره في كتاب واحد ، اذ يجوز ان ينشر متفرقا ، ثم يجمع في كتاب واحد ، فيكون نفعه اعم .

والخلاصة ان الطعن في دين الاسلام فساد وباطل يجب رده ـ على كل حال ـ مجزا او مجموعا ، ولا يجوز السكوت عنه ابدا ، لان الساكت عن قول الحق شيطان اخرس .

وفي شرح السنة عن ابي بن كعب قال : سمعت رسول الله «ص» يقول : من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا .

يعني من احي سنة من سنن الجاهلية كالدعوى الى العصبية القبلية فاجرى سب الله والرسول ودين الاسلام فاغلظوا له في القول ، وصرحوا له بذكر ما يكره ، ولا تستعملوا الكناية .

وقال تعالى في سورة القلم 9ـ12 «ودوا لو تدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد اثيم . عتل بعد ذلك زنيم .»

قال البيضاوي في تفسير هذه الايات : « ودوا لو تدهن » تلاينهم ، بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا « فيدهنون » فيلاينونك بترك الطعن والموافقة . « ولا تطع كل حلاف » كثير الحلف في الحق والباطل « مهين » حقير الراي من المهانة ، وهي الحقارة «هماز» عياب « مشاء بنميم » نقال للحديث على وجه السعاية « مناع للخير » يمنع الناس عن الخير ، من الايمان والايقان والعمل الصالح « معتد » متجاوز في الظلم « اثيم » كثير الاثام « عتل » جاف غليظ ، من عتله اذا قاده بعنف وغلظة « بعد ذلك » بعد ما عد من مثالبه « زنيم » دعي ، مأخوذ من زنمتي الشاة ، وهما المتدليتان من اذنها وحلقها . انتهى .

اقول : المداهنة ان يتساهل المرء في دينه وشرفه ليربح جاها او مالا ، وهي مذمومة لا يرتكبها الا من كان عديم المروءة فاقد الشرف ، عبد الدينار والدرهم، بخلاف المداراة ، فهي التساهل في حفظ المال لسلامة العرض والشرف والدين . وقال بعضهم واجاد : المداهنة ان تتنازل عن دينك لاصلاح دنياك . والمداراة ان تتنازل عن دنياك لاصلاح دينك .

وكل من يدعو المسلمين والعرب الى الانسلاخ عن دينهم وشرفهم ومناقب آبائهم الكرام التي يتمناها كثير من الامم ، ولو بجدع انوفهم ، تنطبق عليه الاوصاف المذكورة في هذه الايات ، ولا يجوز التساهل معه ابدا . قال الله تعالى في سورة التوبة 73 « يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير » .

قال العلماء : جهاد المنافقين بمقارعتهم بالحجج واخذهم بها وتضييق الخناق عليهم وفضيحتهم وتوبيخهم حتى يخزيهم الله . ومجاهدة الكفار اعداء الاسلام المعلنين عليه الحرب تكون بقوة السلاح.

وقوله تعالى « واغلظ عليهم » قال صاحب فتح البيان : اي شدد عليهم بالانتهار والمقت والجهاد اه.

وقال تعالى في سورة الاحزاب « 57ـ58 ان الذين يؤذون الله ورسوله ، لعنهم الله في الدنيا والاخرة ، واعد لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »

قال ابن كثير في تفسير الآية : في الصحيحين عن ابي هريرة قال ، قال رسول الله «ص» : يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وانا الدهر اقلب ليله ونهاره .. ومعنى هذا ان الجاهلية كانوا يقولون : يا خيبة الدهر ، فعل بنا كذا وكذا ، فيسندون افعال الله تعالى الى الدهر ويسبونه ، وانما الفاعل لذلك هو الله عز وجل انتهى.

اقول : وهذا الحديث المروي في الصحيحين يدل على ان من سب الدهر ، فقد آذى الله ، وان اعداء الاسلام الاولين كانوا يسبون الدهر ، فلعنهم الله لذلك واعد لهم عذابا مهينا ، مع ان هذا السب مؤول ، لان الدهر ظرف للحوادث وليس بفاعل لها ، فآل السب الى الفاعل المختار وهو الله تعالى، فما بالك بهذا المدعو «ريني الحبشي» الذي صرح بسب الله تعالى ، وآذى جميع رسله وجميع المؤمنين من لدن آدن الى يوم القيامة ؟ فكيف لا نلقمه الاحجار ونقرعه بالحجج التي تكبته ونعامله بالاحتقار .

وينبغي ان يعلم ان وزارة الاوقاف الموقرة اسست هذه المجلة اولا لنصرة الاسلام والذياد عن حوضه . وثانيا لنشر العلوم النافعة من دينية ودنيوية ، والآداب الرائقة ، والفوائد والنكت اللطيفة . فلو سكتت عمن يسب الله تعالى ويؤذي رسوله والمؤمنين لاخلت بواجبها الاول ، وخرجت عن منهاجها الذي خطته لنفسها ، وبه كان نجاحها وارتقاؤها ، هذا رأيي ، ولا اشك في انه راي القائمين على تحريرها ، ومكانتهم في العلم والادب لا تخفى على احد .

وكأني بالمؤمن المخلص الذي يحب الله ورسوله والمؤمنين ، ويعظم حرمات الله ويغار عليها يقول زدنا يرحمك الله من هذه الحجج القرآنية المحمدية التي هي سيوف قواضب لرقاب اعداء الاسلام ، وانوار لوامع للمؤمنين بالله ، فاقول : لبيك .

قال الله تعالى في سورة التوبة « 12ـ15 وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا ائمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ، الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول وهم بداوكم اول مرة ، اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزيهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم . »

ايها القارىء الموفق المتحلي بالانصاف ، تأمل هذه الايات الكريمات تجد فيها مسائل ، الاولى ، ان كل من نقض العهد من المسلمين والمعاهدين يجب على المسلمين قتله او قتاله ، وكل من طعن في دين الاسلام ، فان كان من المنتسبين اليه تجب استتابته ، فان تاب والا ضربت عنقه ، لان الاسلام دين ودولة ، فمن نقض عهده فقد ارتكب ما يسمى في هذا الزمان « بالخيانة العظمى » فاستحق القتل في حكم الاسلام وفي حكم جميع قوانين الدول .

اما دليل حكم الاسلام فقد اخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرىء مسلم يشهد ان لا اله الا الله ، واني رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق لدينه التارك للجماعة .

الثانية ، قوله تعالى : فقاتلوا ائمة الكفر . يدل على انه يجب على المسلمين ان يهتموا بقتال الدعاة الى الكفر بالله الطاعنين في الاسلام ، وان يوجهوا اليهم من العناية اكثر مما يوجهونه الى الاتباع والمقلدين . والمدعو ريني الحبشي نصب نفسه اماما من ائمة الكفر وسب الله وطعن في الاسلام ودعا الى الكفر بالله ، فيجب على كل مسلم ان يقاتله بقدر ما يستطيع ويرد باطله ويكيل له الصاع صاعين ويدمغه بالحجج العقلية والنقلية .

الثالثة : ان من هم بالقضاء على شريعة الرسول وازالتها من الوجود كمن هم باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته من بلده .

الرابعة ، قوله تعالى : وهم بدءوكم اول مرة . ينطبق على ريني الحبشي ، لانه بدا بالطعن في الاسلام وافحش في ذلك واقذع وجاء بكلام بذىء .

وكل اناء بالذي فيه ينضح

فوجب علينا ان نناضل عن دين الله وننافح عنه ونبلي في ذلك البلاء الحسن ، ولو سخط الكافرون وغضب المنافقون .

الخامسة : قوله تعالى : اتخشونهم ، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . يدل على ان المؤمن لا يجور له ان يخشى اعداء الاسلام ، بل يجب عليه ان يخشى الله ويجاهدهم ، والا فليس بمؤمن .

يزيد ذلك وضوحا قوله تعالى فى سورة التوبة «56» «ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون . »

المعنى ان المنافقين يحلفون بالله انهم لمن جملة المسلمين ، وهم كاذبون لان السنتهم آمنت وقلوبهم كفرت . وقوله تعالى « ولكنهم قوم يفرقون » اي يخافون ان تبطشوا بهم لو اظهروا ما فى قلوبهم ، فالخوف من غير الله ينافي الاسلام الصحيح . « لو يجدون ملجأ» لو تهيا لهم حصن يتحصنون فيه فرارا من الجهاد « او مغارات » غيرانا وكهوفا « او مدخلا » اي نفقا تحت الارض ينجحرون فيه ويختبئون فيه ، لانطلقوا اليه وهم يسرعون كالخيل الجمح الشاردة. وفى كتاب الله آيات اخرى تدل على هذا المعنى .

السادسة قوله تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم » يوجب على المسلمين ان يقاتلوا اعداء الاسلام المحاربين لهم ، ليكون عذاب الله لهم بايدي المسلمين وذلك اوجع لهم واكثر ايلاما ، ولو شاء الله لاهلكهم بعذاب من عنده .

وقد وعد الله المؤمنين بالنصر واخزاء عدوهم ، وبذلك يحل الشفاء والانشراح بصدور المؤمنين التي يؤلمها ويوجعها محاربة اعداء الاسلام وطعنهم فى الاسلام ، وتركهم سالمين يصولون ويجولون دون ان يصابوا بأذى ، وبقتالهم بقدر الطاقة يزول الغيظ من قلوب المؤمنين ويحل محله الانشراح والسرور والاستبشار .

فهذا وجه اطالتي فى الرد على ذلك العدو المهين، وانا على يقين ان كثيرا من القراء يجدون هذه المقالات بردا وسلاما على قلوبهم ، علمت ذلك بالرسائل التي تلقيتها ، واخبار المشافهة ، وهذا فى نظري من اجل الخدم التي تؤديها مجلة « دعوة الحق » لقرائها . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مكناس ـ تقي الدين الهلالي

ـ واتقوا فتنة ـ

يا ايها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم،واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون،واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب . ـ قرءان كريم ـ

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 8 -

حرف الراء :

204) في ص 209 ع ، في ترجمة للمؤرخ الاندلسي احمد بن محمد الرازي ذكر فيها ان له كتاب تاريخ ملوك الاندلس وحوالي الاندلس ... الخ ، وحوالي هنا تصحيف من موالي بالميم لا بالحاء .

205) في المكان نفسه ترجمة لوالد المؤرخ المذكور محمد بن موسى بن لقيط وقد صحف المنجد اسم جده هذا الى لكيت بالكاف ثم التاء او على الاصح ترجمه كذلك .

206) في ص 210 ع ، ل ذكر لابن راس البغل مهجو الاقيش الشاعر قال فيه محددا تاريخه انه (حوالي القرن 10) والمعروف ان الاقيش شاعر مخضرم انما ادرك صدر الاسلام ، فكيف يكون مهجوه هذا من اهل القرن العاشر ؟ فالصواب ان يقول حوالي 700 ولينظر خبر الاقيش مع ابن راس البغل في الاغاني ج 10 .

207) في نفس الصفحة ع ، في ترجمة للشاعر الفرنسي راسين جاء فيها انه من كبار الشعراء أصحاب المآسات ولا ندري اية صيغة من صيغ الجمع هذه ، فالصواب ان يقول المآسي .

208) في ص 212 ع ، ل كلام على اهل الراي والقياس من فقهاء الاسلام يحتاج الى مزيد من التحرير ، ومما جاء فيه : (هم الفقهاء الذين يستخرجون احكام الفتيا من القرآن والحديث باستعمالهم رايهم الشخصي فياخذون في القياس الكبرى (كذا) من القرآن والحديث ، والصغرى (كذا) من وقائع الامور) ولعله يريد المسائل الكبرى والمسائل الصغرى .

209) في ع ، في من الصفحة نفسها تعريف بكلمة رباط جاء فيه : (ويقيم فيه المرابطون الذين انذروا انفسهم للدفاع عن الاسلام) وهو ولا شك يريد نذروا من النذر الا ان غياب قواعد العربية والصرف عنه تجعله يقع في هذه الاغلاط المنكرة التي لا تغتفر لصغار الطلبة .

210) وفي المكان نفسه كلمة عن رباط الفتح عاصمة المغرب فيه خبط كثير ، فهو يخلط بين تاريخها وتاريخ شالة ، ثم هو يسمي هذه الشلة باداة تعريف ويحذف الالف التي بعد الشين ويكرر ذلك مرارا ، ويزعم ان يعقوب المنصور اتخذها عاصمة للمملكة ، واخيرا يذكر آثارها فيسمي صومعة حسان برج الحسن .

211) في ص 214 ، ع في تعريف بالرحبي صاحب الارجوزة الفرضية المعروفة بالرحبية ، قال فيه تحصر على المذاهب الاربعة ، ولا ندري معنى تحصر هنا ، على أن المعروف عن الرحبي انه شافعي المذهب وقد نوه بذلك في مقدمة منظومته .

212) وفى العمود نفسه ذكر عدة رحـــلات لمؤلفين مختلفين ليست من الشهرة بمكان حتى يقتصر عليها ويترك غيرها مما هو مشهور معروف ، والمهم ليس هذا ولكنه ضبط لفظ رحلة فيها جميعا بفتـــح الراء ولو رجع الى المادة فى المنجد نفسه لوجدهـــا بالكسر ، وهذا الخطأ يذكرنا بما نسمعه كثيرا مـــن المتحدثين الذين يقولون رحلات بفتح الراء والحاء عند الجمع ، وان كانوا عند الافراد ينطقون بها مكسورة ، وقد نبهنا على خطاءهم هذا مرارا .

213) فى ص 215 ، ع نى تعريف برزيك بن طلائع من وزراء الفاطميين فى مصر ، سماه رزيـــق بالقاف وضبطه بكسر الراء ، وهو فى المعروف بالكاف وضم الراء مع تشديد الزاي .

214) فى ص 217 ، ع ، ل ترجمة لابن رشد الفقيه جاء فيها انه عم ابن رشد الفيلسوف ، وهو خلاف المعروف من انه جده ولذلك يعرف بالجد كمـــا يعرف الفيلسوف بالحفيد وكلاهما يكنى بابي الوليد .

215) وفى نفس الصفحة آخر ع ، نى ترجمة لابن رشيق الاديب المشهور ورد فيها انه ولـــد فى المحمدية (الجزائر) والمحمدية فى تونس لا فى الجزائر ، وذكر انه رحل الى القيروان فعينه المعز الخليفـــة الفاطمي شاعر البلاط فى صقلية ، وهذه أخطاء شنيعة ، فأين المعز الفاطمي من القيروان فى عهد ابن رشيـــق واذا سلمنا وجوده فيها فكيف يعنيه شاعر البلاط فى صقلية ؟؟ والحقيقة ان ابن رشيق كان وهو فى القيروان فى خدمة المعز بن باديس الصنهاجي ولما هجم الاعراب على القيروان وخربوها رحل الى صقلية واقام بمدينة مازر منها الى أن توفى ، وتقول هذه الترجمة بعد ذلك: من مؤلفاته العمدة فى صيغة الشعر والصـــواب فى صنعة الشعر ونقده .

216) فى ص 218 ، ع ، نى ذكر جبل رضوه وكتبه بتاء مربوطة بعد الواو ، وهو رضوى بالـــف مقصورة .

217) فى ص 220 ، ع ، ل ذكر مدينة غليزان من مدن الجزائر ، فسماها رليزان بالراء اولها ، وذلك من خطا الترجمة عن النطق الفرنسي الذي يجعـل الراء غينا فجعلها المؤلف قاعدة وظن الغين هنا راء .

218) فى ص 221 ع ، ل تعريف بعبد الله بن رواحة الصحابي الجليل ضبط فيه اسم رواحة بضم الراء وهو بفتحها .

219) فى ص 222 ، ع ، ل تعريف بروح بن حاتم ضبط فيه اسمه بضم الراء وهو بفتح فسكون على وزن زيد وذكر اسم جده قبيصة بعد حاتم بـــدون ان يذكر لفظ ابن بنى فجاء هكذا روح بن حاتم قبيصة ولم يكن العرب زمنه يأخذون بتقليد العجم فى حذف لفظ ابن بين العلمين .

220) فى ص 226 ، ع ، ل كلمة عن روما وقع فيها جمع الامبراطور على الامبراطورة ومعلوم أن قاعدة الجمع تقتضي الغاء حروف الزيادة فالصواب ان يقال اباطرة ، وفى معجم مثل المنجد يوضع بين ايدي الطلبة والمتعلمين لابد من مراعاة القواعد ولذلك نبهنا على هذه الكلمة ، كما نبهنا سابقا على جمعه مأساة على مآسات الذي وجدنا انه يكرره غير ما مرة .

طنجة — **عبد الله كنون .**



للأستاذ عباس الجراري

غمرني شعور بالغبطة لا حد له وانا اتصفح العدد الماضي من هذه المجلة الحبيبة ، واقرا في غير قليل من صفحاتها اكثر من مقال عن الحضارة المغربية . ولم يكن باعث هذا الشعور ان الموضوع لم يطرق من قبل كما قد يتوهم ، فما كتب فيه من ابحاث ومقالات يعتبر ذخيرة لها قيمتها ، وانما لانه موضوع الانسان المغربي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، بكل طاقاته وامكانياته ومشاعره ، لا يبعث على الملل مهما يبدو فيه من تكرار، ومهما تظهر على ملامحه من ءاثار البلى وتقادم الزمن. والحق ان كل ما يقال فيه جديد علينا او في حكم الجديد ، لاننا جاهلون به او في حكم الجاهلين ، ما دمنا لا نتمثل تراثنا ، وما دمنا ـ حتى حين نفعل ـ لا نقيمه ولا نعيه ولا نومن به ، وما دمنا بالتالي في حاجة ماسة الى من يذكرنا به ويلح في التذكير ، لا سيما واننا ننسى او نتناسى ان في العالم المجاور لنا والبعيد الوانا اخرى من الثقافة والحضارة تزحف علينا بالصالح والفاسد من مظاهرها في غزو منظم ، وان نسبة لا يستهان بها من مواطنينا تستسلم لهذا الغزو بل تتحمس له وترحب به وترى فيه السلم الى درجات التقدم والرقي.

وازاء هذا الشعور بالغبطة غمرني شعور ءاخر مناقض جعلني احس بشيء من الاسف والاسى كان في جزء منه حافزا لي الى هذه الكتابة . فقد ساءني امران : احدهما يتعلق بمقال الدكتور شكري فيصل عن « رسالة المغرب الحضارية ـ من يضطلع بها وكيف ؟ » ، والثاني بمقال الاستاذ عبد المجيد بنجلون : « في الحضارة المغربية » .

ساءني في الاول ما هو كامن خلفه من فحوى معبر عن حال الاهمال الذي صرنا اليه ، واعني اهمالنا لانفسنا وتراثنا وعدم ايماننا وتقديرنا للرسالة التي يمكن ان نوءديها بهذا التراث ـ وبه وحده ـ لدرجة اصبحنا في وضع يرثى له الوافدون علينا ، وتضطرهم خطورته الى ان ينبهونا ويذكرونا ويهيبوا بنا لناخذ مكاننا اللائق ونلعب دورنا الفعال ونوءدي الرسالة التي انيطت بنا على مر حقب التاريخ . واني اذ اشد على يد كاتب المقال في حرارة وخجل معا ، اشاركه الراي بان تخصص هذه المجلة الموءمنة برسالتها عددا لهذا الموضوع الحيوي الخطير ـ وقد سبق لي ان تحدثت في ذلك مع الاستاذ رئيس التحرير ـ وارجو في الحاح كبير ان ينهض المسوءولون ـ واقصد المسوءولين عن الثقافة ـ لتدارسه في اطاره التاريخي وفي جدية وصدق حتى نصل الى ادراك ماهية هذه الرسالة ومقوماتها وامكانياتها واهدافها ، وليس من شك في انه متى توفر لدينا التقدير للتراث والثقة بالنفس والايمان بالرسالة، فاننا لا محالة واصلون وموءدوها خير اداء .

وساءني في مقال الاستاذ عبد المجيد بنجلون ميله الى التقليل من شان التراث ، والى الدعوة ـ وان في غير صراحة ـ للاخذ من حضارة الغرب باكبر قدر ممكن وباكثر مما ينفعنا منها في تطوير هذا التراث . وليسمح لي الاستاذ ان استعمل هنا كلمة « تراث » فهي تعني مختلف الموروثات التي وصلتنا على مر العصور والازمان ، والتي لا تزال ماثلة في حياتنا متمثلة في العادات والتقاليد والفنون وما اليها من الماثورات والقيم التي لا زلنا نمارسها ونمدها بالحياة ، بالاضافة الى جانب ءاخر لا يهمنا في هذا الصدد ، يضم الذخائر المعطلة في المتاحف والخزائن والتي لا تحيا الا بقدر ما نبعث فيها من روح . وسيلاحظ الاستاذ كذلك اني ساستعمل كلمة (ثقافة) بدلا

من (حضارة) التي عبر بها في مقاله عن كل مظاهر النشاط الانساني ، فوقع في خلط بين ما هو حضاري وما هو ثقافي كما سنبين فيما بعد .

بدا الكاتب حديثه بتقرير حقيقة لا جدال فيها هي اننا « نعيش في عصر تلتقي فيه حضارتان : حضارة مغربية صرف بتقاليدها الجميلة وعراقتها وفنونها وموسيقاها ورقصها وءادابها ومعمارها ونظرتها الى الحياة مع الحضارة الغربية بوسائلها السريعة وتقاليدها وفنونها وموسيقاها ورقصها وءادبها ومعمارها ونظرتها الى الحياة هي ايضا » ثم وضع السوال ـ وكان طبيعيا ان يضعه ـ « فكيف يجب ان تلتقي الحضارتان ؟ » ولم يترك القاريء ينتظر واجاب على الفور : « هناك من يرى الارتماء في احضان الحضارة الغربية بكل ما فيها من خير وشر لانها اصبحت حضارة العصر وغيرها تخلف . وهناك من يرى ضرورة المحافظة على الحضارة المغربية بطابعها القديم مع الاكتفاء بالاستفادة من وسائل الحضارة الغربية ما نفعنا ذلك ، والرايان معا مبالغ فيهما » .

وواضح ان الكاتب في هذا الرد لم يكشف عن وجهة نظره حتى حين الغى الرايين باعتبار ما فيهما من مبالغة ، وكانه تركها للقاريء يستنتجها من الامثلة المختلفة التي ساقها في بقية المقال ، ولا اريد ان اتعجل استنتاجها ـ ولعلي في غير حاجة الى ذلك ـ وساترك القاريء بدوري يتتبع مناقشة الامثلة ، وبالتالي مناقشة وجهة نظره من خلالها .

يقول الكاتب في اول مثال له ان « طريقة تناول الطعام منسجمة مع اللباس ، فاذا ارتدى المرء الزي الاوربي بدا غريبا وغير مستريح وهو جالس على الجلسة الى المائدة الصغيرة ذات الارجل القصيرة » ويعلل ذلك بان « الحضارة المغربية حضارة مترابطة ذات عقلية وذوق » . واود في الاول ان اشير الى شيء قد يوافقني عليه ، وهو ان الزي الذي كان ولا يزال يوصف بانه اوربي لم يعد كذلك ، وانما اصبح زيا عالميا يرتديه الناس في جميع انحاء العالم . ولعل احدا لا يستطيع ان يميز بين الانسان الاوربي وغيره من مجرد اللباس . ولا اريد ان انكر ان هذا الزي غريب علينا ، ولكنه على غرابته واضح النفع سهل القبول سريع الانتشار ، شانه في هذا شان كل المظاهر الحضارية ، واعني المظاهر المادية التي لا تلبث ان تظهر في بلد حتى يعم استعمالها مختلف البلدان ، وليست السيارة والراديو والتلفزيون والترانزستور غير امثلة حية على ذلــك .

ولو كان لهذه الحقيقة ان تنطبق على طريقة تناول الطعام ، لامكن انتشار استعمال الكراسي والمائدة الكبيرة ذات الارجل الطويلة ، ولكن هذه الطريقة حين تقاس بالطريقة الوطنية تبدو غير عملية وباهظة التكاليف ، فهي تحتاج الى غرفة خاصة لا يمكن استعمالها لغير الاكل ، والى كراسي بعدد الاكلين ، والى اواني مختلفة ومتنوعة بعدد الاكلات وعدد الاكلين ، في حين ان الطريقة الوطنية لا تتطلب غير مائدة وءانية كبيرة او اكثر من ءانية ان تعددت الاكلات اما المكان فقد يكون خاصا بالاكل لمن تيسر له ذلك ، والا فهو غرفة من الغرف تصلح للاكل كما تصلح للنوم او الجلوس ، وحتى الجلسة فهي غير ضرورية حيث يجلس الاكلون احيانا على الارض كما لا يخفى .

واذن فليس في امكان الفرد العادي ـ ماديا ـ ان يبدل هذه بتلك ، ولو كان في امكانه لما انتظر من اي واحد ان يرشده اليها ، فمثل هذه المظاهر تتسرب الى المجتمع فيمتصها ويتكيف معها تلقائيا وفي غير جهد ومن غير ان يدعوه اليها احد هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فلست ارى في الطريقة الوطنية ما يشذ عن الذوق او يبعث على التعب او يدعو الى الغرابة ، بل اراها على العكس من ذلك مريحة لا تخلو من رونق وجمال قد لا يحسهما كل الناس ، ولكن لا بد ان يحسهما من جرب الطريقتين . ومع ذلك فلا مانع من ان ندخل بعض التحسينات على طريقتنا نستمدها من الطريقة الاخرى، على ان لا تمس جوهرها او تفقدها طابعها الوطني .

وكما احس الكاتب بالغرابة وعدم الراحة في تناول الطعام على الطريقة الوطنية ، فكذلك احس عند استماعه الى الموسيقى الاندلسية بالالم والجنون والرتابة فقد ذكر انه دعي مرة الى حفلة اقامها صديق له يقيم في بيت حديث ، فلم تكد تنطلق فرقة الموسيقى الاندلسية حتى شعر « بانزعاج مولم » ، فهو يقول : « ولا ادري كيف كان شعور الجيران ، اما شعوري الخاص فقد

واذا كان الكاتب لم يكشف عن وجهة نظره في كيفية التقاء الحضارتين، فهو في رده على السؤال الذي وضع ليخرج من حيرته بين عنها حيث يقول : « ان اجزاء من هذه الحضارة مهددة بالزوال فكثير من اصناف الاكل لا يمكن ان تبقى وخصوصا تلك الاصناف التي يتطلب تجهيزها وقتا طويلا لان المراة المغربية الحديثة شقت طريقها الى العمل الى جانب الرجل ولم يعد لها مجال لقضاء الساعات الطويلة في المطبخ ، والطباخات والخادمات سائرات الى الزوال بسبب انتشار التعليم وستحل الاصناف التي لا تتطلب وقتا طويلا محل هذه الاصناف المغربية الشهية » ويقول بعد ذلك : « ان طبيعة الاشياء تابى علينا ان لا نساير الزمن والاوضاع الجديدة والا فان الزمن سوف يجرف كثيرا من مظاهر هذه الحضارة ان لم يجرفها جميعا ».

والحقيقة انه اذا كانت اجزاء من حضارتنا مهددة بالزوال ، فليس لانها غير صالحة او غير قابلة للتطوير، وانما لاننا لا نريد لها ان تبقى ولا نسعى الى ان نحتفظ بها ولا نعمل على تغييرها وتجديدها لتلائم العصر . ومن الخطأ الفادح ان يجزم احد بان اصنافا من الاكل لا يمكن ان تبقى لمجرد ما ذكر من اسباب ، فاذا كانت المراة العاملة لا يتسع وقتها لبعض انواع الطبخ ، فهناك سيدات لا يشتغلن ، وهناك الطباخات والطباخون المحترفون . والاسف شديد ان يرى بعض مفكرينا بمثل هذا المنظار القاتم اليائس في الوقت الذي علينا ان ندعو الى تاسيس مدارس للطبخ تقنن طرقه وتطور الوانه وتجدد في انواعه ، وفي الوقت الذي علينا ان ننشر اصناف هذا الطبخ في مطاعمنا — لا سيما والكاتب يعترف بانها شهية — ونقدمها في حفلاتنا — سواء في الداخل والخارج — وفي الوقت الذي علينا ان نحاول انشاء مطاعم مغربية في مختلف انحاء العالم على غرار المطاعم الصينية والايطالية المنتشرة في كل البلاد .

ويرى الكاتب بعد هذا ان الفن المعماري قد استطاع ان ينجو من الموت « فاصبحنا نرى دورا حديثة على الطراز المغربي الرائع ، وبذلك حقق هذا الفن اللحاق بالزمن » ثم ينتقل من هذا المظهر المادي الى مظهر آخر غير مادي فيقول : « وهذا ما يجب ان يحدث في سائر مظاهر هذه الحضارة ، وخصوصا فيما يتعلق بفن الرقص والغناء ... فليس من المعقول ان تطرب الى الابد باغاني رددها اجدادنا وان يطرب احفادنا الى الابد بنفس هذه الاغاني » .

واود هنا ان افرق بين نوعين من مظاهر النشاط الانساني ، احدهما مادي هو ما يسمى بالحضارة ، والاخر لا مادي او ما يسمى بالثقافة . وقد تشمل الثقافة كلا النوعين باعتبارها تمثل المعرفة الانسانية بما فيها من علوم وفنون وآداب وصناعات وقوانين واخلاق وقيم وعادات وتقاليد ومعتقدات ، وكل التجارب التي يكتسبها الانسان في الحياة ، ويطلق على النوع الاول في هذا الحال ثقافة مادية ، وعلى الثاني ثقافة غير مادية . ومهما يكن ، فان الجانب اللا مادي في التراث الانساني — ومنه الرقص والغناء — يدخل في نطاق الثقافة . ومن المعروف كما سبق ان ذكرت في بداية هذا الحديث ، وكما قرر علماء الاجتماع والمعتنون بالتراث الانساني ان التغير يكون سريعا في الحضارة بطيئا في الثقافة ، والسبب اننا نجد صعوبة في الحكم على الظواهر الثقافية والاقتناع بتغييرها او التخلي عنها لانها تداخل حياتنا ولانها نتاج تفاعل اجيال واجيال ، في حين لا نجد صعوبة في الحكم على الظواهر الحضارية وادراك فائدتها ، مما يترتب عليه سرعة انتشارها في مختلف الاوساط . فمن الممكن مثلا ان ينتقل الانسان من مسكن قديم الى آخر جديد او ان يستبدل ركوب الفرس بالسيارة ولكن من الصعب عليه ان يغير فنا من فنونه الوطنية او يتخلى عنه مهما كان مستوى هذا الفن . يقول اوجبرن Ogburn استاذ علم الاجتماع الامريكي: « ان الحضارة في اي مجتمع تتغير بسرعة فائقة في حين تظل ثقافة هذا المجتمع بدون تغير او بتغير قليل » ويرى غيره من علماء الاجتماع ان من خصائص العادات انها تميل الى البقاء كوحدات اساسية في سلوك المجتمع . وطبيعي ان يثير مثل هذا الواقع في المجتمع قلاقل واضطرابات ، وطبيعي كذلك ان يخلق نوعا من التفكك والانهيار يفقد المجتمع توازنه ، وهو ما يصطلح عليه علماء الاجتماع بالتخلف الثقافي ، يصيب المجتمعات التي تتغير بسرعة كما هو حال المغرب وغيره من الدول النامية .

وليس معنى هذا ان نستسلم للواقع الاجتماعي ونقبل فنوننا كما هي ، فمثل هذه الحقيقة لا تحول ولا

والتشويق وسيكون مآلها الفشل لا ريب . وقد سبق للمغاربة ان جددوا في هذه الموسيقى حين اضافوا الى الميازين الاندلسية المعروفة (البسيط - القايم ونصف - البطايحي - القدام) ميزان الدرج ، وحين اضافوا الى النوبات المعروفة نوبة الاستهلال التي وضعها الحاج علال البطلة ، وكان معاصرا للدولتين المرينية والسعدية .

وانتقل الكاتب من الموسيقى الى الحديث عن طابع الحضارة عامة ، فراى انه طابع راحة بالنسبة للحواس الخمس والجسم كله ، يدعو الى الاستمتاع بالحياة . واشار الى ان المغاربة « لا يعرفون الجلوس في منازلهم الى الان وكانوا لا يعرفونه بالامس حتى في دور اعمالهم ودكاكينهم ومكاتبهم » وانما هم يقضون يومهم مستلقين متكئين . واستدل على هذه الظاهرة بحكاية سائح انجليزي زار المغرب في القرن الماضي لاحظ على تاجر انه يبيع من غير ان يتحرك من مكانه . واستخلص من هذه الحكاية ان « الميل الى الراحة نشئة مغربية قديمة ما يزال اسلوب هذه الحضارة يعبر عنها الى الان ، ولكن التقاء الحضارة الغربية بالحضارة في بلادنا سلبته وسوف تزيد في سلب كثير من اسباب هذه الراحة » .

اما ان المغاربة لا يعرفون الجلوس في منازلهم ، فمن المعروف ان المنازل جعلت للراحة من عناء العمل اليومي ، لا سيما وان اغلب الاعمال التي كان يزاولها المغاربة حتى عهد قريب اعمال يدوية مضنية ، فهم في البوادي زراع ، وفي المدن تجار او صناع ، بل كان من سكان المدن من يعمل في البساتين المجاورة ، ولم تكن الادارة المغربية متسعة ومتشعبة كما هي عليه الان ، ولم تكن الوظيفة المكتبية بما يطبعها من خمول جسمي وفكري تسلب اهواء الناس وتستنفد طاقتهم وتقتل مواهبهم كما هو الحال اليوم ، فقد كان مجال العمل في « المخزن » محدودا ، وكذلك كان عدد الموظفين . ثم ان الانسان في كل المجتمعات يسعى الى ان يوفر في بيته اكبر قدر ممكن من الراحة ، ولعله من حسن حظ المغاربة ان تكون بيوتهم كذلك . وليس من شك في ان دافع الكاتب الى هذه الملاحظة هو نوع الفرش الذي يفرش به المغاربة بيوتهم ، والحقيقة انه ليس اكثر راحة من « المتكات » التي يؤثث بها الغربيون .

واما ما لاحظه السائح الاوربي ، فقد يكون صحيحا ولكنه لا يصلح ولا يكفي للدلالة على ان طبيعة المغاربة ميالة الى الخمول والراحة . ولو حاول احد ان يجري احصاء لحصر من هذا النوع من التجار لما ظفر بنسبة تذكر ، ولعله يكفي ان يقوم بجولة قصيرة في احدى الاسواق ليتبين له ان من طبيعة التاجر المغربي ان يقف في مكانه طالما ان حركة البيع قائمة . ولست ارى ميزة في ان تسلب الحضارة المغربية اسباب الراحة كما يرى الكاتب ، وعندي ان البيوت المغربية في حاجة الى ان تكون مريحة اكثر مما هي عليه وفي حاجة الى ان تتوفر فيها وسائل تقنع اصحابها - بدلا من الخروج الى الازقة والمقاهي - ان يجلسوا فيها للقراءة وتربية الابناء والاستماع الى الراديو ومشاهدة التلفزيون وما الى ذلك مما قد ينفع الاسرة والبيت . وهذا مما يدل على ان المغاربة قل ان يستقروا في بيوتهم ، فالبيت عند اغلبهم مكان للاكل والشرب والنوم بل ان بعض اصحاب الدكاكين - كما لا زلنا نرى اليوم - لا ينصرفون الى بيوتهم الا للنوم . ومثل هذا كثير وشائع في البوادي حيث يقضي الفلاحون معظم يومهم في الحقول . والواقع اننا اذا كنا في حاجة الى شيء فليس الى سلب وسائل الراحة ، وانما الى سلب وسائل الميع والانحلال التي اخذت تفشى في مختلف الاوساط وبشكل يدعو للدهشة والذهول .

ويبدو الكاتب بعد هذا في حيرة من امره فيقول : « واذا لم يعد في استطاعتنا ان نظل سجناء الحضارة المغربية بعد ان تأثرت بوسائل الحضارة الغربية واذا لم يكن في استطاعتنا ان نتخلص من حضارتنا لانها جزء لا يتجزأ منها ولها تأثير على عقليتنا لا جدال فيه ، فماذا يجب ان نعمل ؟ » وواضح انه هنا يفترض اشياء لا تستند على منطق او واقع ، فاذا كنا لا نستطيع حقا ان نتخلص من حضارتنا فاننا نستطيع - وهذا ما نصبو اليه في تطوير حضارتنا - ان نعيش في ظلها متأثرة بما ينفعها من وسائل الحضارة الغربية ، دون ان نعتبر انفسنا سجناء او مقيدين . وما اخال الكاتب بهذا الكلام الا مؤكدا ما سبق ان ذكره في اول المقال حين اعتبر الراي القائل بضرورة « المحافظة على الحضارة المغربية بطابعها القديم مع الاكتفاء بالاستفادة من وسائل الحضارة الغربية ما نفعنا ذلك » رايا مبالغا فيه .

ضقت درعا بكل شيء بل خيل الي في بعض الاحيان ان الجدران ليست فقط مهددة بان تميل الى السقوط بل خيل الي ايضا ان الجدران والابواب والنوافذ مهددة بالانفجار لان حشد كل هذا الصخب في شقة صغيرة امر يدعو الى الجنون ». وتطرق من ذلك الى اننا نعيش في عصر السرعة والى انه « كان في استطاعة المغاربة في الماضي ان يختلفوا راجلين الى هذه الحفلة او تلك ويقضوا فيها الساعات الطويلة وهم يتبادلون الاحاديث المختلفة والموسيقى الاندلسية ماضية في انغامها خلال معظم الساعات . وكان قدماء المغاربة لا ينصتون في احاديثهم الى هذه الموسيقى وانما يستانسون بها في احاديثهم ولذلك لم يكونوا يملون رتابتها ولا طولها اما اليوم فان طابع السرعة قد افقد هذه الموسيقى جمالها فباتت في حاجة بذلك الى اعادة النظر فيها » .

ولست انكر على الكاتب شعوره في ذلك الجو بالانزعاج والضيق ، ولعله كان شعور كل الحاضرين ، لا سيما من كان منهم مثله مرهف الحس رقيق الشعور ، وانما انكر عليه ان يربط بين احساسه بالالم وبين الموسيقى الاندلسية ، فيعزوه الى ما فيها من صخب . فقد يكون الصخب طابع هذه الموسيقى كما قد يكون طابع اي لون من الوان الموسيقى في العالم ، ولكن من غير ان يعتبر عيبا . وما اظن الكاتب ينكر ان الصخب ــ والصخب القوي الحاد ــ من اهم خصائص الموسيقى الغربية الحديثة . واذن فليس العيب في الموسيقى وانما العيب في عدم انسجام الاطار معها . ولو احضرت فرقة موسيقية من احدث الفرق الموسيقية الى دار كتلك التي حضر الكاتب فيها الحفل ، وعزفت احدث المقطوعات لشعر بنفس الاحساس . ولا يخفى ان مثل هذه الحفلات الصاخبة حين تقام في البلاد التي لها نصيب من الرقي والذوق يستاذن الجيران في اقامتها وتخبر سلطات المنطقة بذلك . ومن حق الجيران اذا ما فوجئوا بحفلة من هذا النوع ان يستغيثوا بالشرطة ويستنجدوا بها ، ولا اخال القوانين المدنية في مختلف انحاء العالم الا ناصة على ذلك .

اما كون العصر عصر سرعة من جهة ، وكون الموسيقى الاندلسية طويلة من جهة اخرى ، فشيئان متباينان لا ارى بينهما اي تعارض والسبب ان الموسيقى الوان مختلفة باختلاف الاهواء والامزجة والاوقات ، فيها الخفيف والدسم ، وفيها المحزن والمبهج ، وفيها القصير والطويل ، وما الى هذه من الالوان التي لا عد لها ولا حصر . والموسيقى الاندلسية موسيقى دسمة كبيرة ما في ذلك شك ، ومن طبيعة الاشياء الدسمة الكبيرة ان تبدو طويلة ورتيبة ومملة لمن لا يتذوقها ، شانها في هذا شان الموسيقى الكلاسيكية الغربية ، لا يتقبلها اي جمهور ولا يستسيغها كل الناس .

ويبدو لي ان التغلب على الطول في هذه الموسيقى ليس بالامر الصعب ، خاصة وان القطعة الواحدة تتكون من اجزاء قصيرة يمكن عزفها منفردة ، فهي تشمل على المشالية وتعتبر مقدمة ، ثم على التواشي وهي مجموعة قطع بدون كلمات ، ياتي بعدها الميزان مقسما الى عدة صنائع لكل منها اسم خاص . وقد سمعت اكثر من واحد يعزو الملل في الموسيقى الاندلسية الى عدم وضوح الكلمات ، قد يكون في هذا التعليل بعض الصحة ، ولكن الحقيقة التي ربما يجهلها الكثيرون هي ان الكلمات في هذه الموسيقى ثانوية لم يلجا اليها الا لتداول اللحن وحفظه من الضياع . فالموسيقى هي الاس وليس الكلام ، بدليل ضياع كثير من التواشي ، وبدليل انها تسمى الموسيقى كما تسمى الالة . وهذا بخلاف الطرب الملحون الذي تعتبر الكلمات اساسه .

ولو كانت للاقدمين طريقة لتدوين الموسيقى لما لجاوا الى الشعر يحفظونها في كلماته ، بل ان العلماء الموسيقيين لم يتوصلوا حتى اليوم الى طريقة كتابة هذه الموسيقى والموسيقى الشرقية عامة ، من غير ان يفقدوها جمالها وطابعها ، فدرجاتها وهي غير محددة تختلف عن درجات الموسيقى الغربية ، مما **يجعل تدوينها** بالطريقة الغربية المألوفة يفقدها كثيرا من سماتها . ولا اعني بهذا ان لا نطور موسيقانا ، فالتطوير واجب وضروري في كل مظهر من مظاهر الحياة مهما بلغ من الرقي والكمال ، وكل شيء لا يتطور يموت ويفنى . غير ان مثل هذه المهمة تحتاج الى علماء موسيقيين تكون لهم خبرة واسعة بالتراث ، ويوم يهيء المغرب مثل هؤلاء الفنانين الخبراء ، يومئذ ستتطور هذه الموسيقى وسنرتاح لهذا التطوير . اما ونحن لم نكون الرجال بعد ، فكل محاولة للتجديد سيكون معناها المسخ

يمكن ان تحول دون تطوير تراثنا الفني وتهذيبه . وهنا اجدني متفقا مع الكاتب حين يقول : وكأني به قد احس انه اندفع في الاول فخفف من حدة كلامه بعض الشيء : « ويقال في الرقص التقليدي ايضا ما يقال في الغناء اذ يجب تهذيبه وترقيته حتى يصبح في مستوى المسرح واستخدام ءالات موسيقية حديثة يتابعها الراقصون والراقصات » فالتهذيب ضروري ، وهو يحتاج الى دراسات يقوم بها خبراء متخصصون عارفون بالتراث ، والتهذيب لا ينبغي ان يمس الرقص فقط وانما مختلف مظاهر الحضارة والثقافة ولكن دون ان يسلبها طابعها الوطني نحن نريد ان نجعل فنوننا الشعبية تستفيد من وسائل المسرح الحديثة مع ما يقتضيه من فنية وثقافة ، ولكن من غير ان يفقدها عراقتها واصالتها ، كاعادة تصميم الرقصات مع الاحتفاظ لها بتلقائيتها ، اذ الرقص الشعبي ككل فن شعبي فن تلقائي لا يخضع لقواعد وقوانين ومثله الموسيقى الشعبية فهي بسيطة في تلحينها وادائها وءالاتها بخلاف الموسيقى المتقفة ، فهي معقدة تخضع في ذلك لقواعد علمية . وليس من شك في ان الفنون الشعبية اذا ما قدمت كما هي محتفظة بتلقائيتها كانت اكثر تعبيرا عن سلوك الشعب ونفسيته وتقاليده ، وليس من شك كذلك في ان اعادة التصميم يفقد الفنون غير قليل من هذا التعبير ، وهو في نفس الوقت يفقدها بعض الرتابة وينقلها من طور البساطة والسذاجة الى طور اقرب الى التقنية والعلم والواقع ان بعض البلاد التي تعنى بالفنون الشعبية ترى ان تحتفظ لهذه الفنون بطابعها التقليدي وتقدمها على المسرح كما هي ، وتلاقي بذلك نجاحا عظيما ، في حين ان بلادا اخرى تطور هذه الفنون وتخضعها للاساليب الحديثة ، وهي بدورها تلاقي مثل هذا النجاح

ومهما يكن فنحن في حاجة ملحة الى ان نرسل بعثات لتكوين خبراء في الفنون الشعبية وان ننشيء معاهد تدرس فيها هذه الفنون سواء منها الرقص او الغناء او الموسيقى او الالات ، ليس فقط لحصر مختلف هذه الالوان او تنظيمها وصيانتها في المتاحف والخزائن، وانما لنشرها على اوسع نطاق ودراستها في ابحاث علمية تستهدف تحديد خصائصها وتوضيح ملامح الشخصية المغربية من خلالها ، وبالتالي تطوير الصالح منها واستيحاء اضافات تساعد على خلق الوان جديدة من الادب والفن وقد يبدو جانب الالات في هذا الموضوع دون ايه فائدة في حين انه لا يقل اهمية عن غيره ، لان معرفة الاله وخصائصها وطاقاتها ومدى اتصالها بالحركة وقدرتها على التعبير يفسح المجال للتوسع في استعمالها وجعلها قادرة على اداء اكبر واشمل واكثر تعبيرا . وقد شهدت كثيرا من الفرق الشعبية العالمية الناجحة كفرق الصين وبعض بلاد اوربا الشرقية مثلا فوجدتها لا تستخدم الالات الحديثة الا في النادر وقد تستغني عنها ، والسبب انها درست ءالاتها وطورتها . ولكن من غير ان تفقدها خصائصها المميزة .

ويختم الكاتب حديثه فيقول : « وقد غرست فينا العقلية السياحية تقديسا لكلمة (تقليدي) ونحن لا نقلل من اهمية السياحة ... واذا كانت الفنون التقليدية تجلب السواح فان الابداع يجلبهم ايضا ذلك ان ملايين السواح الذين يزورون باريز او روما او مدريد لا ينصرف اهتمامهم فقط الى المتاحف والاثار كما لا احتاج ان اقول » ثم يستفهم في انكار : « بأي مبرر يكون اهتمامنا بالقدم اكثر من اهتمامنا بالتطور والاستمرار ؟ »

واود هنا ان الفت نظر الكاتب ـ وهو يتحدث كان التقاليد لا تصلح الا للسياحة ـ الى ان العقلية السيحية لم تغرس فينا اي شيء ، واننا نقدس تقاليدنا ويجب ان نقدسها بغض النظر عن اهمية السياحة او عدم اهميتها ، واود كذلك ان اذكره بما سبق ان نشرت في صفحات هذه المجلة (1) مبينا عوامل الاهتمام بالتراث الشعبي وازدهار دراسته في هذه النقاط :

اولا : الاتجاه الديموقراطي الذي رفع من شان الشعب وقيمه ولغته وعاداته ، وجعله شيئا فشيئا ياخذ مكانة الاسياد والنبلاء الذين كانوا يسخرونه في احتقار وعنف مقابل الفتات والفضلات

ثانيا : الخوف على مظاهر حياة الشعب التقليدية من الزوال والرغبة في المحافظة عليها بعد ان

1) انظر الحلقة الاولى من بحث الفولكلور العدد 2 السنة 6 نوفمبر 1962 .

اخذت تضيع نتيجة لهذا التطور الجدري في حياته ، خاصة بعد ان الف ممارسة اساليب العيش الجديدة .

ثالثا : الكفاح من اجل التحرير والاستقلال وما نشأ عنه من ثورات كانت حافزا للشعوب ان تلتفت نحو ذاتيتها وشخصيتها وان تحافظ في حماس على مظاهر حضارتها ومقومات ثقافتها مهما كانت بسيطة او بدائية .

رابعا : توسع الاستعمار واتصاله بالشعوب وتراثها وعاداتها وتقاليدها ومحاولته بالبحث والدراسة والترجمة ان يكشف النقاب عن خصائصها للتوصل بها الى بسط نفوذه وتحقيق سيطرته .

خامسا : الرغبة في الابداع الفني واستنفاد الطاقات القديمة وما نتج عنها من تحول نظر الادباء والموسيقيين وغيرهم من رجال الفن الى حياة الشعب وءاثاره عسى ان يجدوا فيها ما يستوحون منه مادة انتاجهم .

اما قول الكاتب بان الابداع يجلب السواح ، فحقيقة لا مجال لانكارها ، ولكن ليس اي ابداع وانما الابداع الذي يفيد من القديم ويعيد خلقه في اطار جديد من غير ان يفقده اصالته وعراقته . واما ان السواح لا ينصرفون فقط الى المتاحف والاثار ، فحقيقة ثانية لا مجال لانكارها كذلك ، ولكنا حين نقدم لهم فنوننا الشعبية – حتى وهي في اطارها البالي القديم – لا نعتبر نفسنا صرفناهم الى مجال المتاحف والاثار ، لان هذه الفنون لم تمت بعد حتى تدخل هذا المجال .

وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من اهمالنا للفن الشعبي وتراثنا عامة ، يوجد من بين مفكرينا من يتهمنا – اذا صح التعبير – باننا نهتم بالقديم اكثر من اهتمامنا بالتطور والاستمرار في الوقت الذي يوجد في اكثر البلاد تقدما من يدعو الى العودة للماضي سعيا الى رفع مستوى الثقافة والسلوك . ففي تقرير للجنة القومية للانسانيات في الولايات المتحدة الامريكية ورد بان دراسة ما تحقق في الماضي من اعمال مجيدة ستساعد مساعدة فعالة على رفع هذا المستوى . وقد جاء فيه انه « حتى الفرد الموهوب سواء اكان شاعرا او عالم طبيعة لن يساهم اسهاما حقيقيا له قيمته في عصره الا اذا التهب خياله باعمال من سبقوه ولذا تقع على علماء الانسانيات مسؤولية نقل تراث الماضي الى هولاء الافراد . اننا في حاجة ماسة الان الى خلق مستوى اعلى من الثقافة القومية تعكس ارقى مستويات اعمال الانسان واماله على مر العصور . لقد تخلينا عن تراث اجدادنا وتحكم فينا العلم وكان يجب ان يحدث عكس ذلك » (2) .

ومع ذلك ، فليتنا كنا كما اتهمنا الكاتب ، اذن لاستطعنا ان نحفظ تراثنا ونصونه ونحييه ايمانا منا انه خلاصة حضارة ونتاج ثقافة اجيال ، وانه قوة دافعة وحافز لنا ان نستوحي منه اضافات جديدة ولاستطعنا بالتالي ان نفهم تاريخنا ونقوم حضارتنا ونحفظ كياننا ونحدد الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ولعرفنا بعد هذا كنه الرسالة التي اداها بلدنا على مر حقب التاريخ ولانطلقنا نؤديها عن ثقة وايمان .

وليس هذا بالغريب ، فالانسان بغريزته مدفوع الى المحافظة على كيانه ، والانسان بغريزته كذلك لا ياخذ من الناس ما عنده ولا يعطيهم ما عندهم وانما ياخذ مما عندهم ويعطيهم مما عنده . ونحن امة لها تاريخ وتراث ، يجب ان نعطي الاخرين ونعطيهم الكثير . ولن يتاتى لنا ذلك ما لم نقتبس من تراثنا ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا ، وما لم نناقش هذا التراث لنصفيه من الشوائب والخرافات ونزيل عنه ءاثار المسخ والتزييف ، وما لم نضف اليه ما نهضم ونراه نافعا من حضارة الاخرين وثقافتهم ، على ان نطور ما نقتبس ونكيفه مع اوضاعنا وحاجاتنا . حقا اننا لا نريد ان نعيش في عزلة ولكننا لا نريد بحجة ذلك ان تتسرب الينا اشياء من شانها ان تقضي علينا لنصبح مجرد صدى واداة في يد الغير او في يد العصر وطبيعته التي خلقت لنا هذه الاشياء .

اقول هذا لاننا نمر بفترة دقيقة من تاريخنا يجب ان نكون فيها حذرين متيقظين ليس فقط لئلا تطمس معالم شخصيتنا وملامح قوميتنا ، وانما لنكون جيلا متجانسا في تفكيره عارفا بتراثه لا اثر فيه للفروق الثقافية التي نعاني منها كما نعاني من ءاثار كثيرة خلفتها لنا مدرسة الاستعمار ، والتي هي اساس ما نحسه من شعور بالقلق والاضطراب .

الرباط : عباس عبد الله الجراري

---

2) مجلة الثقافة الامريكية ، العدد 2 ، المجلد 2 ، صيف 1965



للأستاذ: أحمد زياد

تتضاعف الشكوى من عدم الاستقرار الذي يغزو القارة الافريقية في شكل مخيف والقارة الاسيوية في مشهد آخر يقرن القارتين في شرك واحد ، وعدم الاستقرار هذا تتشابه عوامله وان اختلفت مشاهده .

ولابد من الاشارة قبل الاسترسال في هذا العرض الى عامل أصلي هو الذي تفرعت عنه العوامل الاخرى، وهذا العامل هو التخلف بنوعيه وفي شكليه الفكري والمادي .

ان المجتمعات الافريقية والاسيوية تحيط بها المشاكل العميقة من كل جانب ، وتتراكم من حولها الصعوبات التي تحتاج الى النضج والواقعية والتبصر والنفس الطويل اكثر من ذلك ، وهذه الصفات لابد من توفرها في كل قيادة تتولى تسيير شؤون الشعوب في كل من القارتين .

واذا كان كفاح هذه الشعوب من أجل الحصول على استقلالها قد اتسم في اغلب صوره وفي كافة مراحله بالعاطفة المجردة ، فان الكفاح من أجل مقاومة التخلف يحتاج الى عنصر الواقعية التي تكون بمثابة « الفراميل » لكل اندفاع عاطفي مجرد ، الا انه يبدو أن رواسب العواطف المجردة ما تزال تؤثر في تكييف سلوك القادة ، اما بالطبع ، واما بالتطبع مسايرة لعواطف الجماهير ، فكان مما لابد منه — والحالة هذه — ان تستأثر بعض القرارات التي تمس تسيير الشؤون العامة وخصوصا — في قارتنا الافريقية بثورة وطنية يطبعها الوازع الوطني الصرف الذي لا يريد في بعض الجهات أن يخضرم نفسيته وسلوكه بالواقعية التي يتطلبها عهد الاستقلال ومقاومة التخلف ، فنتج عن ذلك ارتكاب بعض الاخطاء التي جعلت السلبية تحل محل الايجابية ، ومهما قيل عن حسن النية في ارتكاب هذه الاخطاء فان العمليات الحسابية والظرف الزمني وسرعة القافلة العالمية لا تقبل عذر حسن النية طبقا لما تقتضيه مدونة القرن العشرين .

وبما أن التنمية الاجتماعية هي التي كانت موضوع مختلف التجارب التي اجريت لحد الان ، فان ما وقع من اخطاء كان أمرا لابد وان تردد انعكاساته على مختلف الميادين ، وليس عيبا بل وليس بدعا ان تمنى التجارب ببعض الاخطاء ، بيد انه كان ينبغي الاستفادة من تلك الاخطاء وذلك بالبناء الجديد على مقتضى عبر القديم ، ولكن الذي حدث هو غير هذا ، وخصوصا في قارتنا الافريقية .

لقد كان من الطبيعي أن تتسابق مختلف الايديولوجيات الى اقتحام أبواب القارتين وخصوصا منهما الافريقية بعد ان اضطرت الايديولوجية الاستعمارية الى التخلي والجلاء ، كما أنه كان من الطبيعي أن يقع النظر في هذه الايديولوجيات عسى أن يقتبس منها ما يمكن اقتباسه في خطط التنمية وتقويم التصاميم التي تتصل بها .

الا انه كان من الضروري كذلك أن تجرى عملية الاقتباس هذه بكل دقة وبكامل التحري ، فهل كان ذلك ؟

الواقع ان عملية الاقتباس قد خضعت في معظم الظروف والاحوال في افريقيا الى اندفاع كان حظ التأثير فيه للعواطف اكثر من حظ التفكير الواقعي .

واذا كان من غير شك ان يكون للاساليب الثورية مفعولها في معركة النمو ومقاومة التخلف ، فان هذه الاساليب كان يجب اللجوء في البعض منها الى عملية الضغط على « الفرامل » كلما دعت الضرورة لذلك حتى لا تختلط الثورية بالارتجال ، ويطغى هذا على تلك .

ان كلمة « الاشتراكية » وما يتفرع عنها من مفردات كان ينبغي لها ان تكون دالة لمدلول يستمد عناصر تكوينه من بيئة كل بلد يجتاز مرحلة النمو واخذ بالاشتراكية وركز على مبدئها برامج اصلاحه ووسائل انمائه ، يضاف الى ذلك انه كان ينبغي بل وينبغي ان يوخذ بعين الاعتبار — فى مرحلة تطبيق الاشتراكية — ما طرا على اساليب تطبيقها من مرونة وتعديل حتى فى البلاد التي كان يسد فيها المذهب الاشتراكي انجيلا غير قابل للتأويل فاحرى للتعديل ، ومن ثم كانت الاخطاء التي ارتكبت او ترتكب فى تطبيق المبدا الاشتراكي ببعض البلدان النامية — عاملا اما مباشرا أو غير مباشر فى حرمان تلك البلاد من الاستقرار الضروري والاساسي فى مرحلة النمو ونرى انه ليس من المناسب ضرب الامثال او تعدادها بل انه من الاحسن الاكتفاء بالاشارة اليها بمثل هذه الاشارة العابرة .

ان التطور الصناعي المدهش قد اصبح يقضي بضرورة وضع تصميم لحركة استثمارية فى البلاد النامية حركة متسعة الارجاء متنوعة المصادر ، واذا كان من اللازم احاطة كل تصميم انمائي بكل ما تقتضيه ضرورة المحافظة على السيادة الوطنية وعدم التبعية والانحياز المطلق ، فانه ينبغي الى جانب ذلك الا يتحكم فى مثل هذه التصاميم عامل الجمود والسلبية والثورة اللفظية الجافة ولا نقول جوفاء .

وسلوك مثل هذه السبيل القويم من شانه أن يعزز ولاشك عناصر التنمية على الصعيد الداخلي من جهة ، ويسد الابواب امام الطفيليات الخارجية التي عودتنا أن تتصيد الاخطاء فى ميدان التنمية الاجتماعية والاقتصادية لتتخذ منها اعشاشا للتبييض والتفريخ ثم تستخدمها فيما بعد كاسلحة تنقض بها على ركيزات الاستقرار الواحدة منها تلو الاخرى .

واذا كان يبدو انه من الصعب بحكم الظروف الابتعاد عن ميادين الحرب الباردة فان هذه الصعوبة تتضاعف كلما ضعفت المتانة فى خطط التنمية ، وانعدمت عوامل التضامن فيما بين الاقطار النامية التي تريد أن تسلك سياسة جدية فى هذا الباب ، ذلك ان الاضطرار الذي نلاحظ مظاهره احيانا فى سياسة بعض البلدان النامية والذي يجرها الى التاثر بهذه الحرب الباردة ، انما هو ناتج فى الاصل عن انعدام التضامن أو عدم فعاليته ، وهذا الانعدام ينشا فى الاحيان عن انعدام آخر هو عدم الثقة بالنفس او التشكك فى جدوى هذه الثقة .

ومن هنا يسوغ القول بان الحرمان من الاستقرار سواء منه المتواصل او المتقاطع يتسبب فيه عنصران يتفرع احدهما عن الاخر ، عنصر داخلي وهو الاصل ، وعنصر خارجي وهو الفرع ، ولقد تجلى من مختلف الاحداث التي تعرضت لها بعض البلاد النامية وخصوصا فى القارة الافريقية بروز هذين العنصرين فى مشاهد مختلفة لم يسد معها ما يدعو الى الادلاء بحجج مقنعة اخرى ، فالاخطاء المرتكبة عن حسن نية فى بناء مجتمع جديد عن طريق الثورية اللفظية الجامدة والجامحة أيضا كان من نتائجها ان انقلبت الى اسلحة فى الخارج استعملت لاغراض مختلفة فى الداخل .

واذا كان امرا طبيعيا ان تمنى بعض تصاميم التنمية باخطاء فانه كان من الممكن استخدام ما سميناه فى هذا المرض « بالضغط على الفراميل » وفى الوقت المناسب ، ثم اعادة النظر فى كافة الجهاز المسير بالفحص الدقيق لجميع اجزائه .

ويوجد كثير من البلاد النامية فى اوضاع تمكنها من جراء المشورة فيما بينها ، وهذه الاوضاع يبرز تشابهها اكثر فاكثر بالنسبة الى البلاد النامية المتاخمة الحدود والتي تتشابه اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية كليا أو جزئيا.

ثم انه اذا كانت المعارك الحربية ينبغي أن يصاحبها الحذر فيما يخص مؤخرة الجيش ، فان المعارك ضد التخلف لا تختلف عنها .

والشرط الاساسي لربح معركة التخلف هو الحرص على ان تكون المؤخرة فى الميدان الداخلي وعلى المستوى الوطني سليمة — وباقصى ما يمكن من الوسائل — من عوامل التشكيك والبلبلة وتعتبر هذه المهمة من اقدس المهمات التي ينبغي أن يضطلع باعبائها رجال السياسة ، وكل العناصر التي يمكن أن يكون لتوجيهها تاثير على الراي العام الوطني ، ومهمة كهذه تقتضي وبكثير من الالحاح بان تكون الروح الوطنية الجماعية هي وحدها التيتملي اتخاذ المواقف من جميع القضايا الوطنية فى كافة البلاد النامية .

ان الاستعمار القديم كان يبدو فى شخصيته الحقيقية ويطبق خططه جهرا وعلانية فكان لذلك يعرف بسيماه ، وكانت مطاردته تقع فى شكل جماعي تبعا لذلك .

اما الاستعمار الجديد فهو يجوس خلال الديار وخصوصا فى القارة الافريقية متنكرا يرى هو وقبيله من

حيث لا يراه الناس ، على طريقة الشيطان تماما ؛ ولهذا اتسمت مهمة مطاردته بشيء غير قليل من العسر والصعوبة ، وكان من نتائج تنكره تضارب الاراء فى حقيقته ، الامر الذي أدى ويؤدي بأوضاع فى البلدان النامية الى ما يعتريها احيانا من انقسام فى الراي تتولد عنه بلبلة عامة سرعان ما تنقلب الى تهديد بالحرمان من الاستقرار .

وهكذا تتضح لنا معالم الطريق المؤدية الى عدم الاستقرار فى البلاد العربية والافريقية التي تكاد ان تنتقل اليها عدوى الروايات المتسلسلة البوليسية التي تميزت بها الاوضاع السياسية فى دول أمريكا اللاتينية .

ولو أن القادة الافارقة وكل القادة فى البلاد النامية يجهلون العوامل التي تؤدي الى عدم الاستقرار او تعذر عليهم لمسها : لكان فى الامكان القول بأن هنالك حالة من التعقيد يمكن قبولها فى شكل اعتذار لما ترتطم به البلاد النامية فى حفر عدم الاستقرار أما والحال أن هذه العوامل بينة وواضحة وتزيد الاحداث المتواليةوالمؤسفة فى نفس الوقت فتلتقي عليها انوار ساطعة ، فان كل عذر لم يعد له محل من الاعراب .

ومن خلال هذا العرض الوجيز يمكن استخلاص الحقائق التالية .

اولا — ان البلاد النامية والافريقية منها بوجه خاص تعاني الكثير من تكاثر فى الكمية البشرية ونقصان فى الانتاج ووسائله .

ثانيا — تعقيد الاوضاع وبالاخص منها الاجتماعية والاقتصادية التي خلفها الاستعمار وراءه كالغاز أراد من تركها أن يتحدى عهود الاستقلال .

ثالثا — ان الاشتراكية فى افريقيا يجب أن تخضع فى تطبيقها لظروف الهيئات الخاصة وان تكون التصاميم على قدر الامكانيات ، وان يؤخذ بعين الاعتبار لدى وضع كل تصميم فى اطار التنمية مختلف التيارات العالمية وتقع الموازنة والتقدير الدقيقين قبل الانطلاق فى اتجاه معين .

رابعا — ان التضامن فيما بين الدول النامية وخصوصا منها الافريقية ضرورة تستلزمها الظروف المتشابهة والامكانيات الطبيعية والبشرية التي يكمل منها البعض البعض الاخر .

خامسا — يجب ان تكون القيادة السياسية فى كل بلد من هذه البلاد وطنية فى روحها واقعية فى سلوكها توازن وتلائم فيما بين ما تقتضيه الوطنية وما تفرضه التقنية .

سادسا — ينبغي اخضاع العلاقات فيما بين الدول النامية والدول الاخرى الى عامل المصلحة القومية قبل عامل كل فلسفة ايديولوجية .

سابعا — مقاومة كل نوع من الحوار البيزنطي على المستوى الوطني واعطاء الديمقراطية مدلولها الواقعي وشكلها الحقيقي حتى لا تظل البيزنطية عائقا ينتصب أمام مطار التنمية المنطلق فيتسبب فى توقيفه ثم فى تعجيزه .

ثامنا — مقاومة الاحتراف السياسي فى غير هوادة وابادة كل صور من صوره بعدما اتضحت الاحداث والوقائع بما لا يقبل الشك أو التردد — بانه داء عضال.

تاسعا — مقاومة النزعة الجديدة التي ابتليت بها القارة الافريقية عن طريق البذخ المصطنع الذي ادى الى انعدام الضمير المهني والفساد الاداري اللذين تضررت منهما القارة الافريقية اشد الضرر وابلغه .

تلك فى رايي هي العناصر التي تولد ويتولد عنها الحرمان من الاستقرار فى البلاد النامية ، وهذه وسائل مقاومتها باختصار .

ان توالي الاحداث المخيفة فى افريقيا كان من شأنها أن وضعت كافة أقطار هذه القارة فى مفترق طريقين ، لا فى مفترق طرق كما يقال ، فاما استقرار تتوفر عوامله جملة وتفصيلا يساعد على تخطي الصعوبات ومواجهة المشاكل بما يتلاءم مع أهميتها فى الكيف والكم واما أن يتحقق الاعجاز التي تحدانا به الاستعمار وما يزال ، ولا ثالث لهما .

الرباط : **أحمد زياد**

نظرية العقد الاجتماعي
بين التفكير الغربي والشريعة الإسلامية

للأستاذ عبد النبي ميكو

مقدمـــــة :

ان نهاية القرون الوسطى وضعت حد هيمنــة الكنيسة وسيطرتها، وادت الى ردود فعل قوية، وولدت مبادىء وافكارا جديدة لم تكن معروفة ولا معهودة من قبل ، سواء في العلاقات الدولية ، ام في العلاقــات الداخلية . فمن الناحية الدولية أصبحت الدول الغربية مستقلة بعضها عن بعض وتخلصت من تسلط الكنيسة، فادى ذلك الى حدوث رد فعل عنيف بدا في الافكار التي نادى بها ميكيافلي المفكر الايطالي الكبير والتي تبــرر الاستبداد والطغيان ، وتبرر السيادة المطلقة للدولة ، ولم يكن يهمه الا صالح الدولة ، وان الغاية تبــرر الوسيلة ومثل هذا فعل بودان ، فهو يرى أن الامير فوق القانون ، أن القانون لا يلزم الامير لانه متحلل من كل الالتزامات القانونية ، وانما يلتزم بالتزامات خلقية ، ولهذا فان كلا من ميكيافلي وبودان لم يكونا يومنان بدولة القانون أو دولة المشروعية . ولكن فقيها كبيرا هــو كروسيوس قام ينادي في الميدان الدولي بضرورة قيام علاقات الدول فيما بينها على اساس من العدل والمساواة وذلك لبقاء المنتظم الدولي ، وسيادة الامن فيه ودوام العلاقات الطيبة فيما بين اعضائه وانكان هذا الفيلسوف الكبير هو نفسه لم يستطع أن ينجو من مناخ عصره ، فاذا به يجيز استعباد الدولة لدولة أخرى وان تضع دولة ما نفسها تحت كنف دولة أخرى ، وان الحرية وان كانت من الحقوق المقدسة ، الا انه يجوز التنازل عنها .

هذا بالنسبة للميدان الدولي اما في الميدان الداخلي فان الضرورة اصبحت ملحة لتنظيم علاقات الحاكمين بالمحكومين ومدى الحقوق التي يمكن ان يملكها الافراد العاديون قبل الدولة وبدا هذا عند فلاسفة « العقــد الاجتماعي » ، وعلى هذا الاســاس فساتحدث عن فكرة « العقد الاجتماعي » كما ساتحدث عن كل من « هوبز » « ولوك » « وجان جاك روسو » ثم الانتقادات التي وجهت للفكرة ثم هل عرف الاسلام نظرية العقــد الاجتماعي ام لم يعرفها . وبعد هذه المقدمة الوجيــزة اريد أن اتحدث عن الموضوع :

نظرية العقد الاجتماعي :

ان الافراد كانوا يعيشون على الفطرة يتمتع كل واحد منهم بحرياته دون أن تكون هناك حدود أو قيود ترد عليها ، ولكن الحرية المطلقة أدت الى الفوضــى والاضطراب ذلك لانه حيث يملك كل شخص فعل ما يريد فانه لا يملك أي فرد فعل أي شيء ، لانه اذا اراد الكل ان يعيش حرا فان الكل سيعيش عبدا ، فحيث الحرية المطلقة ، توجد العبودية المطلقة ، ولذا فان الافراد اتفقوا على يخرجوا من حياة الفوضى الى عهد النظام وقبل كل واحد ان يتنازل عن بعض حقوقه ، وان يعيش مع الاخرين تحت امرة سلطة توفق بين المصالح، ولكن اختلف في اطراف العقد واثره ، ولذا ساتعــرض للفكرة عند « هوبز » « ولوك » « وروسو » .

هــوبـــز :

ان حياة الانسان قبل قيام الدولة كانت فوضى وحروب مستمرة ، الباعث عليها الانانية والشر الذي جبل عليه الانسان وكانت الغلبة دائما للاقويـــاء ، والهزيمة للضعفاء ، وكان الانسان ذئبا لاخيه الانسان ، وعدوا لدودا له ، وهذا الوضع من شأنه ان يؤدي الى

الشقاء . ولما كانت هذه الحياة المضطربة تهدد كيان الانسان ، ولا تحقق له ما ينشد من سعادة ، وتتنافى مع غريزة حب البقاء ، لذا فان الافراد فكرو فى وسيلة تكون منجاة لهم من هذه الحالة السيئة فكان ذلك فى اختيار شخص يكون رئيسا لهم ومهمته التوفيق بين المصالح المتعارضة للافراد ، وهذا العقد الذي ابرم بينهم لم يدخل فيه الشخص الذي اختاروه ليكون رئيسا لهم فالتعاقد تم بين جميع اعضاء الجماعة ، باستثناء فرد واحد هو الذي اصبح يلي شؤونهم ، ويقول هوبز : « بان الافراد تنازلوا عن كل حقوقهم ، فله أن يتصرف فيها بدون قيد ولا شرط ، لانهم لو تنازلوا عن بعض حقوقهم لاتيح للفوضى أن تعود من جديد وبما انه ليس طرفا فى العقد فيجب أن تقابل اوامره بالطاعة مهما كان الامر، لان هذا الوضع أحسن لهم منحياة الفوضى، فهم تنازلوا عن حريتهم فى سبيل الحصول على الامنوالسلام وعليه « فهوبز » يبرر الاستبداد عن طريق العقد الاجتماعي والجدير بالذكر ان هوبز اذ يبرر الاستبداد ولا يضع امام القانون الوضعي من مثل اعلى ، يخطىء ذلك اذ أن الحياة الانسانية لا تخلو من مثل ثم ان المشرعين عندما يريدون أن يشرعوا زيادة على الغايات العملية التي تحدوهم فانه لا ينبغي أن ننسى انه لابد من ان توجد قبلة المشرعين مثل عليا سامية خالدة والحياة العامة لا يمكن ان تخلو من مثل لانه لا يعوزها الامل فى تحقيق العدل وتحقيق مستقبل افضل وحياة اغر .

لـــــوك :

لم يكن كزميله هوبز من أنصار الاستبداد والطغيان بل كان من أنصار الحرية ومن دعاتها فهو لم يعمل على تبرير الاستبداد وانما عمل على تبرير الحرية وآمن بضرورة تقييد السلط ولعل السبب فى ذلك هو أنه عاش فى البيئة الانجليزية وهي بيئة حرية ومجتمع تسامح خصوصا وان انجلترا كانت انذاك حديثة عهد بالتخلص من الاستبداد والطغيان وقد برر ثورة 1688 وهو يرى ان حالة الانسان الاولى لم تكن بؤسا ولا فوضى ولم تكن تحكمها قوة الطبيعة العمياء بل ان الانسان كان متمتعا بسائر حقوقه فى ظل القانون الطبيعي ولكن اراد الخروج من هذه الحياة لتعارض مصالح الناسولغموض القانون ولعدم وجود القاضي المنصف فى كثير من الظروف . ولذا أراد الناس ترك هذه الحياة والاخذ بحياة يسودها التعاون وتعمها المحبة ، وهم لم يتنازلوا عن كل حقوقهم الطبيعية بل تنازلوا عن البعض الذي يحقق الصالح العام ولم يتنازلوا بصفة نهائية وانما بصفة موقتة وما لم يتنازلوا عنه لا يمكن للحاكم المساس به . وبما أن الحاكم طرف فى العقد فاذا لم يحافظ على شروطه ولم يحقق الصالح العام جاز للجماعة فسخ العقد، والقانون الوضعي ، انما يهدف حماية الحقوق الطبيعية للافراد تلك الحقوق التي لم يتنازلوا عنها .

روســـــو :

كان الانسان عند روسو يتمتع قبل وجود الدولة بحرية كاملة وكان سعيدا فى حياته ولكن اضطر الى ترك هذه الحياةوالانضمام الى غيرهوذلكلاقامة نظام اجتماعي يحقق العدل العام . وسبب ترك الناس للحياة الفردية هو تعدد المصالح وتناحرها . وقد تنازل كل واحد من الافراد عن حرياته الطبيعية للجماعة وذلك مقابل حصوله على حريات مدنية . وقد نصبوا عنهم وكيلا . وهذا الوكيل لا يملك السيادة اذ السيادة دائما للشعب. وذلك لان روسو يومن بان الشعب هو مصدر السلط . وما السلطان الا مجرد وكيل يعبر عن ارادة الشعب ولذا يحق له خلعه متى شاء .

تقدير روســـــو :

رغم ان روسو كان له فضل كبير على الثورة الفرنسية حيث الهب نفوس طلاب الحرية وجعلهم ثورة عارمة ، ورغم انه اوحى للثائرين بكلمات كانت فتيل الثورة ، ورغم ان الثورة الفرنسية استوحت منه مبدأ الحرية والمساواة فاننا لا نحشره فى زمرة الذين دافعوا عن حقوق الافراد وحرياتهم ورغم ما قيل عنه من أنه مومن بحقوق الافراد وذلك لانه اعتقد أن الارادة العامة معصومة من الخطأ ولا يتصور ان تقصد غير الصالح وهذه نظرية مادية اذ يصبح عدلا ما يراه المجتمع أم تراه الاغلبية على الاصح كذلك اذن فهو اراد ان يحرر الناس من طغيان الافراد واستعبادهم لهم ولكن وضع مكان استعباد الافراد استعباد الجماعة. فآمنبدكتاتورية الجماعة بدل دكتاتورية الفرد . ولكن يغتفر له ذلك لان قلبه كان مفعما بالخير .

نقد نظرية العقد الاجتماعي :

1) انها نظرية فلسفية تستند الى الافتراض وهي فكرة خيالية وليست حقيقة علمية فالتاريخ لا يبرهنعلى صوابها اذ لم يبين لنا متى اجتمع الناس وتعاقدوا على

اقامة الدولة ثم ان فكرة العقد بعيدة عن خيال الانسان البدائي .

2) من غير المتصور الحصول على رضا الناس جميعا في حين أن رضاهم شيء اساسي خصوصا وانه سيصبح قانونهم الذي يحكم علاقاتهم وتصرفاتهم لذا فان اجماعهم عليه مستحيل اذن فلم يبق الا اجماع واتفاق الاغلبية ورضاها ولاشك ان هذا كما بينت سلفا تبرير لاستبداد الاغلبية بالاقلية .

3) اذا افترضنا قيام عقد وسلمنا بوجوده فمن يضمن لنا استقراره واستمراره ودوامه منتجا لآثاره ؛ ذلك لان الجيل الذي ابرم العقد يمكن ان يلتزم به ولكنه لا يستطيع ان يحمل الاجيال المقبلة عبء هذا الالتزام فيقيد من حريتها وينال من استقلاليا .

4) هناك تناقض ذلك ان النظرية تقرر ان الجماعة نشأت نتيجة عقد فاذا كان الامر كذلك فمن الذي ابرم العقد .

5) ان النظرية من اسسها خاطئة اذا انها تفرض ان الانسان كان يعيش منفردا منعزلا قبل قيام الجماعة في حين أن الانسان ما عاش الا بالجماعة وفي الجماعة وهو اجتماعي بطبعه .

الاسلام ونظرية العقد الاجتماعي :

اما الاسلام وهو الشريعة الخالدة التي اتت لتنظم علاقات الانسان بربه وعلاقاته بغيره من الناس اي انه ينظم الروابط الدينية والدنيوية العلاقات الاخروية والعلاقات الاجتماعية وبتعبير ادق فهو دين ودولة على خلاف المسيحية التي كانت دينا فقط ولم تكن دولة اذ انها اخذت بمبدا ان ما لقيصر لقيصر وما لله لله حتى تدخلت الكنيسة واضحت تنظم علاقات الناس فيما بينهم.

والاسلام اذ ينظم علاقات الناس فيما بينهم فانه ينظم علاقات الافراد فيما بينهم وبين بعضهم البعض وكذا علاقاتهم بالدولة أي علاقة المحكومين بالحاكمين وهذا الجانب هو الذي يهمني الان وهو الذي يخص نظام الحكم ولا يهمني من هذا النظام الا الحقوق التي يملكها المحكومون ازاء الحاكمين بصفة خاصة . والاسلام في نظام الحكم لم يقم بتعيين الشكل الذي يمكن أن تقود به الدولة البلاد وانما اكتفى ببيان ضرورة حصول العدل والمساواة والشورى واعتبر هذه بمثابة موجهات عامة واصول ثابتة راسخة لا تتغير ولا تتبدل اما الشكل فهو لم يتناوله لانه عرضة للتبديل والتغيير ويتأثر بعامل الزمان والمكان وعرف نظام فصل السلط ثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فكانت الاولى بصفة مبدئية بيدا لارادة الالهية تجلت في الوحي الكتاب والسنة والمصادر التي اعتمدت عليهما من اجماع وقياس الى آخره أما السلطة التنفيذية فهي بيد الامام والقضائية بيد القضاة الذين كان يتم اختيارهم اما بالتعيين او الانتخاب . وقد عرف المسلمون العدل والمساواة والشورى في حياتهم وتدسوا مبدا فصل السلط ولا أدل على ذلك بالنسبة لهذا المبدا ما قاله عمر بن عبد العزيز في هذا الموضوع : « ايها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد الا واني لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدىء ولكني متبع » . وعلى هذا الاساس فان الشعب هو صاحب السيادة وهو مالكها ولكن بما انه لا يملك ان يباشرها بنفسه بل لابد من ان يوكل عنه غيره ليباشرها وهذا الوكيل هو الامام وهو يختار عن طريق البيعةوهي تعاقد فيما بين المسلمين وولي الامر فاطراف العقد هما الشعب والامام يلتزم الامام باحترام الوحي الالهي في اطاره العام وتحقيق مصالح الامة واهدافها البعيدة في الرقي والتقدم وتلتزم الامة باطاعة ولي الامر والخضوع له فيما يصدره من اوامر وقررات متى التزم الوحي الالهي وحافظ على مبدا المشروعية اما ان لم يلتزم فانها تكون في حل من أمره لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهنا يجوز لها خلعه وتغييره بسواه وعليه فالامام ليس الا واحدا من الرعية وعضوا من اعضائها وهو يستشيرها ويسترشد بها وهي تلجأ اليه وتلوذ به وكل واحد منهما يعتبر سندا للاخر وقد عبر عن الفكرة أصدق تعبير الخليفة الاول حيث قال : « ان احسنت فاعينوني ، وان اسات فقوموني » . فهل يمكن أن يستدل من هذا على أن المسلمين عرفوا العقد الاجتماعي كما عرفه الغربيون تجلى في نظام البيعة . الجواب لا ان الاسلام لم يعرف العقد الاجتماعي كما عرفه الغربيون ذلك ان نظرية البيعة هي نظرية فريدة من نوعها ونظرية سابقة على نظرية العقد الاجتماعي ولم يكن الاسلام بامس الحاجة الى نظرية العقد لانها نظرية وجدت عند بعض الفلاسفة الغربيين لتبرير الحرية والايمان بان هناك حقوقا مقدسة يجب احترامها وعدم جواز المساس بها خصوصا وانها وجدت في زمن كان استبداد الحاكم بالرعية شديدا ولم يكن يعترف للافراد والجماعات بحق فابتكرت فكرة العقد لبيان أن هناك حقوقا لا يمكن المساس بها لذا فهي حيلة أو خديعة وكذب للحد من الاستبداد ؛ لهذا قيل عنها انها اكذوبة . فلو ان الغربيين كانوا يعيشون في حرية وكانت حقوقهم محترمة وكانت صلاتهم بالحاكمين قائمة على اساس الاحترام المتبادل

لما كانوا بحاجة الى هذه الوسيلة الكاذبة ليرتبوا عليها اثارا قانونية . اما المسلمون فانهم عاشوا الحرية وحققوا المساواة التي لم تحققها اوربا لحد الساعة في حياتها ومارسوا الشورى وزاولوا نظام فصل السلط وكانوا يعيشون كل هذه الحقائق اذا فلم يكونوا بحاجة الى اكذوبة ليبرروا بها حريتهم ولهذا فلا مجال لان نعرف نظرية العقد الاجتماعي ونتساءل عن التنازل هل كان نهائيا ودائما وأبديا أم كان موقتا وهل كان التنازل كليا أم جزئيا وهل من وقع له التنازل كان ضمن الجماعة أم كان اجنبيا عنها واذا كان التنازل جزئيا فمعنى ذلك أن هناك حقوقا لم يقع التنازل عنها وهي حقوق طبيعية مقدسة سابقة على وجود الجماعة ذاتها وعلى وجود القانون وما على الجماعة الا ان تراعيها وما على القانون الى ان يحميها وهذا يسلم الى تسويد الحق على القانون كما يسلم الى سيادة الانانية وهيمنة المذهب الفردي . ولهذا فالمسلمون لم يعرفوا نظرية العقد الاجتماعي كما عرفها الغربيون وانما عرفوا نظام البيعة وهو نظام بسيط في مظهره عظيم في مخبره يومن بان السيادة للشعب تمارس عن طريق الوكالة وهي حقيقة واقعية لا فكرة خيالية لا تقوم على اساس الحقوق اللصيقة بالانسان والسابقة على وجود القانون لان كل الحقوق في الاسلام قانونية ولابد من أن يعترف بها القانون ولذا فنحن لا نعرف ما يسمى بتسويد الحق على القانون وعلى هذا فهو لا يسلم الى سيادة الانانية والمذهب الفردي لان الاسلام ليس فردي النزعة ولا اشتراكيا وانما هو اسلام . ولذا فاني اعتقد ان دراسة بعض الافكار والانظمة الغربية ومحاولة ايجاد مثل لها في الاسلام وتطبيقها دون اعتبار للظروف والملابسات التي كونتها وادت الى تطبيقها ما هو الا خطأ محض من ذلك أننا عشنا الحرية فلم نكن بحاجة لنفلسف مطالبتنا بالحرية والاستقلال وهم لم يعيشوها ولذا عملوا على تبريرها هم عرفوا الكنيسة التي هيمنت وسيطرت على حياتهم واستبدت بهم واستغلتهم وداست حقوقهم وحريتهم ولهذا ثاروا عليهم وطالبوا بانفصال الدولة عن الدين واقاموا الدولة العلمانية اما نحن فليست عندنا سلطة دينية حتى نعرف تسلطها وسيطرتها وقهرها وغلبتها فاذا بنا نثور عليها طالبين انفصال الدولة عن الدين ونريد تحقيق الدولة العلمانية في بلادنا لذا فان الذين يريدون أن يقلدوا الغرب في مثل هذه الافكار يخطئون اخطاء فادحة .

الرباط : **عبد النبي ميكو**

تمام العقل

حكي ان بعض المغفلين امسك كلبا ، وعضه وقال : هذا الكلب عضني منذ ايام ، وانا اريد ان اخالف قول القائل :

شاتمني عبد بني مسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم اجبه لاحتقاري له ،
ومن يعض الكلب ان عضا ؟



للأستاذ أحمد الجندي
سكرتير المجمع العربي بدمشق

ان الظواهر الادبية لدينا فى هذه الايام لايصح ان ندعوها نهضة ادبية ، لانها ظواهر تغمرها الفوضى ويحوطها الاضطراب ويسيطر عليها الارتجال الذي لايعمل فيه العقل ولا يتناوله الذهن فكل اديب يسير فى سبيل خاصة ، وكل شاعر ينتهج نهجا مستقلا ، لايمت باية صلة الى نهج زميله فى الفن ، او خدينه فى الادب . وبدلا من ان تكون نهضتنا الادبية مجموعة ينتظمها اسلوب متشابه ، وشكل متقارب ، فقد اصبحت الوانا مختلفة لاتجمعها اسرة ولا توحد بينها رابطة ، وهذا هو سبب انفراط العقد وتناثر الحبات ، وتشعب الاهداف ، وتفرق الغايات ، مما ترك هذه النهضة الادبية غير منتجة وغير ذات اثر بارز .

ولقد درسنا النهضات الادبية فى الامم المختلفة فوجدناها مسبوقة بحركات ثقافية تبدا من المدارس وتسير الى النوادي والمجتمعات والجمعيات حتى يجتمع من هذه الينابيع المختلفة المصادر شعراء وادباء وفنانون يتشابهون بالميول ويتقاربون بالامزجة ، ثم يجتمعون فيؤلفون لهم مذهبا خاصا ، فيه من المذهب السابق بعض الشيء ، وفيه من الطريقة الجديدة كل شيء . وهكذا راينا المدرسة الرومانتيكية فى فرنسا ، وفي انكلترا ، وفي ايطاليا ثم هكذا عرفنا المدرسة البرناسية ، وكذلك المدارس : الرمزية والطبيعية ، والواقعية وغيرها التي ضمت كل واحدة منها جماعة كثيرة من الادباء يمثلون عواطف واحدة واهواء متشابهة وان كانت لاتخلو من الوان متباينة فى احيان كثيرة ولكن تباينها هذا لايؤثر في وحدتها واتساقها الذي سجلته الاذواق واقرته الاذهان .

لقد كان الشعر العربي حتى مطلع الحرب العالمية الثانية ، شعرا متسقا ، سار من بعد شوقي وحافظ ومطران ، فتسلمه بشارة الخوري وجبران وبدوي الجبل ، ثم اتى بعد هؤلاء علي محمود طه ، وابراهيم ناجي ، ثم اتى ، ابو ريشة وامين نخلة وابو شبكة ، فكان لكل درجة من هذه الدرجات لون خاص بها . وكان التطور يسير بخطى وئيدة متزنة ، حتى اقر الناس انه التطور الصحيح ، وحتى وجدنا من وراء هذه الجماعات نهضة ادبية صحيحة ، وظاهرة فنية جديدة نقلتنا من عهد شوقي الى عهد جديد رائع فيه شعر موهوب ، وفيه ادب ناضج .

وسبب هذا الاتزان والهدوء والاستقرار فى الانتاج الفني يرجع فى الاعم الاغلب الى الدراسة المنتظمة ، والقراءة الدائبة الفاهمة ، والعمل الصحيح الصادق ، فالشاعر يدرس لغته اول امره فى المدرسة وفي البيت ، ثم تهديه ملكته الفطرية الى قراءة وحفظ القصائد التي تصادف هوى من نفسه وهي قصائد لايحدها حصر فى الادب العربي القديم والحديث حتى اذا انتقل فى تطوره الثقافي من مرحلة الى اخرى راينا ذوقه الادبي آخذا بالنمو شيئا فشيئا ، حتى يخط لنفسه خطة خاصة ينظم شعره تبعا لها ويكتب نثره مستوحيا منها ، فاذا هو شاعر اصيل مجدد ، او كاتب جليل متطور . هذه المراحل التي تشبه فى مجموعها القاعدة المطردة التي لايجوز الشذوذ عنها قد خالفها ادباؤنا الجدد ايما مخالفة ، ونهجوا على غير غرارها نهجا مليئا بالعثرات ، غاصا بالعقبات .

فدراسة اللغة العربية الاولى دراسة مبتسرة عاجلة غير ناضجة لاتشكل ثقافة ولا تؤلف ذوقا ادبيا او فنيا ، وهذا ما يؤثر في اضعاف الملكة الادبية التي هي الاساس لكل انتاج ادبي ، واذا ضعفت الثقافة وهزلت الملكة الفنية ضاع الطريق الواضح ، والتبس

المنهج البين ، فيروح الشاعر ، او الكاتب بين اليسار واليمين ، او اليمين واليسار حتى يغيب اتجاهه عن القارئ ، وربما سقط في احدى متاهاته فقضى قبل ان يعرف ، وانطفا قبل ان يضيء .

ونتيجة لهذه الاضطرابات التي لايجمعها ضابط ولا يواخي بينها ناظم ، اصبحت ترى الوانا مختلفة من النشاط الادبي ، بين شعر ونثر ، وكل صاحب لون يدعي انه المجدد الذي طور الادب وقدم الفن واخذ بيد الالهام الى المحجة البيضاء ، حتى اذا رجعت الى هذه الاثار وقعت على شعر ليس بالشعر ، ونثر لايشبه النثر لانه فقد النكهة العربية ، واضاع الفطرة اللغوية ، وحسبك دليلا على هذا ما تقرؤه هذه الايام من شعر يقال له « الشعر الرمزي » ونثر يسمى « بالنثر الفني » وكلام هو بين هذين اللونين ، الشعر والنثر ، يسمى بـ « الشعر المنثور » ، وكل هذه الاقسام الثلاثة تفتقر الى الصورة الفنية ، واللفظة الشاعرة والموسيقى المنغومة والقافية الطريفة الهادئة الرزينة ، واذا انت في كل ما تراه من ادب وشعر قد فقدت علائقك الفنية وضيعت سلوتك الادبية ، حتى ترجع الى الكتب الماضية والازمنة السالفة فتقلبها وتقرأ في صفحاتها شعرا طيبا يعزيك ، ونثرا عاقلا يسليك ويفريك .

قرات منذ زمن قريب مقالا يتعرض كاتبه للشعر الاوربي في فترة ما بعد الحرب الثانية فوجدت ان الداء الادبي الذي نشكو منه قد اخذ ايضا بتلابيب الفن في كل بلد ، فهنالك في كل بلد جماعة ممن تثقفوا ادبيا ثقافة ناقصة لم يستطيعوا اكمالها ، وقراوا قراءات مستعجلة مشوشة لم يتوصلوا الى تهذيبها والافادة منها ، وهم ، مع ذلك لايريدون غير التجديد مطلبا ، ولا يسالون غير الاختراع الفني هدفا ، وقد سعوا الى هذا عن طريق عجيبة ؛ فقد اهملوا هذه الارض التي نعيش عليها جميعا احتقارا واشمئزازا منها واستهوانا لامرها ، ونظروا نظرة حاقدة محنقة الى السماء فراوا الشموس والنجوم والكواكب والاقمار فحلقوا بينها يرودون ما فيها من معان عظيمة وصور رائعة ، فلم تسعفهم قرائحهم الخابية ولم تعنهم مواهبهم المختصرة فثار ثائرهم واضطرمت احاسيسهم فاخذوا ينطقون بشعر هو اشبه بالتجديف ، وبنثر هو اقرب الى التخريف ، ثم هدتهم ملكاتهم الصغيرة كرة اخرى الى لون آخر من الوان الكلام ، وهو لون يلفت الناس ولا يطربهم ، ويثير انتباههم ولا يعجبهم ، انه لون « الجنس » والجنس كما لايخفى بضاعة رخيصة الا انها سائرة حتى حصروا نشاطهم الادبي في هذه النقطة الهينة التي لاتسمن ولا تغني .

وهكذا فقد بعض الادباء المتطرفين الاسلوب الشعري الرائع ، والمعاني الطريفة والصور الاخاذة والاخيلة البديعةليلهوابمعانلاتشبه المعاني والصوروكان داء العصر هذا قد وصل الى ادبناالعربي فظهر هذا الادب المبتسر ، والشعر الغث الذي تقراه وانت مرغم ، وتخرج منه وكانك لم تقرا شيئا ، لفقره بالمعاني وخلوه من كل احساس يهزك ويرضيك .

نحن نقول لهؤلاء ، ان الشعر يستدعي الى جانب الفطرة ، قراءة ودرسا واجتهادا ، كغيره من مجالات الفكر والعمل الذهني ، ولقد روي عن الفنان الايطالي الاشهر « ميكال انجلو » انه كان من اعلم الناس بالهندسة وبالتشريح الجسدي ، وكذلك ليوناردود افنشي ، كما كان المتنبي عندنا من العلماء الافذاذ في اللغة والشعر ، وكذلك ابو العلاء والشريف الرضي .

الى هؤلاء الشباب نسوق هذه الامثلة ، ليرجعوا الى انفسهم فيقراوا ويغذوا ملكاتهم الفنية ، ان كانت هنالك ملكات ، لان الارتجال الذي يعتمد على الفطرة وحدها ، كان و ما يزال آفة الادب العربي .

دمشق ـ احمد الجندي



طالما تساءل المهتمون بشؤون الادب فى بلادنا عن ازمة الادب . ومن بواعث هذه الازمة ، والواقع ان هذه الضجات لم تكن مفتعلة بقدر ما كانت تنم عن تاملات داخلية ، كان يجد ادباؤنا تفسيرها فى مثل هذه العبارات التي يمكن ان تتفق مع الواقع ويمكن الا تتفق ، ولكن مع هذا فنحن لانذهب بعيدا لنزعم ان ادبنا يعيش فى ازمة . وانما نتساءل هل لنا ادب ام لا ؟ ، واذا كنا متفائلين فاننا نتساءل هل لهذا اللون من الكلام اصالة ادبية ام لا ؟ والواقع ان معاني الادب لم تتضح بعد فى عقولنا : فالوعاظ ادباء والذين يكتبون عن الاقتصاد ادباء ، ولست ادري ماذا يمكن ان يقال عن كتاب القصة والمسرحية والشعر .

ان الشعر فى المغرب لازال يمسك بيده عصا الزعامة ، ولهذا فنحن نقرا هذا الشعر ونحاول ان نجد فيه جديدا ، او بالاحرى تطلعا الى الجدة ، فاذا لم تكن هذه الجدة فى الموضوع ، فاحرى بها ان تكون فى الاسلوب ، واجدني هنا مضطرا لاستعمل كلمات قد لا يرضى عنها الناقد مثل : ان هذا الشعر يخلو من الاصالة الادبية ، او غير ذلك ، لاننا خلال عصور طويلة لم نجرؤ على القول بان لنا شعرا ، وان كان فلا نستطيع ان نقول : ان لهذا الشعر اصالة ادبية ممتعة الا فى النادر ، وفى هذه الملاحظات التي نسجلها لا نستطيع ان نزعم ان وسائل النقد عندنا قد اكتملت ، او اننا ننتج انتاجا نسمح فيه لانفسنا ان نتخذ للنقد منهاجا ما ، لان النقد كالانتاج لايعتمد على نظريات وضعها آخرون فى عصر آخر او فى بيئة اخرى ، وانما ينبع من الجو الذي يحيط بالادب ، فالانتاج والنقد يجب ان يشملهما محيط واحد ، وان كان النقد يلتقي فى اشياء عامة ، لايختلف فيها الناقد من بلد الى آخر ، ومن عصر الى آخر ، مثل الاصالة ، والاهتزاز ... الخ ، كما انه لايجوز ان نقف في وجه النقد ، بدعوى ان الناقد يجب ان يضارع المنتج او على الاقل يسير فى طريقه ، اننا لانشترط فى النقد لا لنا ولا علينا ، الا القراءة والفهم الصحيح ، انني اقراء ومن حقي ان اقرا ومن حقي ان الاحظ لانني اقراء ، ومن واجب المجلة ان تتقبل الملاحظة ، من حقي مثلا ان اقول ان جزءا من عشرين من درهمي قد ضاع فى الموضوع الفلاني ، ويمكن ان يكون رايي تعبيرا عن راي عدد كبير من القراء المستهلكين ، وقد يكون الجزء من العشرين متعددا بتعدد الافراد فترتفع قيمة هذه الاجزاء الصغيرة الى مئات او آلاف الدراهم ، على اي حال نحن نريد ان نبث مشاعرنا للمجلة كما يبث القراء مشاعرهم الى مجلاتهم فى استفتاء ما تقوم به المجلة او الجريدة ، فى موضوع انتاجها او فى موضوع تنظيمها ، او فى موضوع موعد صدورها ... الخ .

ولقد كان بودنا ، ان نجيب لدعوة الاستاذ المحاسني فنكف عن بث هذه الملاحظات ، ولكننا لم نعد قادرين على التفاؤل فى وقت اصبحت فيه المجلات كالسيل ، بالاضافة الى اننا متاكدون انها ستستمرق هذه الوفرة لاسباب يعرفها الصحفيون وحدهم : ـ دعوة الحق ـ البحث العلمي ـ اللسان العربي ـ ـ اقلام ـ المسرح ـ الطريق ـ ... الخ ، ان شيئا من الخوف قد بدا يطغى علينا فى ان تنتهي هذه المجلات الى العناية بالكم اكثر من العناية بالكيف ، ونحن امام تجربة كثيرة ، امام تجارية واسعة النطاق تغزونا من لبنان وغير لبنان : ترجمة كتاب (جان بول سارتر) فى خمسة عشر يوما ، وترجمة كتاب علمي من امريكا فى عشرة ايام او اقل ، اننا امام تجربة قد تكون نتيجة للتسامح الذي نقابل به الانتاج ، ولقد سبق الاستاذ المحاسني الى هذه الدعوة رجل آخر ، رجل مرن الاعصاب ، ذلك

الرجل هو الاستاذ علال الفاسي ؛ لقد ردد الاستاذ علال الفاسي شعار التسامح في موضوع الانتاج الادبي على أول عهد الاستقلال ؛ ولكن لم يعد هنا من سبيل.

كما رأينا محاولة هنا وهناك يقوم بها اناس قد تشك في مكانتهم العلمية ؛ واذا لم يراودنا شك من هذه الناحية فقد يراودنا شك في حسن طويتهم ؛ ان وضع المغرب كدولة لايفصلها عن اوربا الا بضع كيلومترات يجعلنا نحاذر خوف ان يصبح المغرب بوضعه الجغرافي اداة تعبير بواسطته الافكار الرخيصة الى القاريء العربي لا في المغرب وحده بل في العالم العربي كله ؛ اذا كانت لبنان تلعب دورها الخطير في هذا المضمار وفيها لغات ثلاث وهي على صغر حجمها فماذا يقول المغرب الذي يكبرها مساحة مرات عديدة ؛ وقد يظهر في المغرب راسماليون يتخذون من الصحافة وسيلة للاثراء ؛ نظرا لهذه الاسباب كلها لم يبق لنا الا سلاح واحد هو التمسك بحقنا في استعمال النقد ؛ نقد الشعر ؛ ونقد النثر : الكتب الفلسفية والقصة والمسرحية ؛ والترجمة ؛ اننا نشك في اصالة بعض المترجمين في المغرب ؛ كما انني اعرف رجال الترجمة واعرف انهم لايفعلون شيئا ؛ ولهذا فنحن نرفع اصواتنا عالية مطالبين باستخدام حق ما ؛ ونحن مقبلون ايضا على انتاج لانرتاح له الا اذا مر في الميزان ؛ ومع هذا فلا ينبغي ان ناخذ في اذهاننا تلك الصورة القاتمة عن النقد وانما نهدف لشيء واحد هو حمل ادبائنا على الالحاح على الاصالة الادبية حتى لايختلط الادب بالاعمال العلمية من فلسفة وغيرها .

اننا مقبلون على ممارسة تجربة ما وان هذه التجربة لن تقف عند حد او عند شخص بل هي محاولة يمكن ان تكون طويلة ؛ ويمكن ان تكون عابرة ؛ ويمكن ان تكون محتدمة ؛ يمكن ان تكون منا ويمكن ان تكون من غيرنا في جانب انتاج يصدر عنا .

قراءات في قصيدة الاستاذ عبد الكريم التواتي

ولقد طلعت علينا مجلة دعوة الحق ــ العدد الاول من السنة التاسعة بقصيدة للاستاذ التواتي بعنوان (لقاء بطليين) ؛ والاستاذ التواتي كما عرفته وكما يعرفه قراء العربية رجل فحل في اللغة العربية وتاريخها ؛ يعرف العربية بقواعدها وربما بشواذها ؛ تسأله عن المفعول فيقول لك قال الناظم الفلاني ؛ وقال الناظم الفلاني ؛ وربما اعطاك فتوى في النحو .

وموضوع القصيدة شائق جدا ؛ وهل الحسن الثاني الا عمل متواصل ؛ وحركة دائبة يجد فيها الشعراء والمفنون ما يلهمهم ويحفز قرائحهم ؛ ولهذا فالمناقشة لاتشمل الموضوع وانما تشمل الاجادة في هذا الموضوع او بالاحرى الاستجابة والتأثر الذي تتركه هذه القصيدة في القاريء من حيث هي عمل ادبي؛ وربما كان من الاحسن الا نستعمل كلمات مثل النقد الجمالي ؛ او الايديولوجي وانما نتخذ عبارات يتفق معنا فيها الاستاذ التواتي كان القدماء يستعملونها « المبنى والمعنى »

ان الملاحظة العامة التي يخرج بها القاريء سواء واصل القراءة الى النهاية او وقف عند البداية ــ لايكاد يشعر انه امام شاعر مطبوع يقول الشعر عن سليقة وانما يجد شعرا متكلفا غلبت عليه الصنعة ؛ فجعل صاحبه يرصف الكلمات بجانب بعضها البعض كاللبنات الموضوعة في قالبها لافرق بين ان تكون هذه الكلمات قد ناسبت المعنى ام لا ؟ او بالاحرى جعلت الفكرة تاخذ تسلسلها في هدوء وثبات ؛ تاخذ الافكار بعضها برقاب بعض ؛ ان الكلمات التي يفرضها على الاستاذ التواتي ما يسمى « بالميزان » ؛ تجعلني اتخيل الشاعر وقد جلس واضعا كراسته امامه وكتب بخط عريض في اعلى الورقة :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل   فعلن مفاعيلن فعولن مفاعل

ثم تصور الجو الذي يحيط ببحر الطويل من علل ؛ زيادة او نقصا ؛ وما لهذا الطويل من عروض وضرب وهو يردد مع نفسه :

طويل له دون البحور فضائل
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

وحذف كذا يقضي كذا فتصير فعولن فعو :
ثم راح ينظم الشاعر على هاته الطريقة لا تحدوه فكرة معينة يريد التعبير عنها وانما تقوده القافية والاوزان ياتي بالكلمة لتملأ مكانها كما تملأ المربعات فاذا لم تناسب الكلمة المقفلة ردها وجاء بكلمة مكانها تناسب الوزن حتى لياتي البيت الواحد وفيه كلمات **لا يربط** بعضها ببعض الا الوزن فيجيء البيت :

كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الالوان مختلفات

كهذا البيت :

اجبت نداء الصارخين ؛ ورخصة
تذبح تذبيا وتقصى المنافيا

وفي بيت آخـــر :

ابورقيبـــة الاسمـى ويا حسن السنـا
تساميتمـــا في المكـرمـات تساميـــا

وفي بيت آخـر :

معـــانـــي خيـــر كلهـــا وتفـــاؤل
بمستقبـــل فينـان يرسي التدانيـــا

لقد تحكمت القافية والوزن في الاستاذ حتى لـم يعد يراعي ما في الكلمات من معان الا بمقدار ما تجـره عليه هاته الكلمات من ربح في الوزن والقافية ، وتتحكم فيه القافية حتى ليقـول :

تعاهـدتمـاه والمـلائـــك حضـــر
فشعباكما قد « ردداه اغانيـــا »

فجملة والملائك حضر لم يكن لها من معنى الا انها ارضت الاستاذ ليقول فعولن مفاعلن ، وكذلك في جملة ردداه اغانيا ، وليت شعري ما قيمة العمل اذا انتهـى عند الاغاني التي تردد ؛ ان كلمة فينان في البيت الذي سقناه قبل هذا لتشكو الى الله مقامها وتتضرع الـى الله من فعل الخليل بن احمد الذي جنى عليها بوضعه نظام العروض ، وهكذا في كل القصيدة او بالاحـرى المنظومـــة :

يظـــل ويمســي يبتني لصروحهـــا
ويـرفـــع اعـــلامـــا لها وروابيـــا

وما شان الروابي هنا الا انها اشبـه بالبيـــدق الذي جاء ليملأ المربـــع الفارغ :

وانـــت الـذي انشأتـهـــا وخلقتهـــا
وقلـت لها : كونـــي فكانت غـــواديـــا
وتونـس اضحت في عهـودك مــو
نـــــل وحصنـــا للفتـوة عاليـــا

وما فائدة عاليا هنا وهل هو برج للمراقبة ، ان كلمة عاليا ليس لها هنا من مبرر الا انها جاءت تمـلأ المربع وهكذا في اغلب المنظومة تجد كلمات في اختلاف التناسب بينها ، كالاثواب المزركشة التي تختلف فيهـا الالوان اختلافا كبيـــرا :

ولاذوا بوهم لـم يحـل دون طردهـــم
بعيدا حيارى يذرفـــون السواجيـــا

ان كلمات بعيدا وحيارى والسواجي تتناطح كلها في هذا البيت ؛ فما اصلح كلمة حيارى والسواجـــي الاولى في معناها والثانية في حروفها للغزل :

ان الشاعر الذي تستعبده القافية الى هذا الحد سمـيـــــه ناظمــــا

. . . . الى الوحدة الكبرى وكان **فدائيا**
. . . . نزلت الاغـر الهاشمـي **اماميـا**
. . . . يفـل الحديد بالحديد **مساويـا**

لقد افسدت ايها الاستاذ هذا المثل بزيادة كلمة مساويا ، واما المؤكدات بالمصدر فقد كانت احـــدى وسائل الترضية لبحر الطويـــل :

. . . . . تساميتما في المكرمات تساميـــا
. . . . . تواصيتما مستبسلين تواصيـــا

ولقـــد بلغت القافية من التحكـم في الاستاذ ان جعلتـه يتخذ من بعض الحروف تكـأة كما تتخـذ العصا للاعرج يستعين بها في سيره ؛ ولقد وقفت عند هذا البيت وانا لا اتمالك من الضحك :

تعانقتما يا بارك الله فيكما ❊ واولاكما نعماءه والايادي

تعانقتمـــا يـــا بـــا

فعوالـــن مفاعيلـــن

لقد طالت وقفة الاستاذ امام تلك الياء في مفاعيلن يريد ان يقول مفاعلن فيفسد ما بعدها وينتهـي بـــه الحال الى تعقيد عروضي ؛ وقد اعجبته كلمة بارك الله فيكما لم يرد ان يجعل مكانها كلمة اخرى فيعمد الـى معالجة هذه المشكلة بتلك الياء التي لا اجد لها اسمـــا غير ان نطلق عليها مسمار جحا .

ولعل الاستاذ لاينكر معـــي ان الحروف فـــي تشابهها رسما او عروضا او عدد الحروف او شكـــل الحركات ــ كالشياطين في صورة الملائكة ، وكم مـــن حروب قامت ورقاب ضاعت بسبب تبديل حـــرف مكان آخر ؛ ترى لو انقلب لك هذا المسمار الذي هـــو «يا» الى لا وهي مثلها حركة ووزنا وتكـــاد تكـــون كذلك شكلا ــ ترى لـــو وقع هذا التغيير وكنت في عصر تقبض فيه نفس الشاعر لاقل هفـوة يصدرها ؛ ماذا يمكن ان يكون ؟ ان هذه المسامير الجحوية كثيرة وقد تجر القافية صاحبها الى اشياء قد لا يدري احـــد عاقبتهـــا :

فقـــودا	شعوبنـــا	الى الخير انـــا
فعـولـــن	مفاعيلـــن	

لقد تحكم الوزن في الاستاذ فجره الى ان يبعثها عنصرية وهو لايدري انه يفعل ذلك ، ولعلـــه اراد ان يقول شعبينا فاختل لـــه الوزن فارضـــاه ، واغضب شعبين كاملين وجعل كلا منهما شعوبا ، ثم عمد الـى هاته الشعوب فثناها ؛ ولست ادري في ايـة لغة مــن لغات العرب يكون الشيء جمعا ومثنى فى آن واحـــد الا ان تكون هذه العملية ايضا جحوية ، انك اردت ان تربح بيتا فخسرت شعبين ، وجعلت كـلا منهمـــــا شعوبا ، انها عملية جحوية ، لاشك فيهـا ، لقـــد فعل جحا مرة مثل هذا اذ جاء راكبا راجلا . ان الكلمة لا تحتمل الا ان تكون شعوبنا او شعبينا ، ولقد آثـر حضرة الناظم شعوبينا ليبقى سعادة الطويل راضيا ، وتاتي الكلمات لتفرض نفسها على البيت من هنا وهناك لا يراعي فيها تداعي المعاني بقدر ما يراعي فيها الاوزان

واما كلمة « ابو رقيبة » فقد جعل منها ناظمنـــا عونا وساعدا كبيرا ، فلقد كان تناسبها مـع الـــوزن حافزا جعل الاستاذ يقولها ويعيدها مرات عديدة وقد حرص على ان يتخذ منها مفتاحا لبيت جديد ، لذلك فهو لايكاد يذكرها الا فى اول البيت ، وان تناسبها مـع الوزن جعل شاعرنا ينسى ان خطاب رئيس دولة بمثل هذه الصورة لايخلو من وقاحة . ان عصرنا الذي نعيش فيه قد علم الناس بما فيهم رجال السياسة اشيـاء لا تحصى من ضبط الاعصاب الى تمالك النفس .

ان القافية كادت تقود الاستاذ كما يقود البصير اعمى او بالاحرى كما يقود اعمى رجلا مثله ، ان فكـرة الاعجاب بالكم قد سيطرت على الاستاذ فراح يمــلأ الجو كلاما منظوما لا معنى فيه للشعر ولا رائحة ابـدا ولعل الاستاذ انما كان يتقاضى اجرا بعدد الابيـــات لا بروعتها وجودتها واصالتها حتى لكانه يبيع الشعر بالكيلو ويحرص على ان يكون الكم وافرا والا فما معنى هـــذا الجنـــاس :

ابو رقيبة الاسمى ويا حسن السنـا

والا لو كان الشعر شعورا ولم يكن كلمات واوزانا عروضية لـما كان هذا البيت وشبهه :

ابو رقيبة الغالي ويا حسن الرضـى
(وتلك سجايـا يعـرب ان يعـربا)

ان شعر الاستاذ التواتي يرجـع بي الى ذكريات غير بيدة ، ذكريات ظهـور اغنية « شمـس العشي » ، كم كنت اسمع هاته الاغنية واستطيب انغامها ، غيـر اني كنت اقف حائرا عند فقرة من فقراتها ، او بالاحرى جملة من جملها انهـا (طاني طنان) لقد كنت اقف عند هذه الجملة لا اعرف معناها حتى شرحهـــا لـي يوما صديق كان يغنيها فى جمع من الطلاب بانها مجرد تكملة للوزن لا معنى لها ، ولذلك فاننا سواء فى شعر الاستاذ التواتي او فى غيره كلما وجدنـا كلمات لم يرد بهـا اصحابها الا تكملة البيـت او الوزن قلنـا انهـــا مـن بـاب (طاني طنان) ولهذا فلا ينبغي ان يطـول عجبنا عند كلمـات (وكان فـدائيا و (تواصيـا) و (حـواريا) و (تساميا) و (مساويـا) .

سيدي الاستاذ ، ان الخليل بن احمد لم يكـن يصنع العروض ليضع طريقة التفعيلات لصناعة الشعر حتى يقول الشـعر كل من يحفظ **التفاعيـل** ، ذلـك ان الكلام قد يكون موزونا مقفى ، وليـس فيه مــن رائحة الشعر شيء كما هو الحال فى منظومة الالفية ومنظومة ابن عاشر ومنظومات اصحاب الشعر بالكيلو ، لقـد كان الخليل يريد فقط ان يجعل للشعر العربي شبـه مقاييس يحاول بها معرفة اختلاف موسيقاه ، واحسب ان الاستاذ يتفق معي فى ان صناعة الشعر سبقت علم العروض بزمن طويل فمنذ عصر امريء القيس والناس يقولون شعرا لا يفقه احد منهم للعروض معنى ، وانما كانت تحذوهم موسيقى طبيعية ، ولم يكن يخطر ببال الخليل ابن احمد ان يضع للشعر قانونا وطريقــة مـا تخول الانسان ان يقول الشعر بمجرد ما يتوفر علـى هاتـه القواعـد العروضيـة .

ان الشعر فى المغرب ، الا فى اقله ، يكاد يكـون نظما فالذي يجعل تفاعل العروض بين يديـه يريـد ترضيتها ناظم ولو صح عنه الوزن ، والذي يقول شعرا ثم يحاول ان يقيسه على طريقة الشعر عند العـرب شاعـر وان اختل عنده الوزن ، نحن نريد شعرا ان لم تكن فيه افكار فعلى الاقل موسيقـى :

ان اذواقا استطابت شعر بشارة الخوري :

الصبـا والجمـال ملـك يديـك
اي تـاج اعـز مـن تاجيـك
نصب الحســن عرشـه فسالنـا
مـن تراهـا لـه فـدل عليك

وشعـر علي محمود طه :

اين مـن عينـي هاتيـك المجالـي
يا عروس البحـر يا حلم الخيـال
موكـب الغيـد وعيـد الكرنفـال
وسـرى الجنـدل فى عرض القنـال

وشعــر احمـد فتحـي :

حلم لاح لعيـــــن الساهـــــر
وتهـــادى فـــي خيـــال عـــابـــر
حين الفـى الليـل للنـور وشاحـــه
وشكا الظل الـــى الرمـل جراحـــه
وشعر نزار قباني في قصيدة تلفـون :
صوتـــك القادم مـــن خلف الغيـــوم
سكـب النار على الجـــرح القديـــم

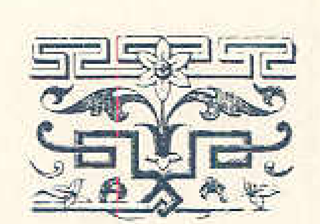
ان نفوسا استطابت مثل هذا الشعر وبلغ منهـا الرقي في الذوق درجة يجعلها تهتز لـــه في الصبـــاح والمساء ، تهتز له شعرا يقرأ ، والحانا تغنـى باصوات عذاب ـ كيف تريد لها ان تهتز لهذا الشعر بـل كيف يجوز لهذا الشعر ان يجرؤ لينفذ الى اعماق نفسها او بالاحرى ليطرق الاذن مستأذنا يريد الدخول .

وختاما فانني اريد ان اقول كلمتيـــن : 1) ان اهمس في اذن الاستاذ التواتي قائلا : (انك لم تفعـل شيئا لا في المبنـى ولا في المعنـى) .

2) ان اصرخ باعلى صوتـــي كما يجهـــر المؤذن للنـــداء بالصـــلاة :

(الا ان الادب صياغة قبل كل شيء) والسلام .

الرباط : محمد الامين الدرقاوي



أضواء على مفهوم القومية :

والرابط بين العروبة والاسلام

للأستاذ : أنور الجندي

اخطر قضية تواجه فكرنا العربي الاسلامي المعاصر هي قضية « تجزئة المفاهيم » ذلك ان فكرنا يؤمن بترابط عناصر الدين واللغة والتاريخ والتراث والتقاليد وامتزاجها فى بوتقة واحدة . وآية ذلك انك لا تستطيع ان تتحدث عن اللغة العربية منفصلة عن الدين والتاريخ والتراث . وحيث لا يمكن فصل الدين عن التاريخ او اللغة او التراث . أو فصل التاريخ عن الدين وهكذا .. ومن هنا تبدو « وحدة الفكر » لا وحدة الجنس .

وفكرنا العربي المعاصر الاسلامي بطبيعته ، من حيث أن الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وزيادة . ومن هنا يبدو خطأ كل الذين حاولوا ان يطبقوا رأي الفكر الغربي فى « الدين » على الاسلام .

ذلك ان نظرية « الدين » التي كونها الفكر الغربي ونقلها دعاة التغريب والشعوبيون الى فكرنا العربي محاولين فرضها على الاسلام ، هذه النظرية زائفة ، لانها لا تتخذ تجربتنا ولا حياتنا اساسا لها . وهي بعد **منسوجة على مقاس « دين » معين** ، دين كريم نبع فى الشرق ، وزحف على الغرب ، فاعتبره الفكر الغربي دخيلا ، وحين قبله لم يسلم به كاملا ولم يأخذ به وحده، ولكنه أضاف ما قبل منه الى وثنيته الاغريقية ، ومن هنا نشأت المسيحية الغربية التي عاد الغرب فانكرها فى ظل حركة الاحياء والنهضة وفى ظل غلبة مفهوم المادية الداروينية وسيطرتها على جميع مفاهيم الفكر الغربي التي تقوم اليوم أساسا على المفهوم المادي سواء فى الفلسفة او التربية او الاقتصاد او الاجتماع او النفس .

ومن هنا كان الغرب منسجما مع فكره، حين اتخذ المادية الداروينية قاعدة له واقام عليها كل فكرة . هنا بدت وحدة الفكر عنده واضحة . ومن هنا كانت نظرة الغرب الى « الدين » مستمدة من تجربته من المسيحية الغربية التي ابتدعها والتي وقفت أمام نهضته وقاومت حريته فى التطور العقلي والعلمي .

ومن هنا يبدو الخطأ الواضح والخلط المبين فى الحديث عن « الدين » مستمدا من نظرة الغرب ، فليس الاسلام اساسا دينا فحسب ، وليس هو دين الروحانية التي يمكن أن تؤخذ كجانب مماثل للمادية الغربية كما يحاول التغريب ان يصوره . وانما كان الاسلام دينا وفلسفة وحضارة ومجتمعا . ومن هنا تظهر روحه واضحة متصلة فى مختلف مقومات الفكر العربي فمن قال ان الاسلام دين فحسب فقد قصد جانبا واحدا، ووقف عند « جزئية » من جزئيات الاسلام .

والغربيون واتباعهم من دعاة التغريب والشعوبية على ان الاسلام « دين » يتمثل فى الجانب الروحي وحده وهم بذلك يقعون فى خطأ لا حد له ، حين يتعرضون لعديد من قضايا الفكر والقومية والتربية والادب .

والحق الذي يجب ان يكون معروفا فى هذا المجال: ان الدين جزء من الاسلام ، ولذلك يجب ان يصرف النظر نهائيا من هذه النظرية المغلوطة والمفهوم الخاطىء وهو أن كلمة الاسلام تعني الدين كما تعني المسيحية أو اليهودية أو غيرها .

وتفصيل ذلك ان الاسلام الى جانب أنه دين للمسلم فهو فكر وثقافة وحضارة شارك فيها العالم الاسلامي كله بمختلف اجناسه واديانه وعقائده ، فقد انصبت كل هذه الثقافات الهندية والفارسية والرومانية والمسيحية والاغريقية فى بوتقة الفكر الواحد الذي صاغ منها هذه المفاهيم . والمسيحيون فى العالم العربي مشاركون فى هذا الفكر واللغة والتراث ولذلك فكل مسيحي تتكون

ثقافته من تعاليم دينه المسيحي وثقافة الاسلام ، هذه القيم الفكرية التي هي قيم كل مسلم ومسيحي ويهودي؛ فضلا عن تشابه القيم الروحية بين الاسلام والمسيحية فى ان كلاهما رسالة السماء وهدفها الحق والخير والعدل والحرية .

ومن هذه القيم والمعاني التي تبلورت فى بوتقة الفكر العربي الاسلامي تبدو وحدة الفكر مقدمة على وحدة الجنس وهي التي تصوغ « روح الامة » ولقد افصح الكثيرون من الكتاب المنصفين عن هذا المعنى . ومن هنا يبدو الخطر البالغ الذي نواجهه فى تجزئة المفاهيم ، فان وحدة فكرنا هنا تتمثل فى امتزاج القيم واندماجها ، فنحن نؤمن بالروح والمادة والعقل والقلب والدين والدنيا ، وليس فكرنا العربي الاسلامي روحيا خالصا ، وليس ماديا خالصا ، ومن هنا تبدو خطورة الفصل بين القيم او تجزئة المفاهيم فلقد كانت نظرتنا انسانية شاملة . تمتزج فيها العروبة والاسلام ولا ينفصلان .

ولم تكن نظرية الفصل بينهما الا من مؤامرات التغريب والشعوبية التي تستهدف دائما تجزئة المفاهيم والفصل بين القيم . ولقد كان علينا ان نواجه دائما المفهوم الغربي لكل قضية من قضايانا ، وان يفرض علينا هذا المفهوم على انه المفهوم الصحيح ، لقد مر العالم العربي بمراحل متعددة فى العمل من أجل تحرير نفسه وبلاده وفكره من النفوذ الغربي ، مر بمرحلة الجامعة الاسلامية والرابطة الشرقية والوحدة العربية. ومهما يكن من اهداف ودوافع وراء اثارة عشرات الدعوات والقضايا فى افق العالم العربي والاسلامي ، فان الفكر العربي الاسلامي كان دائما قادرا على هضم هذه الدعوات وتقبلها دون أن يدعها تمزقه أو تحقق هدفها التغريبي فى القضاء عليه .

ولقد اصطدمت دعوات الفرعونية والفينيقية والبابلية والاشورية والبربرية أعواما طويلة ثم اكتشف الفكر العربي الاسلامي انها جميعا جذورا عربية فقد كانت كلها موجات خرجت من الجزيرة العربية وانبثت فى الافاق .

وربما كانت دعوة التغريب بمخططاتها الداعية الى القضاء على وحدة العالم العربي الاسلامي قد قضت بالتفرقة بين العرب والترك واثارة دعوات مسمومة فى كلا الجانبين مما استهدف تدمير هذا البناء الشامخ الذي كان يتمثل فى الدولة العثمانية التي كانت تمثل وحدة العالم الاسلامي .

واذا كانت الامة العربية قد وجدت فى دعوة القومية التي تأثرها العالم اذ ذاك وسيلة للترابط بين اجزاء الامة العربية فى مواجهة النفوذ الاجنبي واتخاذه « عدة مقاومة » لعوامل التمزيق والتجزئة ، فانها بذلك قد فوتت هدف النفوذ الاجنبي من اتخاذ هذه الدعوة وسيلة للصراع بين العالمين العربي والاسلامي . غير أن النفوذ الاجنبي فى مجال الفكر اراد أن يفرض على « القومية » مفهومه الغربي لها حتى يثير من جديد خلافات جذرية بين العروبة والاسلام ، محاولا أن يجعل منهما قضيتين منفصلتين . ومن هنا كانت الدعوة الضاغطة الزائفة ذات المنابر والاقلام المشبوهة ، وهي التفسير الغربي للقومية ، والذي يقول « قومية من غير دين » او أن الدين ليس مقوما من مقومات القومية والدين هنا هو « الاسلام » .

واذا كان من حقنا أن نجري مع الفكر الغربي فى حلبة الفكر الانساني فان من حقنا أن يكون للقيم مفهومها المستمد من فكرنا وتاريخنا وتجربتنا . وأن لا يفرض علينا مفهوم الغرب لها . ومن هنا بدأت مراجعة النظرية التي تقول بأن اللغة والتاريخ من مقومات القومية وان الدين ليس مقوما .

ونحن نعرف لماذا جحد الغرب دينه وأبعده عن مقومات القومية ، ولذلك فان راي الغرب فى دينه اساسا لا ينطبق علينا ، والاسلام الذي يراد أن تطبق عليه النظرية ليس دينا فحسب ، وانما هو فكر وثقافة ، وانه لا سبيل الى الفصل بينه وبين اللغة والتاريخ . بل ان هذه اللغة تكاد تكون مرتبطة به ارتباطا جذريا وكذلك التاريخ فانه من العسير جدا أن يفصل عن اللغة العربية كما لا يمكن أن ينفصل التاريخ واللغة عن الاسلام الذي يكاد يكون مادة هذا التاريخ ، وروح هذه اللغة ، كما يكاد يكون كتابه « القرآن » اكبر مصادر اللغة فى منطوقها وعلومها .

ومن هنا تبدو حقيقة ما ذهبنا اليه من أن القومية العربية تقوم أساسا على وحدة الفكر لا وحدة الجنس ومن هنا يسقط الرأي القائل بأن الدين ليس مقوما من مقومات القومية ، بالنسبة للاسلام لان الاسلام ليس دينا ولان الفكر العربي الاسلامي مترابط فى مفاهيمه الى الحد الذي لايمكن الفصل فيها بين اللغة والدين والتاريخ والتراث . والفكر العربي الاسلامي هو الذي اعطى الامة العربية قوتها ، وهو الذي دفعها الى الآفاق وحقق لها بناء هذه الحضارة العظيمة وقيام الدولة الضخمة فى اقل من قرن من الزمان .

ومن هنا تبدو العروبة والاسلام كشقين لحقيقة واحدة ، وان التغريب فى دعواه الى تجزئة المفاهيم يحاول أن يقيم الشبهات والشكوك ، ولقد كانت العروبة والاسلام متفقتين منذ قرون على مفهوم واضح عميق مستمد من مقومات الفكر العربي الاسلامي ، ولقد كانت روح الاسلام فى تاريخ العرب قوة دافعة فى النضال ومقوما اساسيا لبناء المجتمع : عقيدة جهاد يأخذ ويعطي ، ولم يعرف الاسلام بعض العناصر الاخرى وقد اتسعت آفاق عالمه ممن لا يؤمنون به فعاشوا فى سماحة غير مكرهين على راي أو عقيدة ، وليس دليل على هذه السماحة من وجود اقلية عربية غير مسلمة لا تحس بالضغط ولا الاضطهاد ، لانها مشاركة اساسا مشاركة فعلية فى مقومات الفكر العربي الاسلامي تعتنقه فكرا لها وتراه بعد الدين عقيدة وايديولوجية حياة .

ومن هنا يبدو ذلك التماثل الفكري والوحدة الثقافية ازاء كل مواقف التاريخ واحداثه .

فالعروبة والاسلام ممتزجان مرتبطان كوجهي عملة واحدة واذا كانت العروبة جسما فان روحه الاسلام بهذا المفهوم .

ويصور هذا المعنى كاتب مسيحي معروف فيرى أن الفكرة القومية المجردة فى الغرب منطقية اذ تقرر انفصال القومية عن الدين ، لان الدين دخل على أوربا من الخارج فهو أجنبي عن طبيعتها وتاريخها ، وهو خلاصة من العقائد الاخروية والاخلاق لم ينزل بلغاتهم القومية ولا افصح عن حاجات بيئتهم ولا امتزج بتاريخهم فى حين أن الاسلام بالنسبة الى العرب ليس عقيدة اخروية فحسب ، ولا هو اخلاق مجردة بل هو اجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم الى الحياة واقوى تعبير عن وجوه شخصيتهم التي يندمج فيها اللفظ بالشعور والفكر والتأمل بالعمل والنفس بالقدر وهو فوق ذلك كله اروع صورة للغتهم وادبهم واضخم قطعة من تاريخهم القومي ، فعلاقة الاسلام بالعروبة ليست اذن ، كعلاقة اي دين باية قومية ، وسوف يعرف المسيحيون العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الاصيل ، ان الاسلام له ثقافة قومية يجب ان يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الاسلام حرصهم على اثمن شيء فى عروبتهم» ومن هذا النص ومثله كثير يتأكد المفهوم القائل بأن وحدة الفكر العربي الاسلامي هي التي ربطت العربي غير المسلم بالمسلم العربي فى قيم اساسية ومقومات اصيلة وان محاولة فرض المضمون الغربي أو المفهوم الغربي للقومية هو احدى محاولات التغريب والشعوبية .

وان التجربة الغربية للدين والقومية قد تؤخذ مأخذ الاعتبار ولكن لا تؤخذ مأخذ التطبيق ، فان مفاهيم فكرنا العربي الاسلامي تختلف فى جذورها عن مفاهيم الفكر الغربي اساسا .

والاسلام لا ينفصل عن اللغة والتاريخ والتراث فى الفكر العربي الاسلامي ولا يمكن أن يكون هناك فكر عربي منفصل عن الفكر العربي الاسلامي ولا تاريخ عربي منفصل عن الفكر العربي الاسلامي ولا تستطيع اللغة العربية أن تنفصل عنه أيضا .

فلا تاريخ للعرب الا التاريخ العربي الاسلامي والاسلام هو ميدان التاريخ العربي والاسلام هو صانع العروبة ومقيم أسسها .

وآية وحدة الفكر العربي والاسلامي هو ذلك الانفعال الوجداني الواحد أمام الاخطار والاحداث والتاريخ والغزو الصليبي والفكري ، وقد أفصح حبيب كحالة عن وحدة الفكر بين الاسلام والمسيحية حين قال « كما التقت النصرانية والاسلام فى طريق الدين ، فقد التقتا أيضا فى الادب والشعر والعلوم والفنون ، وفى كل ما يدعم صرح الحضارة فقد تعاون المسلمون والنصارى تعاونا وثيقا فى هذا المضمار .

القاهرة : **احمد انور الجندي**

المؤتمر العالمي لوزراء التربية

في موضوع محو الأمية

للأستاذ : أحمد الأخضر

يعتبر المؤتمر العالمي لوزراء التربية الذي انعقد بطهران في بلاد ايران لغاية محو الامية من اهم المؤتمرات التي انعقدت في ميدان التربية والتعليم وذلك في نظر اليونسكو واعضاء الوفود الذين شاركوا في اعماله والخبراء الذين ساهموا في نشاطه .

وهذا المؤتمر نتيجة نوعين من الاعمال متوازيين عمل وطني تبلور في مجهودات كبيرة قامت بها دول نامية لمحاربة الامية وعمل دولي تجلى في ابحاث واحصائيات ادت الى تبيين وتوضيح اهمية محو الامية اذ لوحظ ان الامم النامية التي قضت على الامية بصفة فعالة اصبحت تتمتع بمستويات اقتصادية واجتماعية وثقافية جعلتها تشق الطريق نحو الرقي الواضح البين ، بينما يلاحظ ان الامم التي لم تفك نفسها من الامية ما زالت تتخبط في عدة مشاكل ناتجة عن الجهل فبادرت هيأة الامم المتحدة في دورة 18 دجنبر 1961 فاوصت اليونسكو بان تبحث في قضية محو الامية من جميع نواحيها ، واثناء جلستها العامة التي خطت فيها برنامجها العشاري للتنمية العالمية اكدت نفس الهيئة اهمية التعجيل بمحو الامية والقضاء على الجوع والمرض اي الاسباب التي تعرقل انتاج سكان البلدان القليلة النمو ، وفي وسط سنة 1962 انعقد بروما في بلاد ايطاليا المؤتمر العالمي لمحو الامية الذي نظمته جمعية ايطاليا لمحاربة الامية ، فتبين من نتائج هذا المؤتمر الاول من نوعه في هذا الميدان ان لمحو الامية اهمية كبيرة في الميدان الاقتصادي .

ولبت اليونسكو نداء الامم المتحدة فقدمت لها سنة 1962 البحث الذي كانت طلبته منها هذه الهيئة وفي نفس الوقت كلفت اليونسكو مديرها العام بوضع برنامج شامل لهذه الغاية .

وفي سنة 1963 درست الامم المتحدة بحث اليونسكو وابدت رغبتها في ان تتابع اليونسكو ابحاثها في الموضوع وبالخصوص في ميادين التخطيط والمراقبة والتمويل الخاصة ببعض المشاريع التجريبية بينما دعت كاتبها العام الى ان يتصل بمدير اليونسكو العام وبمدير الصندوق الخاص وبالرئيس مدير المساعدة الفنية وبرئيس البنك الدولي للبناء والتنمية لمدارسة الوسائل التي من شأنها معاضدة المجهودات الوطنية لمحو الامية .

وتابعت اليونسكو اعمالها من جهة اخرى فنظمت ندوات ومناظرات في سائر اقطار العالم في نفس الموضوع من بينها : مؤتمر تخطيط محاربة الامية وتنظيمها في القارة الافريقية « انعقد بابيدجان في شهر مارس 1964 » ومؤتمر تنظيم وتخطيط محاربة الامية في البلدان العربية « انعقد بالاسكندرية في شهر اكتوبر 1964 » ، كما ساهمت في تنظيم مؤتمر نظمته الجامعة العربية في شهر ابريل 1965 .

واثناء هذا كله ، نوقشت قضية محاربة الامية في مؤتمرات اخرى ودرست علاقتها بالميادين الاقتصادية والاجتماعية ، من طرف هيئات عظيمة مثل هيئة الاقتصاد والاجتماع ، واللجنة الاقتصادية للامم المتحدة لاسيا والشرق الاقصى ، فنتج عن هذه المؤتمرات كلها ان العلاقة وثيقة بين الامية والاقتصاد وان الامية اكبر عرقلة في وجه النمو بسائر انواعه .

ومن جهة اخرى اجتمعت اللجان الوطنية لليونسكو الخاصة بالاقطار الاسيوية والاقيانية واتخذت تدابير حازمة في نطاق التكافل فيما بينها لمجابهة الجهل .

كما اخرج مؤتمر الخبراء والاختصاصيين في ميدان محاربة الامية الذي انعقد في شهر ابريل

1964 عن نتائج هامة في ميادين التوجيه والمناهج والحلول الجديدة الخاصة بمحاربة الامية .

وبادرت منظمات دولية غير الحكومية لدراسة الوسائل التي ما من شانها ان تساعد على محو الامية ومن بينها المنظمات النقابية والدينية والنسوية والشبيبية والتعليمية الخ .

كل هذا ادى بالمدير العام لليونسكو الى ان يدرس المشكل بجد وحزم فقدم لليونسكو في شهر نوفمبر سنة 1964 برنامجا شاملا مدققا مضبوطا اساسه اسلوب جديد لمحاربة الامية وعماده اختيار الميادين التطبيقية والمستوى الوظيفي الذي يجب ان تصل اليه محاربة الامية بمفهومها الجديد ، وصادقت على هذا المشروع جميع الهيئات السابقة الذكر .

واثناء ذلك كان الملك شاهنشاه ايران قد بعث بخطاب الى اليونسكو ينوه بهذا المشروع الجديد الهام ويدعو الى عقد المؤتمر في بلاد ايران كما وجه عدة رسائل الى سائر ملوك العالم ورؤساء الدول يرغب في ان يبعثوا بوفودهم الى طهران قصد حضور المؤتمر.

فمؤتمر طهران حصيلة مجهودات ومحاولات على الصعيد الوطني والدولي طوال عدة سنين .

تحضير المؤتمر :

وقبلت اليونسكو دعوة الشاهنشاه وعملت على تحضير المؤتمر ووضعت لدراسته النقط الآتية :

1» مشكلة امية الجماهير التي تعرقل التقدم الاقتصادي والاجتماعي في اقطار كثيرة .

2» المخططات الوطنية لرفع الامية عن الجماهير في البلدان التي يسود فيها الجهل ومقارنة التجارب الخاصة قصد جمع الوسائل المشتركة وتضافر المجهودات .

3» اسلوب مساهمة المخططات المذكورة في رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي داخل برنامج الامم المتحدة العشاري .

4» امكانية مساعدة المجهودات الوطنية باعانة دولية اكثر فعالية واقوى نفعا .

5» وسائل اسهام الجماهير والراي العام في حملة عالمية شعواء ضد الامية .

وهيات الكتابة العامة لليونسكو وثيقة نفيسة في هذا الميدان عنونتها ب : « التهجية «1» في سبيل التنمية » لتستعين بها الوفود فتطلع على صلب الموضوع جمعت فيها جميع ما من شانه ان يوضح جليا النظرات والطرق والمناهج والاحصائيات والنتائج الخاصة بالتهجية كاساس للتنمية العامة ، كما انها قدمت للوفود توصيات المؤتمر الدولي للتربية الوطنية في طبعة خاصة .

وقوبلت دعوة مدير اليونسكو لحضور المؤتمر من طرف 87 دولة ومن طرف منظمة الامم المتحدة ومن مكتبها الخاص بالمساعدة الفنية ومن الصندوق الخاص ، ومن الصندوق لاعانة الطفولة ، ومن المكتب الدولي للتغذية ، ومن المنظمة الدولية للشغل ، ومن المنظمة الدولية للصحة ، ومن المنظمة الدولية للتغذية ، ومن المكتب الايبيري الامريكي للتربية ، ومن الجامعة العربية ، ومن الجمعية الدولية للنساء ، ومن الجمعية الدولية لاتحاد النساء المسيحيات ، ومن الجمعية الكاثوليكية الدولية للراديو والتلفزة ، ومن المكتب الدولي للكشفية ، ومن لجنة الكنائس للشؤون الدولية ، ومن التحالف الدولي للنقابات المسيحية ، ومن التحالف الدولي لمنظمات مهنة التعليم ، ومن المجلس الاستشاري للمنظمات اليهودية ، ومن المجلس الدولي للنساء ، ومن الحلف الدولي للنساء الخريجات من الجامعات ، ومن الحلف الدولي لجمعيات الامم المتحدة ، ومن الحلف النقابي العالمي ، ومن الحلف العالمي للجمعيات الطلابية ، ومن عصبة جمعيات الصليب الاحمر ، ومن المكتب الدولي للتعليم الكاثوليكي ، ومن الجمعية الافريقية للثقافة ، ومن الاتحاد الكاثوليكي للخدمة الاجتماعية ، ومن الاتحاد العالمي للنساء القرويات، ومن الاتحاد العالمي للجمعيات النسوية الكاثوليكية ، كل هذا بالاضافة الى هيئة اليونسكو نفسها برئيس مجلسها التنفيذي الاستاذ محمد الفاسي ومديرها العام الاستاذ روني ماهو ومديري اقسامها التربوية واعضاء كتابتها ..الخ ، اجتماع عظيم حضره اكثر من 425ممثل او مدير او مسؤول بدون الكتاب والمساعدين والاعوان .

1» التهجية Alphabélisation

ودشن هذا المؤتمر العظيم جلالة الملك شاهنشاه ايران بحضور جلالة حرمه الشاهبانو وسمو الاميرة اخته اشرف بهلوي ، فذكر بان الامية من اكبر المخازي واشنع المساوىء التي نتسم بها في القرن العشرين ، قرن التقدم والرقي العالمين وانها اساس التفرقة بين الشعوب والامم في اقتصادها واجتماعها ، وان ايران سعت في هذا المضمار فوجدت حلا طريفا فانشأت جيشا خاصا لمحاربة الامية سمته « جيش العلم » يدخله الشبان المثقفون والمعلمون والاساتذة يقضون به سنتين يحاربون اثناءهما الامية في سائر انحاء البلاد . وان البلدان التي تبذل مجهودات كبيرة في محاربة الامية لن تستطيع بمجرد وسائلها الخاصة ان تتغلب على هذه العاهة ، لذلك وجب ان تشن حملة واسعة في سبيل التعاون الدولي وان اكبر مساعدة هي المال فنادى بالامم جمعاء ان تنفرد من ميزانيتها العسكرية والتسليحية قدرا يخصص لمحاربة الجهل ، وان ايران امتثلت لنفسها فقررت ذلك وهي مستعدة لتساهم في ذلك على الصعيد الدولي .

فكان لهذا الخطاب صدى كبير في جميع الوفود التي بادرت بتأييده والترحيب بفكرته .

وتواردت على مكتب المؤتمر اثناء جلساته الاولى برقيات من ملوك ورؤساء الدول مشجعة اياه متضامنة مع اعماله متمنية له النجاح والتوفيق

ولقد تجلى اثناء اعمال هذا المؤتمر ان الامية ما هي الا مظهر من مظاهر الكفاح الذي نحارب من اجله حتى لا يبقى ميز في ديمقراطية التعريب وان هذا الكفاح اصبح عالميا وان حله يجب ان يوجد في النطاق الدولي وبحله تحل كذلك مشكلة اختلال التوازن بين الامم الراقية والامم الساعية من وراء النمو وان السلم والسعادة يقضيان ان تساعد الامم التي تخلصت من الامية تلك التي ما زالت تجابهها .

أما تمويل محاربة الامية فيجب ان يكون له الحظ الكبير بل الاكبر من طرف الامم نفسها قبل ان تعول على الاعانة الخارجية وذلك بادماج التهجية الوظيفية « اي محاربة الامية محاربة فعالة حتى مستوى التعليم الثانوي » في التخطيط العام المضمم للبلاد وذلك بمراعاة الاسبقية في الميادين الاقتصادية المنتجة اذ انه تبين بوضوح لا مجال للنقاش فيه ان **«التهجية الوظيفية عنصر من عناصر ترصيد الاموال وانها عملية مربحة بكل معنى الكلمة اذ اصبحت الميادين التي طبقت فيها بهذه الصفة ميادين منتجة لها فعالية المردود وجزيل المحصول من جميع النواحي، فما على الامم النامية الا ان تعير التهجية الوظيفية الاهتمام اللائق بها وان تضعها في المكان الاول من مقاصد النمو ، وبذلك سيكون لها في عين المؤسسات الدولية منزلة من شانها ان تجلب المساعدة الدولية خبراء ووسائل ومالا فتصبح عملية تمول نفسها بنفسها وتستجلب المساعدة الخارجية في ءان واحد .**

وما من احد ظن ان تعميم التعليم هو في المحل الاول ومحاربة الامية في المحل الثاني الا قد اخطأ خطأ فاحشا اذ لهما اهمية سوية وان كانا متكاملين في النهج والغاية مع تخالفهما في الوسائل والمستوى .

واخيرا نتمنى ان تلبي الامم جمعاء نداء مؤتمر طهران وان يثق المسؤولون عن التربية في سائر البلدان بان الخبراء الذين فكروا ليل نهار في هذا الميدان فتوصلوا الى وضع تلك الحقائق المسجلة في وثيقة المؤتمر حقائق لا مجال للشك فيها من جديد ولا مجال للتردد في العمل بها عاجلا لا آجلا ، والا فما غير ذلك الا تضييع للوقت وبالتالي تضييع للمال .

الربـاط ـ احمـد الاخضر

مقدمة ديوان

قصائد حب عربية

منتخبات من شعر نزار قباني

للمستعرب الاسباني
Pedro Antonio Montavez

تعريب الأستاذ :
محمد العربي المساري

تقديم :

أصدر المعهد الاسباني ـ العربي للثقافة بمدريد ، ضمن سلسلة مطبوعاته فى الادب العربي كتابا جديدا بالاسبانية بعنوان (قصائد حب عربية) يقع فى 145 صفحة.

وهو عبارة عن مختارات من شعر الاستاذ نزار قباني ، وقد ترجمها الى اللغة الاسبانية السنيور (بيدرو مارتينيث مونتا بيث) العضو بالمعهد ، وقدم لها بنبذة مستفيضة عن تاريخ حياة الشاعر وتحليل شعره ، والمؤثرات التي أدت الى تكييف انتاجه ، مع الاشارة الى نزوع الشاعر منزع التجديد فى نظمه ، غير متقيد بالاوزان والقوافي التقليدية التي لازمت الشعر العربي خلال اطواره المختلفة .

ويسرنا أن نقدم لقرائنا الكرام مقدمة الكتاب التي عربها الاستاذ محمد العربي المساري .

الرجـل :

ولد نزار قباني بدمشق في 21 مارس 1923 مع مولد الربيع في احضان اسرة ثرية سورية ، وكما يقول بنفسه فان منزل عائلته كان دمشقيا واسعا وعتيقا ، تكثر فيه المياه والورود ، وهذه الارتسامات الاولى هي التي بقيت منقوشة في شعره .

والبورجوازية السورية معروفة برهافة حسها وبثقافتها ، وفي عائلة الشاعر لم تنعدم سوابق ادبية ، فقد كان والده تاجرا مرموقا في حيه وفي نفس الوقت كان وطنيا بارزا ـ والتجارة والادب والوطنية كثيرا ما تمتزج في هذا الركن من الابيض المتوسط ، كان والد الشاعر رجلا ذا مقدرة عجيبة على التقاط كل ما هو جميل ، وكان احد اعمامه ـ عبد الجليل القباني ـ واحدا من رواد الانبعاث المسرحي في سورية والقاهرة، وكان في نفس الوقت شاعرا ومؤلفا مسرحيا وملحنا .

وامتازت طفولة الشاعر بميل غريب الى اكتشاف الاشياء والتعمق فيها ثم تهشيمها ، كان الشاعر طفلا يهيم بالاشكال الجديدة وكان يكسر الاشياء الجميلة التي في متناول يديه ويأخذ في البحث عن اخرى اجمل منها، يمكن ان يكون هذا هو شأن كل الاطفال ، اما بالنسبة لشاعرنا فهو ابرز ما فيه ، النا نلمس حتى الان تلك الطفولة تنبض في شعره ، انه لا يزال ذلك الطفل الحنون العاطفي اللامبالي الذي لا يقيم وزنا للاشياء .. لا يزال طفلا انانيا ... بل قاسيا في بعض الاحيان .

لقد احس الطفل في البداية بانجذاب قوي نحو الرسم ، ففيما بين الخامسة والثانية عشرة من عمره ـ وهذه ايضا اقواله ـ كان يعيش في بحر من الالوان، كان يرسم فوق الارض وفي الهواء وعلى الجدران ، كان يخترع الالوان والاشكال ، وسنرى كيف ان الاهتمام باللون سيصبح من الاشياء البارزة لديه ، سنرى ابياتا قد تقتصر على ذكر الالوان ... الازرق مثلا او الاصفر او الاخضر .

هذه السن من جهة اخرى هي سن الدراسة التي تابع فيها الشاعر دروسه بانتظام ، وبعد هواية الرسم والخطوط والالوان استبدت به حمى من نوع اخر ، هي حب الموسيقى ، ولم يستمر ذلك طويلا، كان الانشغال المدرسية اخذت تبتعد به عن تلك الطريق ، الا ان الطفل اخذ يظهر ويؤكد حبه الجمالي وميله الى الاشياء اللامعة والمضيئة .

هذه الفترة من طفولة ومراهقة الشاعر هي فترة الالوان والاصوات ثم جاءت مرحلة اخرى ولتستعمل كلمات اليخاندرو وكاسونا العجيبة ، ونستطيع ان نؤكد ان الرسم والموسيقى هما الدرجتان اللتان ارتقاهما الى دنيا الشعر .

وقد انته الشاعرية في وسط بيئة جد ملائمة وهاجة ومتجددة ازاء اطار شاسع المدى وغير محدود بالزمن هو البحر ... وعلى وجه الدقة ... البحر الابيض المتوسط .

اليس من شأن هذا ان يوحي لنا باشياء كثيرة ؟ بالفعل ففي سنة 1939 ابحر نحو ايطالية في رحلة دراسية وحينذاك انشد قصيدته الاولى التي اذيعت من اذاعة روما ... وكانت في الحنين الى مسقط الراس .

وتاتي بعد هذا المرحلة الجامعية ويلتحق الشاعر بجامعة دمشق لدراسة الحقوق ، ونزار قباني مثل جميع السوريين يبين عن عقلية عملية ومتيقظة وسريعة الانسجام مععالم القوانين رغم انه ـ وجوديا ـ لم يرضخ ابدا لذلك العالم ، فقد اغراه شيء اكثر لمعانا هو عالم الدبلوماسية .

وفي نفس السنة التي تخرج فيها من الجامعة مجازا في الحقوق عين بالخارج في القاهرة ، وقبل ذلك بسنة وهو اذ ذاك في 21 من عمره نشر اول ديوان له . ثم في نفس العام الذي انهى فيه دروسه تزوج .

كان الشاعر قد بدأ يفرض وجوده ، ومن الجائز ان يكون القباني قد ابدى نوعا من الحذلقة وهو في العاصمة المصرية تلك المدينة المتعددة الاضواء وذات السحر العجيب ، خصوصا في فترة سياسية واجتماعية حرجة ... مفعمة بالتغيرات ، كتلك التي كان من نصيب شاعرنا ان يعيشها ، وذلك شيء طبيعي فقد كان شابا وشاعرا ، والقاهرة عالم لامع لا يوجد له مثيل في الشرق ... كل شيء فيه يلمع ويتلألأ ، ولكن القاهرة باب على اوربا او على العالم (الراهن) فهي اكثر تفتحا من دمشق المختبئة وراء جبال لبنان،وهي ذات مجتمع اكثر تحررا . وهناك عاش الشاعر ثلاث سنوات ، من 45 الى 1948 .

وفي سنة 1948 انتقل الى تركيا حيث عمل في انقرة وهي عندي من المدن التي لا يماثلها الا عدد قليل من مدن العالم ، وهناك عاش حتى سنة 1950 التي عاد فيها القباني الى بلده وقضى فيه عامين حتى سنة 1952، واذ ذاك قفز قفزة شديدة الاغراء لاي شرقي معاصر ... نحو اوربا ، بل الى ارض اوربية ذات لون خاص هي انجلترا ... وفي اوربا اكمل الشاعر ثلاثين سنة من عمره وهي السن التي تمتزج فيها الافراح والدموع بهدوء ، وفي لندن عاش الشاعر ثلاث سنوات ، من 1952 الى 1955 ولم يستطع الضباب ان يوقف تطور شعره ولا تطور حياته ، فالضباب ينطوي على شيء عجيب ، والضباب متغير وهو اطار جيد لشعر القباني ، وهو رجل ثم ان الثقافة الانجليزية ليست غريبة عن الرجل ، بالاضافة الى هذا كانت لندن شيئا صميميا ومؤلما بالنسبة لحياته العاطفية .

اتت بعد ذلك اقامة قصيرة للقباني في بلده ـ وهي فترة لا بد من دراستها ـ تلتها عدة اسفار دبلوماسية ، الاولى الى بكين التي عاش فيها الشاعر من 58 الى 1960 في هذه الفترة يذكر الشاعر عيني حبيبته ، حبيبة تعني الشيء الكثير بالنسبة للشاعر رغم انه لا يريد البوح بذلك ، حبيبة تعني اكثر من الاخريات ، غير ان الناقد ليس له ان يخدش هذا العالم الصميمي للشاعر

في هذه الفترة كتب القباني مثلا (ثلاث بطاقات من ءاسيا) و (اكبر من الكلمات) اللتين نشرهما القباني في ءاخر دواوينه حتى الان (حبيبتي)

بعد ذلك عاد الشاعر الى الشرق العربي ، وعاش في بيروت سنتي 60 و 1961 ، ثم اتت القفزة الديبلوماسية الاخيرة .. نحو عالم يشتهيه اي شاعر عربي .. هو اسبانيا .. وفي اسبانيا يتبعث من الماضي عالم رحب .. له اثره على النفس في المجال التاريخي والعاطفي والادبي ، في اسبانيا يتولد الحنين الى ماضي محجوب ويتم اكتشاف حاضر مجهول تماما او مبلغ عنه بطريقة مزيفة احيانا ، في اسبانيا اكتشف شاعرنا بلاد الاندلس، لقد كان مسقط راسه بمدينة اسطورية قديمة ، وفي الاندلس تتلقاه مدن اسطورية قديمة امثال قرطبة واشبيلية وغرناطة غنية هي الاخرى بالماء والورود ، ويتلقى الشاعر من الاندلس رائحتها وضوءها ولونها وحزنها المكبوت ، فهل كان لذلك كله تاثير ما في شعر القباني .. ؟ انه من السابق لاوانه ان نجيب على هذا السؤال .

آثاره :

نشر القباني حتى الان ستة دواوين وبحثا نثريا نذكرها فيما يلي مرتبة حسب تاريخ الصدور :

— قالت لي السمراء . الطبعة الاولى في دمشق 1944 ، وطبعات اخرى في بيروت 1961/60/58.

— طفولة نهد . الطبعة الاولى في القاهرة 1948 ، وطبعات اخرى في بيروت 1961/60/58/55 .

— انت لي . الطبعة الاولى في دمشق 1950 ، وطبعات اخرى في بيروت 1961/60/58 .

— سامبا . الطبعة الاولى في بيروت 1949 ، وطبعات اخرى في بيروت 1960/58 .

— قصائد . الطبعة الاولى في بيروت 1956 ، وطبعات اخرى في بيروت 1961/60/58/57

— حبيبتي . الطبعة الاولى في 1961 ، وطبعة اخرى في بيروت 1961

— الشعر قنديل اخضر (بحث) الطبعة الاولى في بيروت 1963 .

نستطيع ان نستنتج من مراجعة هذه اللائحة عدة ملاحظات هامة ، اذا اردنا ان نقوم بدراسة كاملة لظروف وتطور شعر القباني وقيمته الجمالية .

من ذلك مثلا ان شهرة الشاعر وانتشار ءاثاره تبدا في سنة 1955 تقريبا ، في نفس الوقت الذي صدر له ديوان (حبيبتي) ، ولا يبقى مجال للشك في هذا اذا ما اعتبرنا انه فيما بين سنتي 56 و 61 هناك 17 طبعة معادة لدواوينه بينما لم تبلغ في الاثنتي عشرة سنة السابقة لذلك الا خمس طبعات . وعلى هذا فديوان (قصائد) هو الذي يتوج شاعرنا وهو ديوان كتب عن ءاخره في اوربـــا

لقد اصبح القباني شاعرا جماهيريا .. وانا اؤكد انه حقق جماهيرية كبيرة في اوساط الشباب ذلك ان جزءا كبيرا من الشبيبة العربية قد عاشت في السنين الاخيرة متاثرة في المثال اكثر مما في الواقع للوقت الذي اتخذه القباني من الحب ، فقد كان القباني يقدم للشبيبة العربية نوعا جديدا من الحب تتزاوج فيه العقلية الشرقية بالغربية ، فشعر القباني شعر في مكنة اي عربي .. وبالاخص اي شاب عربي ، وهو في نفس الوقت ملطف ومعطر بالعطر الاوربي ، انه شعر مكتوب بلغة الشارع ، لغة المثقفين العرب القريبة جدا الى اللغة التي كان شاعرنا «بيكه» يكتب بها، وهو شاعر يحبه القباني كثيرا ، وقريبة في نفس الوقت الى لغة (خوان رامون خيمنيث) ، ان قصائده هي اناشيد او اغاني اكثر مما هو شعر ، ومن ذلك قصيدة (ايظن) ، ومن اسهل ما تمتزج الموسيقى والشعر في الشرق — هذا الشرق الذي يعلمنا كثيرا من الاشياء ويطلعنا على كثير من الاكتشافات — وهي اشياء صعبة وشاقة علينا نحن .

وقد بلغت شهرة القباني شأوا بعيدا الى حد اخراج طبعتين في سنة واحدة من ديوان (حبيبتي) الذي هو بالنسبة لي افضل دواوينه ، ومن المناسب ان نعلم ان ما طبع من هذا الديوان هو 25 الفا نسخة ، وهذا ما لا نحلم به هنا حيث يتعذر بيع كل هذا الرقم المرتفع من كتاب شعري ، واذا افترضنا ان توزيع الكتاب العربي هو

احسن تنظيما من الكتاب الاسباني فيجب ان نراجع اراءنا في الشعوب (المثقفة) والشعوب (المتخلفة) .

ويحسن بنا ان ننبه الى ان القباني شعر صنعته بيروت مثل كثير من الشعراء العرب الشبان المعاصرين ، وفي بيروت يلتقي الشرق والغرب ، وهو البلد الذي نشأت فيه ميتولوجيا الحب والشباب والجمال

شعره :

انا اعتقد ان الشعر غير قابل للتفسير ، ففي امكاننا ان نكشف عن هيكل قصيدة ما وان نبين ونفصل العناصر المكونة لها وان نحدد مميزات الشاعر الموضوعية ، واللغوية والتقنية او مميزاته العاطفية ، لكن ، خلف هذا كله يبقى هنالك (شيء) اسمه الشعر على حد تعبير البيت الرائع الذي كتبه (ليون فيليبي)

الشاعر قلعة صخرية صعبة المنال ، يمكن ان نرى ويمكن ان نصل اليها بصعوبة ، ولكن لا يمكن ان نغزوها ، ان غابة كثيفة تحيط بالشاعر ، لا يتاتى فيها سوى البحث عن ممرات جانبية ، وهذا ما سنحاوله مع القباني : سنبحث عن طرق للتوغل في عالمه ، لكي يتاح لكل منا ان يتمشى فيها بحرية ، حتى يصل الى حيث يكمن الشعر .

الشاعر يتطور وسط بيئة ، ويتلقى تقاليد معينة ، وعن القباني يمكننا ان نقول انه شاعر عربي من عصرنا ، وبهذا نكون قد قلنا ببساطة كل شيء ، غير ان الاشياء البسيطة فيما يبدو هي تلك التي تتطلب المزيد من الشرح ، وهذا ما سنحاوله .

فلان القباني شاعر عربي ، هذا معناه انه تلقى تقاليد شعرية مضبوطة ، تقاليد مجيدة عمرها خمسة عشر قرنا ، تحددت منذ البداية مبادئها الشعرية التي بقيت تقريبا بدون تغيير ، وتحددت بها ايضا ابعاد في الشكل وفي العمق ، اي ان الشعر العربي ظل يولد وهو مخلوق كامل ناضج ، وكانت للشعر العربي قيمته الثابتة بشروط غير قابلة للتجاوز ، دون التخلص طبعا من عبقرية اللغة العربية وعطاوها في النغم ، والقافية والاستعارة والصور الشاعرية

وللشعر العربي مفهوم ليست له اية علاقة بمفهومنا نحن عن (الشعر) فما يعبر عنه في اللغة العربية بكلمتين اثنتين (نظم) و (شعر) لا علاقة له بالخلق

فالشاعر في هذه الحالة يكون هو ذلك الفرد الذي يجتاز تجربة معينة ثم هو يعرف كيف يعبر عنها بطريقة منظمة وانيقة ، ويعبر القباني عن هذا بان موضوعات القصيدة العربية تعرض كما لو كانت (منتجات صيدلية)

ففي الشعر العربي الكلاسيكي نعثر الا بصعوبة على (الاشعار) اذ (القصيدة) العربية بتركيبها المحدد بقوافيها ، ووزنها الذي لا بد منه ، هي بمثابة عمارة تتركب من عدة طوابق لا علاقة بينها . انها معرض لقطع متباينة ، ولهذا فان انجح الترجمات التي نقلت الشعر العربي الى اللغات الاوربية هي تلك النماذج المجتزئة ، وعلى هذا فان احدى المهام التي على الشاعر العربي ان يقوم بها هي ان يرقع من هذه القطع ثوبا موحدا ، وكان على الشاعر العربي الحديث ان يجتاز من (القصيدة) الى (الشعر) ، الى شعر يبدو كاي كائن حي متمتعا بطراف منسجمة عضوية ، شيئا موحدا ، وحدة حقيقية وداخلية وليس وحدة ظاهرية وسطحية .

وعلى هذا فان الشاعر العربي الحديث عليه ان يكون شاعرا مجددا ، والتجديد يمكن ان يتم على عدة اشكال ، والحقيقة ان اشكال التجديد يمكن ان تكون بعدد الشعراء الموجودين ، اما في الاساس فالتجديد يتم عن نحوين : تجديد ثوري يكسر القوالب ويهدم السدود ويخلق اشكالا جديدة للتعبير ذات جذور غريبة عن الروح الغنائية التي يراد ان تخضع لها تلك الجذور بصورة طبيعية ، مع انها قد تبدو باستمرار غير قابلة للانسجام مع طبيعة لغة الشعر (الغنائي) وهناك تيار تجديدي اخر يخضع القوالب ويجرب مختلف الصيغ ، ويحاول ان يوجد الانسجام بين الرصيد المكتسب وبين التغييرات التي لا بد من ادخالها ، وقد اخذ بالطريقة الاولى شعراء (رومانسيون) بينما اخذ بالطريقة الثانية شعراء (كلاسيكيون جدد) ومن المجموعة الاولى بعض الشعراء العراقيين الكبار المعاصرين امثال (بدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي) اما شاعرنا نزار قباني فقد اختار الطريقة الثانية ذلك الشعر العربي الرائع الذي ما زال يتوفر على الحيوية القادرة

على خلق الصراع بين (القدامى) و (المحدثين) وعلى خلق حلول (كلاسيكية جديدة) تنطوي على الانفاذ المحقـــــق .

وهذا هو نزار قباني المجدد الذي غير الشكـــل والمحتوى ، وغير الشكل والعمق ، ليستعمل المصطلحات الدارجة على الالسن ، وليقدم على مـزج التفعيـلات العروضية الجامدة ، وليصنع من كل ذلك صيغا مقبولة ، وثمينة ومعبرة ، بل اكثر من هذا .. ان نزار قباني قد اخترع موسيقاه الخاصة وجرسه الخاص ، وهـذا مـا يجسم صعوبة ترجمة شعره ، ذلك ان موسيقاه الخاصة الفريدة من نوعها نابعة من القصيدة ذاتها وممتزجـة معها بطريقة عضوية غير قابلة للانفصال عنها .

ان الدواوين الاولى لنزار قبانـي تبين لنا عـن شاعر يكاد يكون تقليديا رغم ميله الى ان يبدو عصريـا فكان خاضعا لسيطرة الوزن والقافيـة الموحدة غيـر ان الوزن والقافية قد اخذا يتدرجان في الفراغ ليضمحلا اخيرا ويحل محلهما اهتمام عارم بالايقاع لكن دون ان يختفيا نهائيا ، اذ انه اخذ يبحث عن اوزان جديـدة ، بواسطة مزج تفعيلات لم يسبق مزجها من قبل في الشعر العربي وذلك حينما اخذ يبسط نفوذه على الكلمـة ويستلكها ويحتويهـا الى ان وصـل الى خلق ابيـات شعرية هي ليست شيئا اخـر سـوى : كلمات خالصـة ، كلمات بسيطة جدا ودارجة على الالسن .

كما انه حول ايضا موسيقى القصيدة التي اصبحت موسيقى اوركسترالية سمفونيـة دخلهـا الهارمونـي ، والنصف والربع مقام ، بعد ان كانت القصيدة العربية ذات موسيقى صادرة عن الة وحيدة الوتر ، لقد اصبحت القصيدة عند نزار تعبر حتى بالصمت وما افصحه .

* * *

ويكاد يكون القباني شاعر موضوع واحد هو الحب ، واقول (يكاد) لانه تناول في بعض الاحيان ـ قليلـة على اي حال وبتوفيـق اقـل ـ الموضوعـات الوطنيـة والسياسية والقومية ، بل انه يتنـاول حتى الموضوعـات الاجتماعية التي اصبح تناولها سائدا اليوم في كل الاداب والتي لا يمكن الانعزال عنها .

اما الشخصيات التي تدور حولها قصائد القباني فهي مختصرة جدا ، فليـس هنـاك سـوى : (الشاعـر والحبيبة) ، وليست هناك حبيبة واحدة حقيقية اوحت بقصائد القباني بل انهن كثيرات ، وهذا امر من السهل ملاحظته فيما اعتقد ، ففي شعر القباني ليست هناك اثار (العيون) او (الصوت) او (شعر الحبيبة) بل اننـا لن نجد الا عيون وصوت وشعر حبيبات كثيرات ، وعلى اي حال ففي رايـي ان للحبيبة ، لحبيبـة واحدة معينة بعدا اكبر ـ واعني حبيبته المرحلة قبل الاخيرة التي سبقت ديوان (قصائد) وهذا البعد يبدو بوضوح اكثـر في ديوانه الاخير الذي يحمل عنوانا معبرا هو (حبيبتي) وقد سبق ان قلت ان هذه اللحظات المعقدة من الحياة هي التي ياتي دورها الان في التنقيب عنها ، ذلـك ان العينين اللتين لا ترافقان الشاعر في مشاهداته (بهونغ كونغ) ـ واقرأوا بطاقاته الثلاث من اسيا ـ تينـك العينين اللتين وجه اليها رسائـل الغرام همـا اللتـان مارستا اكبر التاثير على وجدان الشاعر ـ تينك العينين البعيدتين .

ويقدم لنا قباني وجها اخر للازدواجية ، فهو في كثير من القصائد يتحدث باسم المـراة مثـل (شؤون صغيرة) او (كلمات) الامر الذي يحير القارىء الغربي ، غير ان شرح ذلك يجب الا نبحث عنه في الاسباب غير العاديـــــة .

* * *

ثم ان قباني قد اختار عالمه منذ البداية وهو عالم الاقمار والنجوم والجواهر ، القماش فيه من حرير ، والروائح والعطور ، والاحجار والجواهر ، عالم ليس فيه مكان للحزن كما يقول الشاعر بنفسه .

هذه تقريبا هي الحقيقة لكنها ليست الحقيقة كلها ، لان هذا العالم اللامع ، الربيعي ، الفتي ، المرح اخذ في التغير ، فقد بدات تطرقه قرقعة الحزن ، والتعاسة ، ومن جهة اخرى ... اليس الشباب حزينا تعسا ومرحـا في نفس الوقت ؟ .

وهذه الاشارة الى الحزن في نظري ظاهرة بوضوح في قصائد معينة توجد في اسمى مكان من اثـار وحياة

نزار قباني هو الذي اعطيه اوفر نصيب من الاهتمام لانه هو الذي هداني الى الشاعر حين قرات له (اغنية الى مسافرة) وهي القصيدة التي سميتها ذات مرة (اغنية الى الحبيبة البعيدة) كما ان تلك الاشارة موجودة ايضا في (نهر الاحزان) وفي (الطائر الاخضر)

فلعل الشاعر قد بدا خريفه وما اكثر من يعدنا به الخريف من ثمار .

* * *

لقد قال (لويس ماسينيون) عن (الزمن عند المفكرين المسلمين) ان العربي هو رجل اللحظة لا الاستمرار ، وهذا مهم جدا لنشرح بعض قصائد قباني فالاشياء تهمه في لحظتها الانية ، وحينما تنتهي اللحظة تنتهي الى الابد ، فشعر قباني مفتقر تماما الى البعد الزمني كما نراه عند (انطونيو ماشادو) او (ديلان توماس) ، وهذا في غالب الاحيان بالنسبة الى الذوق الغربي على الخصوص ابرز ضعف في شعره ، وهذا ما يجعل ذلك الشعر في بعض الاحيان ، فارغا وغير مسئول ، غير انه لا يمكن ان نطلب من شاعر عربي مسلم ان يهتم بالزمن .

والحب بسبب ذلك مثل كثير من الاشياء الاخرى في الحياة ـ كالحياة نفسها ـ لا يمكن ان يستمر ، الحب شيء نحسه لكن لا يمكن ان نعرفه ، الحب شيء اخر غير العادة ، والعادة تقتل الحب

* * *

اخشى ان يحكم القاريء الاسباني على هذا الشعر بانه شعر (حب الذات) فهذا غلط في رايي ، انه شعر مختلف عن ذلك الذي تعودنا قراءته على الرغم من انه يشبهه الى حد بعيد ، وهذا اهم ما فيه ، انه شعر في منتصف الطريق نحو الشعر الغربي .

واخيرا .. فهو شعر واقعي ، يتحدث فقط عن الاشياء التي في متناول اليد والعين : الجرائد والهاتف والدفتر والتبغ واللحاف ، من جهة ، وايضا من جهة اخرى .. الجواهر ، والعطور والطيور والورود .

واكرر ... انه شعر مستخلص من الواقع ، لا يتجاوز ابدا عند الاستعارة حدود الموجود ، فالشعر العربي كما يقول (غرسية غوميث) يتحدث عن كل شيء لمجرد انه موجود ، وهذا منطق واقعي مخالف لمنطقنا .

وشعر قباني ... هو شعر شعبي ، يصدر في طبعات ضخمة تصل الى 25 الف نسخة ، وتذيعه كل محطات الاذاعة في العالم العربي ، شعر كلماته بسيطة يمكن ان يفهمها رجل الشارع ، شعر لا يحتقر المصطلح الدارجي او كلام المثقفين ، شعر شعبي يكسر الاشكال والقوالب الجرسية ، والاوزان التقليدية ، شعر شعبي يعاد خلقه على طريقة (بيكير) :

وهو شعر اساسه الكلمة ، فقط السحر الذي تنطوي عليه الكلمة ، حتى ان البيت في بعض الاحيان ليس سوى (كلمة ....)

تعريب : محمد العربي المساري





للأستاذ : عبد العلي الوزاني

أبعد مرور مئات السنين على ظهور الشعر في الحياة الانسانية، نجيء لنضع الشاعرية موضع البحث؟ أبعد العدد العديد من الدراسات عن الشعر منذ ايام اليونان الى أيامنا هذه ، نثير الحديث عن هذا الموضوع؟ قد يعن لاحد ان يتساءل على هذا النحو ، معتقـــدا ان اثارة هذا الموضوع ليست ذات اهمية اليوم ، فقد فرغ الناس منه من قديم ، ومست الحاجة الى اثـــارة موضوعات أخرى اكثر مساسا بمشاكل العصر الادبية، مشفقا على نفسه أن يمضي وقتا في قراءة موضوع يعتبره مفروغا منه ، وسوف لا يضاف فيه جديد الى القديم المعروف المعدود في حكم البديهيات . وقد يتسرع فينظر الى كاتبه نظرة اشفاق ايضا ، اذ انه — في رأيه — انفق جهدا كان يجدر به أن ينفقه في موضوع آخر اجدى عليه وعلى القراء .

وأنا لست انكر أن موضوعي قديم ، تعاقب عليه الباحثون في مختلف العصور ، ولكني اعتقد انه مـــن الموضوعات التي تتجدد دائما ، وتدعو الحاجة الـــى مناقشتها ، وتقليب أوجه الرأي فيها ، كلما اقتضى ذلك مطلب من مطالب الحياة الادبية ، والحياة الانسانية .

وما أكثر دواعي الحديث عن الشعر والشاعرية في أيامنا هذه . فكلنا يعلم أن هناك هجوما عنيفا علـــى الادب بصفة عامة ، والشعر بصفة خاصة ، نتيجـــة لأوضاع العصر المادية والعلمية . وكلنا يعلم أن منطق الشعراء والادباء أضعف من منطق العلماء ، عندمـــا يلتقي الفريقان على هذا الموضوع متحاورين متخاصمين. وان أوضاع العصر ومقتضياته ممارجح موقف العلماء على موقف الادباء والشعراء . وكلنا يعلم أن أنصـار العلم من جماهير المثقفين يزدادون كثافة وكثرة ، ولربما يفوقون عددا أنصار الادب والشعر ، وان الـــدول والحكومات تنظر اليوم الى العلم نظرة اكثر جديـــة ، فتعبيء له كل الامكانيات ، وتخصص له أضخم الميزانيات وتتسابق في تجهيز المختبرات العلمية ، وتعبئة العلماء لتحقيق التفوق التقني ، الذي تعتبره شغلها الشاغل .

فأين حظ الادب والشعر من حظوظ العلم الكثيرة؟ فقصائد الشعراء لا تغرق سفينة في عرض البحـــر ، وكلماتهم لا تسقط طائرة في أجواز الفضاء ، وقوافيهم ليس لها قوة الانفجار الذري.. لذلك لا نعجب اذا رأينا الحكومات والشعوب في عالم اليوم ، تأخذها حمـــى التنافس العلمي . الامر الذي حمل التشاؤم الى بعض الادباء والشعراء ، فساورتهم الشكوك حول مستقبل الشعر والادب ، ومنهم من بالغ في تشاؤمه ، فـــرأى شمس الشعر على أطراف النخيل .

أفلا يكون من اللائق اذن أن نعيد ذلك الموضوع القديم ، ونحن نرى هذه التساؤلات ترتسم على صفحات بعض المجلات والصحف : هل دالت دولة الشعر ؟ هل انتهى دور الادب ؟ هل للاديب دور في المجتمع الحديث ؟ وما هو من هذا القبيل ؟ وهي تساؤلات أوحى بها الموقف الحرج الذي يتعرض له فن القول في هذه الايام ، على اثر الحملات التي شنت عليه ، من ذوي النزعة العلمية، الذين يريدون الحياة مزرعة او مصنعا ، ولا يريدون أن يروا فيها حديقة تنعش النفس ، وتبهج الخاطر !!

والحديث عن الشاعرية كمناجاة العاشقين ، مهما رددت كلماتها فهي دائما متجددة ، تحمل دفء العاطفة ، وتفيض برقيق المشاعر ...

فماذا تكون الشاعرية ؟

الشاعرية لغز حير أجيالا من البشر ، قبل عصر العلم ، حيث وقفت حائرة امام هذه الظاهرة الانسانية العجيبة ، فجعلت للشاعر شيطانا او الهة تمده بسحر القول . واعتبر الشاعر عندها نوعا فريدا بين الناس ، منزها عن الواقع ، بعيدا عن الحياة العملية ، عالمه خيوط من نور ، او خميلة من افواف الزهر وتهاويل الخيال . ولعل هذا ما جعل الناس على مر العصور ، يرون فى الشاعر انسانا خياليا ، ينظر الى السماء ولا ينظر الى الارض ، كلامه نغم ، ويقظته احلام ، واخطاؤه جميلة ، يطلب منه كل شيء ، الا أن يقول شيئا يطمئن اليه العقل .

ولكن تقدم الدراسات النقدية أزال عن الشاعر ذلك الرداء الخيالي الذي ظل متلفعا به عصورا طويلة ، وبدد الخرافات التي احاطت بحقيقة الشاعر ، وحقيقة الشاعرية ، واستقر عند الباحثين أن الشاعر ان هو الا واحد من هؤلاء الناس ، لا يتصل بقوى خفية تمده بالقصيد ، وتنفث فى لسانه السحر ، ولكنه مع ذلك انسان ممتاز ، يشعر بما لا يشعر به غيره ، ويحس بما وراء الاشياء من دقيق الاسرار وعميق المغازي ، مع قدرته على ان يصور شعوره واحساسه فى صورة جميلة ، لو حللت اجزاءها لوجدتها عادية ، مما يتعارف عليه الناس ، بيد انها عندما تجتمع بين اصابع الشاعر، تنقلب الى مخلوق جديد ، طريف كل الطرافة ، يدعو الى الدهشة والاعجاب . كما ان الشاعرية لم تبق وسوسة يوسوس بها شيطان ، او وحيا يتنزل من لدن الهة او اله ، وانما أصبح ينظر اليها على انها ظاهرة انسانية ، تمثل ارقى الملكات الروحية للانسان ، وأن فى امكان كل انسان يملك الطبيعة الفنية ، والموهبة الشعرية ، أن يتحول الى شاعر ، اذا أخذ نفسه بالتربية الفنية ، وسلك سبيل التجربة والمران ، وكان استكشاف حقيقة الشاعر ، وحقيقة الشاعرية ، بداية تحول جديد ، فى نظرة الناس الى الشعر ، وتقديرهم للشعراء ، فالاطفال الذين كانوا يستسلمون للوهم ، والكذب الجميل ، قد كبروا ، وتفتحت عيونهم على حقائق الاشياء .

ولم يكن هذا خسارة للشاعر ، ولا تهوينا من شأن الشاعرية . فمما لاشك فيه أن اثبات كون الشاعر انسانا ممتازا فقط ، وليس ربيبا لالهة او شيطان ، يرفع من مكانته ، اكثر مما لو اعتبر كما كان فى القديم ، اذ المعجزة الفذة حقا ، هي أن نرى انسانا لا يؤيد بقوة خفية ، يعيش كواحد من افراد البشر ، ياكل الطعام ، ويمشي فى الاسواق ، وفيه ضعفه البشري الذي فى بني جنسه ، ومع ذلك يبرز من بينهم متميزا بمواهب عالية تشق له الطريق الى الشهرة والمجد ، وتبوئه مقام الزعامة الروحية ، فهو يحدث الناس بما لم يسمعوا ، ويريهم من جمال الاشياء ما لم يروا ، ويستمد من مشاعرهم نفسها بعض خاماته ، ليبلورها ويطبعها بطابع شخصيته ، ثم يردها عليهم ، فاذا هي تشوقهم وتخلب البابهم ، ويجدون فيها كل طرافة وابداع !!

ومن هنا سننطلق فى حديثنا عن الشاعرية ، باعتبارها ظاهرة انسانية فقط ، لاعلاقة لها بربة او شيطان .

وأول ما ينبغي أن نبدأ به ، هو أن العناصر المكونة للشاعرية — فى معناها البسيط — شيء مشترك بين جميع الناس ، ولا يوجد انسان يخلو من العنصر الشعري . فالواحد منا عندما يقف أمام مشهد أخاذ من مشاهد الطبيعة ، ويقول بلهجة المسحور المعجب : ما اجمل هذا !! يكون قد نطق شعرا ، وان لم يكن صاحب قوافي واوزان . وما وجود الازجال والمواويل والاهازيج الشعبية ، الصادرة عن قوم بسطاء ، الا دليل على أن الطاقة الشعرية شيء مشترك بين الناس ، على تفاوتهم فيها قوة وضعفا ، وسموا وانحطاطا . ولولا هذا لما اهتز الناس للايقاع الشعري ، ولما تجاوبوا مع الشعراء ، وهم يعبرون عن احساسهم الشعري بأساليب مختلفة . فمنهم من يعبر عنه بالنفخ فى اعواد القصب ، او الضرب على الطبول ، أو العزف على شتى آلات الطرب . ومنهم من يعبر عنه بغرس الازهار والورود ، وتعهدها بالتسميد والسقي ، فى حنو الاب الحنون على أبنائه البررة ، ومنهم من يعبر عنه بالغناء، رافعا عقيرته يشدو اعذب الالحان . ومنهم من يعبر عنه بمجرد شرود النظرة ، وهيام الفكر فى آفاق الخيال . اضف الى ذلك المرأة التي تضع باقة من الورد على مائدة الطعام ، والمرأة التي تفتن فى الوشي والتطريز ، والصانع الذي ينسى انه يعمل مقابل اجر ، وينهمك فى اتقان عمله بمهارة وفن ، والتجار الذين يتأنقون فى تجميل واجهات متاجرهم ، كل هؤلاء وغيرهم ، يعبرون بوسائلهم المختلفة عن احساسهم الشعري .

ولولا الاحساس الشعري فى نفوس جميع الناس، لخلت قاعات الموسيقى ، وانعدمت الاناقة فى البيوت ، والنظافة فى الشوارع ، والسمر الممتع فى ليالي الشتاء الباردة ، ولولاه ما وقف شخص امام مرآة ولا تمايل انسان لسحر النغم ، ولا نظرت حسناء فى عطفيها تيها ودلالا ...

الاحساس الشعري يولد معنا ، ويرافق طفولتنا وشبابنا وشيخوختنا. فالطفل منا يبني قصورا من الرمال ويكون جمهورا من الحصى ، واصدقاء من العرائس ، ويخلع على اشيائه الصغيرة الشخصية الانسانيــــة ، فيتحدث اليها ، ويأخذ عنها ، ويبني واياها عالما مـــن التصورات والخيالات . ينظر الى كل شيء بعين مملوءة بالدهشة والتساؤل والحيرة ، ويرى كل ما حوله قد خلق لخدمته . لا مستحيل عنده . ابوه هو اقوى شخص فى عالمه الصغير ، له القدرة على كل شيء . والطفولة بهذا كله ، هي فجر الشعر الانساني ، كما يتجلى فيها طاهرا بريئا خاليا من أي تكلف . ألا ترى النقاد كيـف ينوهون بالشاعر الكبير ، عندما يقولون عنه انه ينظر الى الحياة بعيني طفل؟ الا تجدهم يأسفون لكون الانسان لا تكبر معه خصائص الطفولة ، ذلك انه ما يلبث أن يخضع للجماعة التي تضع له المقاييس ، وتلقنه اللغة ، وتملي عليه قواعد السلوك ؟ الا تجد الشاعر المتباهي بان الطفل ما زال كامنا فى اهابه ، ينظر بعينيه ، ويعبث باصابعه ، ويحلم بخياله ؟

وعندما نضع أقدامنا على عتبة الشباب ، نستسلم لجو من الاوهام الرومانتيكية ، وتستبد بنا أحلام اليقظة، وننذفع وراء عواطفنا الجياشة ، لا نعرف الاعتدال فى شيء ، اذا سررنا ضحكنا حتى نمسك بطوننا من فرط الضحك ، واذا تألمنا انهمر الدمع مدرارا من مآقينا . وقد نضحك للاشيء ، وقد نبكي للاشيء ، فان هي الا فورة الشباب التي لا تعرف الاعتدال ابدا . تكون لنــا القدرة على ان تخلق السعادة من الاوهام ، ونشيــد التصور من الاماني ، ونقلب الدنيا رأسا على عقب بالتصور . قد نجد الثراء فى الحرمان ، والسعـــة فى الضيق ، والراحة فى المغامرة ، والحقيقة فى الخيال ، والخيال فى الحقيقة . ففترة الشباب هي ربيع احساسنا الشعري . وماذا يكون الشعر اذا لم تكن هذه الانطلاقة الحرة ، والاوهام الجميلة ، والثقة العمياء بالنفس ، وتحدي المصاعب والاخطار ؟

فاذا ولى الشباب ثم اقبلت الشيخوخة بحكمتهــا وحنكتها ، تجلى الاحساس الشعري عندنا فى هـــذه التأملات العميقة ، والنظرات الثاقبة ، وهذا التملي من مواكب السنين ، وهي تمر بخيرها وشرها ، وهـــذا السخر بالحياة والاحداث والمنافع الموقتة الفانية ، ثم هذا الحنين الهادىء الرزين الى الامس الدابر ، وايام الفتوة والصحة والغرور ، وهذا الاسى الوقور على الغصن الذي كاد أن يجف فيه ماء الحياة ، وتسقط آخر ورقة من أوراقه ، بعد أن كان يوما زينة للـــــروض ، ومتعة للناظر ، وسريرا للبلابل الفريدة ، تنطلق منــه حناجرها الذهبية باعذب الاناشيد . وبعد هذه النظرة الى الوراء بما تحمله من أطياف سحرية ، نعود فنجمع شتات خواطرنا لننظر الى اليوم الموعود ، يوم ندخل جنات عدن تجري من تحتها الانهار ، فيها ما يلذ النفس ويمتع الابصار ، من حور عين ، وماء سلسبيل ، وموائد مزدانة بكل ما لذ وطاب ، لا مرض ولا هرم ولا عجز ، وانما هي السعادة الدائمة والنعيم المقيم .

واذن فالاحساس الشعري رفيق حياتنا مـــن البداية الى النهاية . ولكن لسنا كلنا شعراء ، ولو أردنا لما وجدنا الى ذلك سبيلا . فلا يكفي لكي تكون شاعرا، أن يكون عندك الاحساس الشعري ، كما لا يكفي أن تكون عند شخص معلومات ، ليكون كاتبا ، فكل مــن الشعر والكتابة ، متوقف على ملكات وصناعة من نوع خاص .

الاحساس الشعري شيء مشترك بين الناس كما بينا من قبل ، وهذا لا يعني ان كل انسان يملك الموهبة الشعرية . والفرق بينهما ان الاول لا يزيد على أن يكون من قبيل المشاعر الانسانية العامة ، التي وان اختلفت فى طبائعها من شخص الى شخص ، حسب اختــلاف النفسانيات والامزجة ، فهي أخيرا شيء مشتـــرك يتشابه الناس فيه . اما الموهبة الشعرية فهي هبة خاصة من الطبيعة . لا تكون مجرد احساس شعري ، ولكنها تتجاوز ذلك ، لتكون قوة كامنة فى النفس ، قوة ما تفتا تشغل صاحبها بهمساتها ووساوسها حتى تفرض عليه اتجاها خاصا فى حياته يتلاءم معها ، وقد يقاوم ليتخذ اتجاها آخر ، فلا نجدها تنسحب لتتركه وشأنه ، وانما تتبرج له احيانا لتفتنه عن عمله، وتاخذ منه أوقاتا تقصر او تطول ، ومن هنا تجد الطبيب المتعشق للشعــــر والمشارك فيه ، والمهندس الذي يترك أشكاله ومعادلاته الهندسية ، ويتحرر قليلا منها ، لينفس عن موهبتـــه المكبوتة ، فى كلمات حية جميلة .

الموهبة اذن اقوى من الاحساس الشعري العادي المشترك ، واعمق وأشد فعالية ، وادل على مهـــارة الطبيعة وتفننها فى خلقها لنماذج البشر ، وصنـــوف الطبائع الانسانية ، شأن الطبيعة فى كل ما تبدعه من حيوان ونبات وانسان . فالطيور كلها تزقزق ، ولكن ما كلها تغرد ، والنباتات كلها تنمو وتعيش ، ولكن ما كلها تروق وتفتن ، والناس كلهم يترنمون ، ولكن ما كلهـــم يغنون ، والفاظ اللغة كلها تؤدي المعاني ، ولكن ما كلها تلذ وتمتع ، والافراد كلهم يشعرون ، ولكن ما كلهــــم شعراء .

لنفرض — مثلا — أن شخصين وقفا امام منظر جميل ، احدهما لا يملك الا الاحساس الشعري المشترك والآخر يملك الموهبة الشعرية ، ولننظر كيف ينعكس المنظر على كل منهما ، اما الاول فينوه بالشيء الجميل، وقد يقول انه اجمل ما راى في حياته ، وانه يتمنى ان يراه مرة اخرى ، وان الاشياء الجميلة التي من هذا النوع نادرة ، وما الى ذلك ، واما الثاني فله شأن آخر، كأن يهتم بخصائص الشيء الجميل ومميزاته ، ويقارنه بشيء جميل آخر يشبهه ، ويستشف المعاني والمشاعر التي يمكن أن يرمز اليها ، ويذكره ببعض مواقفه في الحياة . الاول يكتفي بتسجيل أن الشيء جميل ممتع ، والثاني يحاول أن يفهمه ، أن يستنطقه ، أن ينفذ منه الى افق واسع .

ولكن قد يتوفر الشخص على الموهبة الشعرية ، ومع ذلك لا يكون شاعرا . فهناك موهوبون كثيرون ، ولكن مواهبهم تبقى قاصرة سلبية ، يتمكنون بها من تذوق الشعر والاستمتاع به ، ولا يستطيعون أن يقولوا شعرا . فماذا ينقصهم ليكونوا شعراء ؟ ما ينقصهم هو الشاعرية . فاذا كانت الموهبة أرقى من الاحساس الشعري المشترك ، فالشاعرية أرقى وأقوى من الموهبة وبدونها لا يتأتى لشخص ما أن يكون شاعرا . والفرق بين الموهبة الشعرية والشاعرية ، هو ان الاولى استعداد طبيعي يوهب، ولكنه قد يظل مهملا دون استثمار فلا يزيد صاحبه على أن يتذوق الشعر ويهتز له ، اما الشاعرية فهي ذلك الاستعداد الطبيعي نفسه ، وقد نما وترعرع ، ووصل الى قمة نضجه الفني ، وذلك بوسائل التكوين المباشرة وغير المباشرة ، والتي سبق ان شرحتها في بحث (وسائل تكوين الملكة الفنية) فلا احتاج الى تكرارها هنا . ومعنى ذلك ان الشاعرية هي قدرة على قول الشعر ، لا مجرد تذوقه والاستمتاع به ، ولا يمكن أن نتصور انسانا يقال ان له شاعرية ، دون أن يقترن هذا عندنا بانه مستطيع أن يؤلف هذا الكلام الجميل المؤثر الذي نسميه الشعر .

وغير خاف ان (الشاعرية) مصدر صناعي ، وهو يطلق على كل لفظ زيد في آخره حرفان ، ياء مشددة ، بعدها تاء تأنيث مربوطة ، ليصير بعد الزيادة اسما دالا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة مثل (الانسانية) التي يراد بها في وضعها الجديد معنى مجرد يشمل مجموعة الصفات المختلفة التي يختص بها الانسان ومثلها : الوطنية ، التقدمية ، والحزبية ، والوحشية[1]

وليست الشاعرية مجرد روح فني يتقمص الانسان ليخلق منه شاعرا بقدرة قادر ، فهي مرتبطة ارتباطا متينا بصناعة خاصة ، لها اصولها وقواعدها الفنية التي لا بد من مراعاتها في هذا الصدد . ولست مع أولئك الذين يرون ان الشعر يصدر عن الشاعر كما يصدر الاريج عن الزهر ، والشعاع عن النجم ، والحفيف عن أوراق الشجر ، اذ ان هذا يعني ان الشاعر ليست له شكليات ولا تقاليد فنية ، ينتظر ان ينبثق الشعر عنه بكيفية لا ارادية . وهذا لم يتحقق حتى في العهود التي كان الناس يعيشون فيها بعداء عن كل تكلف ، تدفعهم الفطرة السليمة ، والعادة الموروثة . فكلنا يعلم أن الشعر في الجاهلية العربية — مثلا — كان صناعة يتلقاها التلميذ عن استاذه ، حيث يدربه على قول الشعر ، كأن يقول شطرا من بيت ، ويطلب اليه أن يقول الشطر الثاني ، او ان ينظم بضعة أبيات ، ويكلفه ان يقول أبياتا على ايقاعها وفي موضوعها ، الى غير ذلك من الطرق .

وسوف لا نكون قد فعلنا شيئا اذا نحن قنعنا من تعريف الشاعرية بانها قدرة على قول الشعر . فهذا كقولنا في تعريف الانسان انه حيوان ناطق او مفكر . فما أضيق هذا التعريف بالانسان عن آفاقه وميوله واشواقه واحلامه المتنوعة الزاخرة بالمعاني ، والتي لا يستوعبها اي تعريف من هذا النوع . وكذلك الشاعرية تبقى بعداء عن دنياها الواسعة ، لو اننا اكتفينا بوضعها في ذلك التعريف الضيق البسيط .

من اين أبدأ الحديث عن الشاعرية ؟ فكلما رنوت الى معنى جميل من معانيها ، برز لي معنى آخر أقوى فتنة وجمالا . وكلما اخذني طيف رائع من اطيافها ، نازعتني نفسي الى طيف آخر ، لا أستطيع ان أقاوم سلطانه على نفسي . واني لاشفق على هذه المعاني والاطياف من اقتناص اللغة ، هذه التي تريد أن تحد ما ليس بمحدود ، وأن تقيد ما من طبيعته الحرية ، الحرية بدون حدود او قيود . ولكن ماذا نفعل ولا حيلة لنا في الامر ؟ فنحن لابد أن نتكلم ، لان معانينا ومشاعرنا وهواتف وجداننا أقوى من أن تحتمل السكوت ، انها لابد أن تلتمس وسيلة للتعبير عن نفسها .

وغير خاف أن الشاعرية ليست مقصورة على هذا البناء الفني المدعو بالقصيدة ، فهي قد توجد أيضا في فنون النثر ، فكم من قطعة نثرية ، قد تكون فصلا في رواية ، أو فقرة في مقال ، أو حوارا في مسرحية نثرية ، ترتفع الى مستوى الشعر ، مع ان شكلها الفني ليس

---

1) النحو الوافي — الجزء الثالث

هو الشكل الفني للشعر بمعناه التقليدي ، ونحن مع هذا لا نستطيع أن نسمي هذه القطعة شعرا بالمعنى المدرسي ، لان للشعر ايقاعا خاصا لابد من وجوده ، والا وقع خلط بين الاجناس الادبية ، وجار هذا الجنس منها على الجنس الآخر . فالمسالة هنا لا تعدو الاعتراف بان الشاعرية ليست ملكا للشاعر وحده ، فرب ناثر شاعر فى نثره . وانا لا اريد أن اثقل على القارىء بايراد بعض النماذج للنثر الشعري ، فهو لاشك مطلع على الكثير منها ، الامر الذي لا احتاج معه الى زحم هذا المقال بالنقول .

هنا يرد هذا السؤال : لماذا كانت الشاعرية شيئا مشتركا بين الادباء ، على اختلاف الفنون الادبية التي يزاولونها ؟ لعل ذلك راجع الى كون الشاعرية فى مستاها العملي التطبيقي ، هي عواطف اصيلة صادقة مصوغةفى قالب جميل مؤثر له ايقاع ، وهي بهذا التعريف البسيط تتحقق عند من نسميه شاعرا ، وقد تحقق حتى عند من نسميه ناثرا . فالناثر هو قبل كل شيء انسان ، يهتز للاحداث ، وتتنازعه عوامل الحياة المختلفة ، وله نفس هي نفس اديب ، لها استجابتها ونظرتها وملابساتها الخاصة . ونفس الاديب دائما طلعة ، تهيم بالاتصال بما وراء الظواهر من قوى عميقة ، وتستشف المعنى الدقيق الكامن فى الاشياء الجميلة ، ثم هي تعبر عن ذلك كله بطريقتها الخاصة ، وقد تبلغ هذه الطريقة من الشفوف وطلاوة العبارة وجرس اللفظ ، ما تستحيل معه الى شعر بمعناه الواسع ، لا بمعناه المدرسي الضيق .

وهذا يسلمنا الى سؤال آخر : هل اقتسام الادباء والشعراء لعنصر الشاعرية ، بمعناه ان ليس للشاعر دور خاص يقوم به ؟ هل يغني عنه القاص والروائي وكاتب المقال وكاتب المسرحية ؟ ليس لهذا السؤال الا جواب واحد ، وهو أن دور الشاعر لا يستطيع القيام به اي اديب آخر ، ذلك لان للشعر منهجا وطريقة خاصة تختلف عن مناهج وطرق بقية الفنون الادبية ، بالرغم من كون الطاقة الشاعرية لا توجد فى جانب دون جانب فالنثر يسلك غالبا الطريقة التقريرية المعتمدة على المنطق وطرح القضايا الفكرية باسلوب مباشر ، مع ما يتطلبه ذلك من اعتماد على الحجج العقلية والادلة المنطقية . وحتى حين يتخفف من هذه التقريرية قليلا ، ليستخدم الاسلوب الوجداني الذي يقربه من لغة الشعر فهو لا يستطيع أن يتخلص نهائيا من طبيعته التقريرية ، بحيث لا يلبث أن يعود اليها ، وهنا يعجبني بول فاليري اذ يشبه الشعر بالرقص والنثر بالسير . فالشعر يرقص أي انه يتوخى الموسيقى ، هذه التي تعتبر من اهم الاسس التي يقوم عليها . على حين ان النثر يسير ، اي ينطلق الى غايته لا يلوي على شيء . والموسيقى الموجودة فيه ، هي انسجام خطوات السير وانتظامها دون تعثر أو اضطراب فالاسلوب الوجداني الخالص هو منهج الشعر ، وقد نجد احيانا ذلك الشاعر الذي يخالف هذا المنهج الشعري الخالص ، ليسلك الطريقة النثرية التقريرية ، وحينئذ لا يسلم من سهام النقاد ، واقرب مثال الينا فى هذا الصدد ، الانتقادات التي وجهت الى شعر العقاد رحمه الله ، اذ انه فى غالبية شعره ، يترك لعقله السيطرة الكاملة على قلمه وهو يكتب الشعر ، حتى لتجد له القصيدة التي لا تزيد على ان تكون مقالة موزونة مقفاة ، واني هنا لاعتمد على ثقافة القارىء ، فليغنني عن ايراد الامثلة من شعر العقاد ، فهي موجودة فى دواوينه التي لا تخلو منها مكتبة .

فاذا سلمنا بان كل الفنون الادبية تأخذ من الشاعرية بحظوظ متفاوتة ، ويكون للشعر منها الحظ الاوفر ، لانه مجالها الحيوي الخصب ، واذا كان معنى ذلك ان للشاعر رسالة فذة يؤديها ، ولا ينوب عن الشعر اي قالب فني آخر فى ادائها ، فما هي هذه الرسالة ؟ ان الحديث عن هذه الرسالة بشيء من الافاضة ، سيدفع بي حتما الى الخروج عن الموضوع ، لذلك ساكتفي بتلخيصها فى بضع كلمات ، وهي : **نشر الوعي الجمالي، وتحقيق المشاركة الوجدانية بين الناس واثارة عواطفهم الانسانية ، واشعارهم بمعنى وجودهم واسرار ازماتهم ، وخطورة قضاياهم ، لا عن طريق اقامة الحجج والدلائل ، وانما عن طريق الكلمة الحية الجميلة المؤثرة ذات الايقاع .**

وقد يتحقق عن طريق التأثر والانفعال التلقائي، ما لا يتحقق عن طريق الاقناع والافحام العقليين . فانت — مثلا — قد تاتيني بالف دليل ودليل على ان احزان الدنيا ومسراتها سيان ، ما دامت النهاية هي الموت ، ماساة الانسان الكبرى ، فلا تستطيع ان تجعلني انظر الى الحياة تلك النظرة العبثية ، التي لا ترى فى الحياة شيئا جديرا بهذه المتاعب التي نعانيها ، ثم اسمع ابا العلاء يقول :

غير مجد فى ملتي واعتقادي

نوح باك ولا ترنم شاد

فيكون لكلامه العاطفي فى نفسي من الاثر ، ما يبدل نظرتي الى الحياة ولو الى حين .

وما أعجب ما تفعله بنا شاعرية الشعراء !! من خلالها تبدو لنا الحياة متبرجة فى حلل من الفن الجميل . الحصى قطع من الجوهر ، والمروج الخضر مهرجانات وأعراس ، والجبال الشامخة حكماء عليهم وقار العظمة وجلال الحكمة ، والنسيم أنفاس عشاق ، والورود الحمراء خدود عذارى تضرجت بدماء الخجل ، وما الى ذلك من تمويهات الشاعرية وكذبها الجميل ، الذي لا أعرف ما يدانيه روعة وجمالا . ولو كانت الشاعرية مكتفية بما ذكرت ومقصورة عليه لهان أمرها . ولكنها روح رقيق شفاف ، يتسلل الى أعماقنا وحنايا أضلعنا ، كما تتسلل خيوط القمر من خصاص النوافذ لتنشر الضوء والبهاء ، فاذا نحن نجد نفوسنا التى طالما ضللنا عنها وضلت عنا فى معترك الحياة الصاخب ، فلنا فى هذه الكلمة ذكرى ، وفى هذه العبارة دمعة ، وفى ذلك الحرف بسمة ، وفى تلك الصورة الشعرية ذخيرة وثروة . فبعد ما تكون مطالب الحياة المادية قد استهلكت كل طاقاتنا ، واستنفذت كل امكانياتنا ، وحالت بيننا وبين أن نخلو الى نفوسنا نبادلها النجوى ونطارحها الحديث ، تجيء الشاعرية فى حلل فتونها فترد الينا اعتبارنا كأناسي وتمكننا من حقوقنا كبشر ، فى أن نحيا لانفسنا لحظات نهيم وراء ذلك الطيف المتواري فى الافق ، ونسبح مع تلك النسمة السارية فى الجو ، ونمرح مع تلك الفراشة المتنقلة بين ألوان الزهر ، وبالتالي نعيش نفوسنا فى مختلف حالاتها ، ليكون لنا عمقنا الانساني .

وبذلك تكون الشاعرية قد انتشلتنا من واقعنا المادي، ومنافعنا الغريزية لتسمو بنا الى جوها المعطر النسمات ، على أجنحة من كلمات جميلة ، وايقاع ساحر النغم ، وصور شفافة بديعة الملامح . ومن حسنات الطبيعة أن وهبتنا هذه القدرة على أن نحلق أحيانا فوق دنيا المطامع والصراع ، فى آفاق الفنون الجميلة التي فى طليعتها الشعر .

ولكن لماذا كان فى امكان الشاعرية أن تفعل بنا كل ذلك ؟ لان الشاعرية فتنة لصاحبها قبل أن تكون فتنة للناس ، تناجيه بأعذب الاحاديث ، وتوحي اليه بأدق المعاني ، وتلهمه العميق من التأملات ، وتملأ عليه دنياه بروائع الاحلام . فهو فى غمرة من مشاعره الفاتنات ، وفى سكرة من خواطره الساحرات عندما ينظر حوله ، فالحياة كلها شعر ، يترقرق فى ماء الغدير الصافي ، ويتألق فى شعاع النجم اللامع ، ويسبح فى خيوط القمر الفضية . يتلألأ فى عقد الحسناء ، ويغفو تحت جناح الفراشة . يبدو عظمة فى الجبال ، وخضرة فى الروابي، ورشاقة فى الاغصان ، وقوة فى الصخر ، وألوانا فى أجنحة الطير ، وميسا فى قدود الغواني ، الى غير ذلك مما خلق الله من محاسن الحياة والطبيعة . أرأيت الى ذلك المغني المأخوذ بروعة اللحن ؟ والساقي النشوان بجمال الكأس ؟ كذلك الشاعر المبدع للقصيد ، افتتانه بشاعريته هو سر فتنة شاعريته للناس . ومتى افتتن الناس بالشاعرية ، بمعنى أنها تسامت بهم ، وكان لها سلطان على نفوسهم ، كان ذلك دليلا على أن هؤلاء الناس شاعرون بانسانيتهم ، مستطيعون التفوق على ذواتهم ، لا تحول المادة دون انطلاقتهم الروحية ، وتخلصهم — ولو الى حين — من مشاغل حياتهم اليومية، ليحلقوا فى آفاق الشعر . وليس التحليق فى هذه الآفاق — كما قد يظن البعض — ضربا من العبث الذي لا فائدة فيه . فبالرغم من تجرد الشعر عن المنفعة ، فان تعشقه والاقبال عليه ، لابد أن يكون من نتائجهما الشعور بالمشاركة الوجدانية ، ونمو العواطف النبيلة ، وحب المثل العليا ، وهذه تؤثر على أسلوب السلوك ، وطريقة تقييم الاشياء .

واذن فالشاعرية ليست مجرد وسيلة لمتعة فنية، ولكنها أيضا أحد مقومات الحياة الانسانية الرفيعة ، والضمير الانساني الحي ، اذ أنها ترهف الاحساس ، وتهذب العاطفة ، وترقق الذوق ، وتجمل الخلق ، وتنير البصيرة ، وتدل على مواطن الجمال الحسي والمعنوي فى الاشياء . ولا أتصور مجتمعا مهذبا ذواقة للجمال والفن ، دون أن يكون للشعر فيه مكان مرموق . ولا أتصور فردا مثقفا قويا بمعانيه ، شاعرا بانسانيته، لا يهتز للشعر ، ولا تأخذه روائع الشاعرية . ينطبق هذا حتى على العلماء المغالين فى التمسك بالنزعة العلمية ، الجاحدين لخطورة الدور الذي يلعبه الشعر فى حياة الانسان . فهم قبل أن يكونوا علماء ، أفراد من البشر ، لهم عواطفهم ووجداناتهم التي هي منفذ الشعر الى نفوسهم . وماذا تكون الشاعرية ؟ أليست خلاصة بعض النفوس العالية الشفافة ؟ أليست قدرة بعض الطبائع الفنية على الابداع الفني ؟ وأخيرا أليست هذه كلها مرجعها الى عواطف الناس التي مهما تفاوتت قوة وضعفا ، فهي تعود الى أصول واحدة ؟ ونتيجة هذا أن الشعر له صلة بنفس كل انسان ، وهو لا يستطيع صده عن نفسه ، الا اذا استطاع أن يمنع النور من دخول حجرته ، والهواء من ملء رئتيه ، وأصوات الطبيعة من بلوغ أذنيه .

وماذا تقدم لنا الشاعرية ؟ انها لا تقدم لنا خبزا نتغذى به ، ولا ذهبا يسيل لعابنا لرنينه ، ولا علما نزداد به ثقافة وخبرة ، وانما تقدم لنا نفوسنا فى أرقى

مستوياتها ، واجمل مظاهرها ، واغناها بالمعاني ، واحفلها بالصور . وتقدم لنا الحياة من خلال **مشاعر** مرهفة ، وقلوب كبيرة تتجاوب فيها أصداء الوجود . وتقدم لنا معنى ضللنا عنه في دروب الكون ، وشجونا أودعناها صدور السنين ، وآثارا تركتها اقدامنا على طريق الحياة ، وبقايا دموع سكبناها على صفحات العمر ، واصداء لحن جميل ترنمت به شفاهنا في عهود خوالي .

الشاعرية تترجم لنا حديث النسيم للازهار ، ومناغاة العصفورة لفراخها الصغار ، ومداعبة الشحارير لاغصان الشجر، ومناجاة السوسن للاقحوان وقبل الفراشات لخدود الورد . والشاعرية تحدثنا عن احلام العذارى ، واشواق العشاق ، وخشوع النساك، وفتنة الفساق ، وجنات السعداء ، وجحيم الاشقياء ، والآمال الكبار لفرسان الاساطير ، والخوارق العجيبات لابطال الخرافات . تنفس عن رغباتنا الروحية المكبوتة ، وترسم صورا لآمالنا الضائعة ، وتهيىء جوا لاحلامنا الجميلة ، وتهبنا عن طريق الخيال ، ما حرمناه في عالم الواقع ، تمد خيطا رفيعا بيننا وبين اشياء هذا الكون ، فلنا صلة بسروق الدوالي ، وثغور الاقاحي ، وحناجر البلابل ، وقمم الجبال ، واعماق البحار ، وما الى ذلك من كل ما دق او جل من مظاهر الحياة . وليس اقدر من الشاعرية على احياء الميت ، وتجديد البالي ، وجمع المتفرق ، وتحريك الجامد ، وانطاق الاخرس ، واسماع الاصم ، واقامة المتداعي ، واشتقاق النعومة من الخشونة ، والطلاقة من الجهامة، والوسامة من الدمامة والطرافة من العتاقة . هي الشاعرية ، كلما الححنا عليها بالتأمل ، كلما فاضت علينا بالمعاني ، واسكرتنا بالنشوات .

ان ما تقدمه لنا الشاعرية هو قصة الانسان العاطفية ، منذ ان احس بان شيئا يضطرب بين جنبيه ، ووجد الكلمة للتعبير عنه . وهي قصة سيبدىء فيها الشعراء ويعيدون كما فعلوا دون أن تنتهي، هي لحن لن يتم أبدا ، وكيف تنتهي وعواطف الانسان دائما في تلاقح وتوالد ؟ وكيف تنتهي وهي لا تقف عند حدود هذا العالم الذي نعيش فيه ، وانما تمتد الى العالم الآخر ، هناك حيث أطلق بعض شعراء الانسانيةلاخيلتهم العنان ، فحدثونا عن نعيم الجنة وعذاب النار ، ونقلوا معهم وجودهم الانساني ، وغرائزهم البشرية، فعاشوا هناك بالوهمكما يعيشون هنا في الحقيقة، يحاجون ويصالحون ويسخطون ويرضون ، تنازعهم نفوسهم الى الطيبات ، وتتمنى الاماني ، وتنشد الكمال الذي افتقدته في هذه الدنيا ، واجهدها السير الطويل **من أجل الوصول اليه،** فلم تنل منه شيئا ، وانما افادها سعيها اليه ادبا وفنا وعلما ، انفقت فيه أعمارا تلو أعمار ، والكمال لا يزداد الا بعدا وقوة مناعة .

وهل عرفتم قصة كهذه ، أعيدت ملايين المرات ، في عمر الانسانية الطويل ، وآفاتها الواسعة ، واجيالها المتلاحقة، وهي مع ذلك لا تفقد شيئا من فتنتها وروعتها؟ كم تغنى الشعراء بعاطفة الحب ، وما زال عندها شيء تعطيه، وكم تغنى الشعراء بعاطفة الاعجاب، والاعجاب ما زال يوحي ويلهم . انها القصة التي يرويها آلاف الرواة في مختلف العصور ، كل راوية يضع فيها شيئا من نفسه فلا شجونه تنفذ ، ولا القصة تنتهي ، وبالرغم من ان الانسان الشاعر قد استعان في قصها على آذان العصور بكل ما خلق الله في الارض والسماء وما بينهما من روائع الجمال . استعان بهدير البحار ، وزمجرة الرعود ، واشراقة الشمس ، وطلعة القمر ، وسناء النجوم ، وهمسات النسيم ، ونواوير الخمائل ، وسجع الحمام. واستلهم أحداث التاريخ ، وتقلبات الايام ، وعبر السنين ، وخوارق الاساطير ، وعجائب الخرافات ، وآيات الرسل والانبياء . وشد أزره بأنغام الموسيقى ، وعظمة الآثار ، واصوات الطبيعة ، وآيات الفنون . تنقل بين الحقيقة والخيال ، والواقع والوهم . طلب العون من الآلهة ، كما طلبه من الشياطين . نوع من لهجته واسلوبه . استعمل الهمس مطامنا من صوته ، واستعمل الصوت المدوي ، واللهجة العالية ، مادا يده الى الدهر يهزه هزا عنيفا ليحفظ عنه ما يقول . اخذ اللغة بمواهبه وملكاته ، ينوع فيها ويزخرف ويتفنن ، مستغلا جرسها وظلالها، وحمولتها من المعاني والخواطر التي اكتسبتها في رحلتها الطويلة عبر العصور ، مخالفا بين اشكالها وقوالبها ، تارة يعاملها بقوة وعنف ، وتارة بلطف وحسن تاني ، طورا يسير بها مسرعا لا يكاد يلوي على شيء ، وطورا يتهادى بها في انتشاء . يجعلها أحيانا حادة التقاطيع ، خشنة الملمس ، ويجعلها أحيانا وديعة المحيا ناعمة البشرة . يسلك بها سبل الصراحة والوضوح، وقد ينحو بها منحى الرمز والايحاء . يكسوها حلة من الاشراق والاشعاع ، وقد يهبها طابع القتامة والعبوس ، حتى ضاق صدر اللغة بجنونه وفتونه وآماله الكبار . ومع ذلك ، فهل انتهى الانسان الشاعر مما يريد ان يقول ؟ هل شفت غليله ملايين الصحف ، وآلاف الكتب والدواوين ؟ ان ما نراه هو ان الشعراء قد يشيخون ، ولا يدعون انهم قالوا كل ما في نفوسهم، وشعراء آخرين تتفتح براعم شاعريتهم ، او في طريقها

الى التفتح ، يبداون القصة من أولها . ونرى ايضا قراء الشعر يسمعون القصة تعاد على اسماعهم فلا يملون سماعها ، لانها تخرج من فم مخلوق جديد ، يعيش يعيش التجربة للمرة الاولى ، وفي عينيه آثار الدهشة ، وعلى وجهه علامات استفهام .

يقول ارسطو بفكرة محاكاة الشعر للطبيعة . وهي فكرة نستأنس بها في هذا الصدد . فالطبيعة هي هي . لا تختلف ابدا . في طلوع الشمس وغروبها ، وتعاقب النهار والليل ، وتتابع فصول السنة ، مع ما يصاحب ذلك من الظواهر المختلفة . قدر لنفسك كم مرة شهد الناس هذه الظواهر ، منذ بدء الخليقة الى اليوم ، مع ذلك فالطبيعة دائما متجددة . زهور تذبل وتتلاشى ، وزهور تنمو وتتفتح ، واوراق تتساقط وتيبس ، واوراق تونع وتخضر ، واشجار تلقي بثمارها ، لتتهيأ لموسم جديد ، وهكذا ، عملية متكررة لا يختلف نظامها ، والطبيعة دائما جميلة ، زاهية ، موحية . وكذلك الشاعرية فيما تقصه علينا من عواطف القلب الانساني ، ما تلبث تعيدها ملايين المرات ، بأساليب مختلفة ، ومن خلال نفوس متنوعة ، والقصة لا تفقد شيئا من حرارتها وتوهجها . لناخذ لذلك مثلا هذه الكلمة التي استغرقت من ديوان الشعر الانساني صفحات كثيرة : احبك ... يقولها آلاف الشعراء . منهم من يقولها لاهيا عابثا ، ومن يقولها خاشعا ضارعا ، ومن يقولها مترنما منشدا ، ومن يقولها مداعبا ممازحا ، ومن يقولها محترقا لاهثا ، ومن يقولها متلطفا مترضيا ، ومن يقولها مندفعا هاجما . وبالرغم من هذا ، فلو جاءنا شاعر يقول لمن يهواه : احبك ... لاصغينا اليه ، ووهبناه كل جوارحنا ، ولماذا ؟ لان من وراء الكلمة انسانا له كامل الحق في أن ينقل عواطفه الى كلمات ، وعلينا واجب الاصغاء اليه ، والاخذ عنه ، طالما اننا من عشاق الشعر ، والشعر فن ، وللفن حقوق يجب ان تصان وترعى .

ولكن ما كل من نظم ابياتا فهو شاعر ، وما كل كلام مرصوف موقع يدل على شاعرية . فما اكثر ما ظلم الشعر ، وظلمت الشاعرية ، فنسب الى كل منهما ما ليس منه . وما اكثر ما عفرت الشاعرية بالتراب ، ولطخ وجهها الجميل بالوحل ، ونزلت منزلا غير كريم ، ولا لائق بسدتها الرفيعة ، ونسبها الشريف . فكم باسمها ينشر على الناس من هراء ، ويلقى اليهم من كلام رخيص ، يسيء الى الذوق ، ويعكر الخاطر ، ويبعث الاشمئزاز في حاسة الجمال .

والادعياء في الادب والشعر ، أكثر بكثير من الادعياء في العلم ، واشد خفاء على أوساط الناس من المثقفين . ذلك أن العلم له قواعد ثابتة ، فاذا حاد احد عنها ، او نسب اليها ما ليس منها ، سرعان ما يفتضح أمره ، اما شؤون الادب والشعر ، فلا قواعد لها يعرف بها الصحيح من الزائف ، وانما مرجع ذلك غالبا الى الذوق ، والاذواق تختلف بين انسان وآخر ، الامر الذي يصعب معه تحديد خصائص العمل الادبي الجيد ، وان كان لا يمتنع . ومن ثم كان الادب والشعر يتمتعان بحرية اوسع مجالا ، متخففين من الضوابط الشاملة ، والقواعد العامة الدقيقة ، هذه التي تسد الطريق امام الدعي في العلم . نعم ان الادب له قواعده وقوانينه وقيوده ، الا انها لا تصل الى وضوح قواعد العلم واحكامها ودقتها . لهذا كان الانتساب الى الادب اوسع مدخلا من الانتساب الى العلم . فما اسهل ان يطلق الناس لقب (كاتب) على كل من كتب شيئا ، ولقب (شاعر) على كل من اقام وزنا — وقد لا يكون لكلامه وزن — فهو مستقر بين اهل الفن بلقبه ، يذكر مقرونا بهم ، محشورا في زمرتهم ، وان كان لا يصل الى مواطيء اقدامهم ، عند تقدير المواهب والملكات .

والشاعرية انواع ، تختلف في طبائعها باختلاف شخصيات الشعراء وامزجتهم ومواهبهم ، والوان استعدادهم النفسي والعقلي . فهناك الشاعرية التي تشقق للشاعر فنون الكلام ، وتقلب امامه اوجه الجمال ، وتهديه الى مواطن السحر في هيكل اللغة ، وتشعره بينابيع الفن في مظاهر الاشياء ، وتأخذ بيده الى لطائف المعاني ، وتنيله الحظوة عند عرائس الخيال ، وتضع يده على اسرار الفتنة في مباهج الحياة ، وتسوق اليه شوارد الخواطر ، وتدفع اليه باوابد الافكار ، وتظفره بعصي المدركات ، وحسبها هذا الهاما للشاعر ، وفتحا لآفاق التخيل والتأمل امامه . ونحن اذ نقرا له ، نجد المتعة الفنية ، وصدق العاطفة ، وجمال العبارة ، ونقاء اللغة ، وليس هذا بالمطلب السهل ، فدونه مراحل من المران ، والوان من التجارب . ولكن هناك ضربا آخر من الشاعرية ، يتجاوز هذه المآتي ، ليتصل باعماق الحياة ، ونواميس الكون ، واسرار الطبيعة ، واصول الانسانية ، كما تراءت لنفس كبيرة ملهمة ، وقلب عظيم ، وخيال جبار ، ونحن اذ نقرا آثار الشاعرية التي من هذا النوع ، لا نكتفي بأن نقول : ما اجمل هذا المعنى ! وما أروع هذا اللفظ ! وما الطف هذه الصورة ! فالامر اخطر واعظم من أن نقف عند هذا الحد ، ولو انا وقفنا عنده ، ما كنا جديرين بالشاعر الممتاز ، والفنان العظيم ،

فنحن حيال عالم رحيب ، وافق واسع ، وكائن عملاق، يشرف على الحياة من سمائه ، فيرى خيرها وشرها ، ومدها وجزرها ، وتقلبها واستقرارها ، وما يحيطها من تخوم ، ويشقها من دروب ، ويستكن فيها من رواسب، ويتهادى فوقها من فتون ، ويملأ اركانها من غوائل . ورؤى هذه الشاعرية خالدة ابدا ، لانها انطلاقات حرة مبدعة ، تمس صميم الاشياء في جوهرها الخالد، وتنطلق من حدود الشعور الانساني الاصيل العميق ، وتصدر عن كليات التصور ، وشمول التخيل ، واحاطة النظرة، وقوة الاستجابة . ومع ما لهذه الشاعرية من اتساع في الافق ، وشمول في الرؤيا ، فانها تمثل نفسا مستقلة ، في الزاوية التي تنظر منها الى الحياة ، والمنظار الذي ترى به الاشياء . وهناك ضروب أخرى من الشاعرية تقع بين هذا المستوى وذاك .

وتوجد الشاعرية التي ليس لها بريق يخطف الابصار ، ولا رنين يفتن الاسماع ، ولا اصباغ تغازل الاذواق ، ولكنها مع ذلك قوية المعاني ، عميقة النظرات ، عبقرية اللفتات ، تمثل نفسا متوثبة ، وقلبا ذكيا ، وفكرا جوالا . هي غانية لم يزن جيدها عقد ، ولم يحط معصمها دبليج ، ولم تحل أصابعها خواتم ، لان لها من اقتناعها بجمالها ما يغنيها عن ذلك . وكم تعرضت هذه الشاعرية لظلم الناس في كل زمان ومكان ، فانكروا فضلها ، وجحدوا نعمتها ، وجهلوا قدرها ، فعاشت مغمورة منسية ، الى ان قيض الله لها من نشر افضالها على الناس . والناس دائما يعجبهم البريق ، ويثيرهم الضجيج ، ويغويهم التبرج ، فاذا صادفوا شاعرا او كاتبا لا يرضي فيهم هذا الميل ، عاملوه بقسوة ، ولكن يعزيه عن ذلك ، كونه يجد مكانته عند كبار المثقفين .

ونوع آخر من الشاعرية اكبر ما يستطيع ان يقدمه اليك ، ديباجة مشرقة ، وجرس عذب ، وتصوير رائع ، فان انت بحثت عن محتوياتها وجدت المعنى القريب ، والعاطفة السطحية ، والخيال الذي يرتفع ولا يحلق ، ويؤلف بين صور الاشياء ، ولكنه لا يخلق صورة من صور الفن ، ولا يبدع أسلوبا من أساليب البيان . وهذا هو الحد الادنى للشاعرية ، وهو يغلب على الشعراء الذين لم يأخذوا من الثقافة باوفى نصيب ، فاعتمدوا على مواهبهم وحدها ، وما اقوى سحر المواهب وسلطانها على النفوس !! وما اشد غوايتها وخداعها للموهبين من أهل الفن !!

والشاعرية كائن حي متطور ، له طفولة وشباب وشيخوخة ، فهي في طفولتها تضطرب بها السبل ، وتملأ طريقها المزالق ، وتكتنفها المصاعب ، ويجهدها ان تعثر على المعنى الطريف ، وتصطاد الخاطر الجميل ، وتلتمس الدروب غير المطروقة ، فان هي توصلت الى ذلك ، أعجزها أن تصوغه في القالب المحكم ، وتحيطه باطار المتين ، يتجلى ذلك في المحاولات الاولى لشعراء العربية — مثلا — حيث تجد شاعريتهم طفلة تحبو ، وتجاهد لتقف على قدميها ، فتستقيم تارة وتسقط أخرى وقد تجد الشاعرية التي تطول فترة طفولتها ، اما لضعف الموهبة ، أو لافتقار الشاعر الى الثقافة العالية، أو لكونه لا يقول الشعر باستمرار ، وانما في فترات متباعدة . وربما بقيت مرحلة الطفولة ملازمة لها دائما ، لا تستطيع التخلص منها ، وهذا يصدق على بعض الشعراء المتهافتين الذين قعدت بهم المواهب المتخاذلة عن النضج النفسي والفني ، فاذا استطاعت الشاعرية ان تتخطى طور الطفولة ، دخلت طور الشباب ، وفيه تملك ناصية اللغة ، وتتمكن من مفاتيح الفن ، وتسيطر على ادوات البناء الفني ، وتنطلق في الحياة طولا وعرضا وعمقا ، تلتقط الجواهر ، وترود المجهول ، وتكشف المخبوء ، وتملك أن تبعث الماضي ، وتستجيب للحاضر، وترنوا الى المستقبل ، وان تستمد مادتها حتى من اصغر الاشياء واكثرها شيوعا وابخلها بالمعاني . واذا كان الشباب حيوية ونشاطا واقبالا على الحياة بنهم وتعطش ، فالشاعرية الشابة تملأ سمع الدنيا وبصرها بروائعها ومفاتنها ، وتهيم بجمال الحياة والطبيعة ، تشتق منه اناشيدها واهازيجها ، وتنشر على الناس ما خفي من ذخائره المكنونة ، وعوالمه الغامضة . وانجح الشعراء من استمر شباب شاعريته الى النهاية ، وذلك راجع الى طبيعة احساس الشاعر بالحياة ، واسلوب نظرته اليها ، ومدى قدرته على مواصلة الاتصال بوقائعها وماجرياتها والى مبلغ موهبته من العمق والقوة والنضج ، فما دام يتذوق الحياة ويتعشقها ، ويقبل عليها متفتحا لها ، يرى فيها كل يوم جديدا ، وتأخذه اصداؤها من كل جانب، فينفعل بها ويستنطقها ويتجاوب معا ، وما دامت موهبته الفنية متألقة سوية طامحة الى المثل الاعلى ، تسير دون وهن أو اضطراب ، تتلقى المؤثرات الخارجية تلقي المرآة لاشعة النور ، الا وكانت شاعرية الشاعر محتفظة بشبابها بكل قوته وحرارته، حتى ولو أصبح هذا الشاعر شيخا أحنت ظهره الايام ، اذ هناك منطقة فينا قد تقاوم الزمن ، محتفظة بفعاليتها دائما ، وهي منطقة الشعور ، الشعور الذي قد يجعل الشاب شيخا ، والشيخ شابا ، لانه يحمل التهافت والضعف وعدم الثقة ، أو لانه يحمل الامل والتحدي والصمود أمام الاحداث ، فاذا شاخت الشاعرية

اصابها جمود الشيخوخة وضعف مفاصلها واضطراب خطواتها وفقدانها للثقة وشكواها من الامراض وتداعيها للسقوط . ومن اظهر امارات الشاعرية العجوز ، جمودها على القديم ، وعدم هضمها للجديد ، والتفاتها الى الوراء ، دون نظرها الى الامام ، وقناعتها بالاجترار وعجزها عن الابتكار ، واكتفاؤها من الفن بميسوره واقربه الى التناول ، دون اقتحام طرقه الصعبة ، وولوج ابوابه الضيقة ، ومعالجة اقفاله العسيرة . وعندما تشيخ الشاعرية يصبح انتاجها يدور حول نفسه لانها تعيش على أمجاد الماضي ، وتدور في فلكه ، وتتخذ من ذكرياته الجميلة وسيلة تدفئة ، في شتائها البارد .

وتطور الشاعرية لابد ان يخضع لعوامل ومؤثرات شأن كل تطور آخر ، اذ انه نتيجة ظروف ودوافع خاصة ، ينبغي لنا أن نقف عندها لنقول فيها كلمة . وأول ما ينبغي ان نبدأ به ، هو شرح كلمة (تطور) بالمعنى الذي نقصده في هذا الصدد ، ذلك أن فهم الكلمة بمعناها الدقيق ، سيتيح لنا أن نتفاهم دون لبس أو غموض ، وسيتيح لنا ان نلتقي في كثير مما يلي من نقط هذا الحديث

فليس تطور الشاعرية هو ان يملأ الشاعر عددا كبيرا من الصفحات ، وان يطلع علىّ الناس بديوان أو عدة دواوين ، فقد يتاح له ذلك ، دون أن يتقدم قيد انملة ، ولا أن تحقق شاعريته اي تطور ، بينما قد يوجد شاعر آخر ليس له (ديوان) وانما له بضع كلمات جميلة حية ، يستطيع أن يتربع على القمة ، وان يدل على شاعرية ممتازة . فالعبرة ليست بالكم ، وانما بالكيف ، كما ان العبرة ليست بعدد السنوات التي عاشها الانسان ، بل بما قد يكون لحياته من عمق وأبعاد وأهداف . فرب شخص ترجح سنة واحدة من حياته ، عدة سنوات من حياة شخص ثان . ورب كلمة يخطها شاعر ، تزري بديوان كامل من شعر آخر ضعيف الموهبة .

وليس تطور الشاعرية هو محاولة الشاعر طرق كل ابواب الشعر الغنائي من مديح وهجاء ورثاء وما الى ذلك ، فميزان الشعر اليوم دقيق الحس ، يزن بالميليجرام لا بالكيلو ، انه ميزان ذهب ... لقد مر ذلك الوقت الذي كان فيه الشعراء يتفاخرون بعدد الاغراض الشعرية التي عالجوها ، واصبح الشاعر اليوم مطالبا بصدق التجربة وحسن الاداء قبل كل شيء .

وليس تطور الشاعرية هو ان يكون الشاعر طويل النفس ، قادرا على أن يقول القصيدة ذات الخمسين بيتا أو اكثر ، فربما بلغت القصيدة هذا العدد ، وأكثر مقاطعها وابياتها حشو أو تكرار أو ثرثرة لا تنطوي على شيء . ورب شاعر لا (يردف اعجازا وينوء بكلكل) كليل مرىء القيس ، وانما يدغدغ ويداعب في مثل رشاقة الطيف الجميل ، ودون ضوضاء ولا اسهاب ، ومع ذلك يتيح لنا متعة ، ويقدم الينا فنا رفيعا يأخذ بالالباب .

وليس تطور الشاعرية هو أن يتمكن الشاعر من القدرة على ارتجال الشعر وارساله دون اعداد . فالشعر فن ، والفن له قيود وقواعد وشكليات ، تحتاج الى طول اناة ، وضبط في الخطوات واكثر ما ارتجل من الشعر ، جاء ضعيف الاسلوب ، سخيف المعنى ضئيل الاثر .

واذن فما معنى تطور الشاعرية ؟

هو تحول الملكة الشاعرة نفسها ، بمجموع ما يندرج تحتها من ذوق وعاطفة وخيال وفكر ، فالذوق يزداد صقلا وتهذيبا ، والعاطفة اتساعا وشمولا وقوة ، والخيال قدرة على التحليق ، والتقاط ما تشابه من من مظاهر الاشياء وما تعارض منها لخلق شيء جديد ، والفكر عمقا وادراكا لقضايا الانسان العليا ومشاكله العامة ، وهذا التطور لا يجدي شيئا ما لم يصاحبه تطور في طريقة استخدام الشاعر للاداة اللغوية ، والصور الفنية ، سالكا بها سبل الطرافة والابداع ، اذ أن الشاعرية ذات وجهين : وجه داخلي يتعلق بالقوى الشاعرة والمفكرة ، ووجه خارجي شكلي يتعلق بالاسلوب وطريقة الاداء ، ولا يكون تطور خالق مبدع في الشاعرية ما لم يشمل هذين الوجهين معا . فاذا شمل احدهما دون الآخر ، لم يكن هناك تكافؤ بين الشكل والمضمون، مع ما بينهما من تجاوب وتآزر ، يعبان العمل الشعري وجوده المتكامل . فاذا شاء الشاعر أن يعرف هل هو يتطور اولا ، يلقي على نفسه هذه الاسئلة : ما هو الخط الذي سار فيه وعيي بقضايا الانسان ؟ ما هي المسافة التي بين تجاربي في الاعمال الماضية واعمالي الحاضرة ؟ هل تاخذ هذه التجارب في القوة والعمق عن طريق التدرج ؟ ثم ما مدى التغير الذي طرا على اشكالي وقوالبي الفنية ؟ هل هي آخذة في التبلور واستكمال اسباب النضج ؟ وما الى ذلك من الاسئلة . وكل شاعر واع برسالته ، وخطورة فنه ، وقيمة الدور الذي خلق ليقوم به في الحياة ، لابد أن يلقي على نفسه هذه الاسئلة وأمثالها ، فيقوم بعملية النقد الذاتي الذي يمكنه من لمس حسناته وسيئاته ، ونواحي قوته ونواحي ضعفه ، فالشعر لا يقل تصميما وهندسة عن الفنون

الجميلة الاخرى ، الامر الذي يحتم على الشاعر ان ينظم خطواته في الميدان الفني ، غير تائه في متاهة لا يعرف له فيها راسا من قدم .

وتطور الشاعرية يخضع لعدة عوامل ، منها ما قد تحمله الشاعرية نفسها في تضاعيفها وطبيعتها ، من قدرة على البقاء ، واستعداد للتطور ، فهي تستند الى طبع قوي ، يساعدها على ان تتلقى المؤثرات الخارجية لتستفيد منها ، وتجد فيها اسباب قوتها وتفتحها وتدرجها في طريق النمو . ويكون لها من دقة الحساسية ما تقدر به على استمداد عناصر تكاملها من كل ما يحيط بها ، حتى ولو كان ما حولها يعاكسها ، ويسد امامها طريق التطور ، بل ربما زادها التحدي صلابة واستماتة من اجل الدفاع عن وجودها واثبات حقها في ان تعيش ، لتحقق اهدافها التي خلقت من اجلها . هي حينئذ كالجسم المتين المنيع ، المحصن ضد كثير من الامراض ، فيما تحالفت عليه ، يملك القدرة على المقاومة والصمود . وكثيرا ما تحمل الشاعرية اسباب ضعفها وانحلالها ، متى اعوزها الطبع القوي، والموهبة الخلاقة وفي هذه الحالة لا تستطيع ان تتطور نحو النضج النفسي والفني ، ولو كانت الظروف من حولها مواتية ، تمهد لها السبيل ، وتحيطها بعوامل النجاح ، فالامر اذن يتعلق قبل كل شيء بشخصية الشاعر الفنية ، هذه التي توحي اليه بالتطور والاندفاع الى الامام ، او تفشل به فتعود به الى الوراء .

ومنها ما يرجع الى طبيعة اللغة التي يستخدمها الشاعر في قول الشعر ، فاللغات تختلف في قابلياتها وارصدتها وطواعيتها ومرونتها ، وتختلف في مدى قدرتها على التعبير عما في نفس الانسان من مشاعر واحساسات . فهناك اللغة المترفة ، لانها تحمل ارثا نفيسا عبر القرون والاجيال ، ولانها بطبعها موسيقية ، جميلة الايقاع ، غنية بالمعاني ، واسعة الدلالة ، قادرة على الايحاء ، طافحة بالصور والظلال والاشارات والرموز . وهناك اللغة المفتقرة الى هذه الامور ، تضيق عن حمولة الشاعر من العواطف والرؤى والاحلام ، من حيث تتسع لها الاولى ، بل تزيد على ذلك بأن توحي اليه ، عن طريق اصواتها العذبة ، ومعطياتها من الصور والظلال . لهذا نرى كثيرين من الشعراء يتركون لغتهم القومية عند قولهم للشعر ، ويستخدمون لغة اجنبية ، لانها تفي بحاجتهم للتعبير عما عندهم من الوان الحس والشعور . وكلنا يعلم ان العرب الجاهليين كانوا يعتمدون لهجة قريش كلغة ادبية وشعرية ، وذلك لاسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، ولسبب فني ايضا ، وهو انها كانت نقية خالصة من جميع العيوب الموجودة في اللهجات الاخرى ، حتى أن الله تعالى اختارها كلغة للوحي . ولنستمع الى الاستاذ العقاد رحمه الله يقول عن العربية في كتابه (اللغة الشاعرة) (اللغة الشاعرة هي اللغة العربية ، وليس في اللغات التي نعرفها أو نعرف شيئا كافيا عن أدبها ، لغة واحدة توصف بانها لغة شاعرة غير لغة الضاد ، أو لغة الاعراب ، او اللغة العربية ، وتقدم اننا لا نعني باللغة الشاعرة ما يوصف احيانا باللغة الشعرية ، فان الكلمة قد تكون شعرية صالحة للنظم في موقعها من السمع ، ولكنها لا تكون مع ذلك جارية مجرى الشعر في نشأتها ووزنها واشتقاقها ، بل تكون كانها الطعام الذي يصلح لتركيب البنية ولكنه هو في ذاته ليس بالبنية الحية وليس باللحم والدم الذي تتركب منه اجسام الاحياء) ومضى الاستاذ العقاد بما عهد فيه من دقة واستقصاء، يدل على شاعرية العربية ، في الحروف والمفردات والاعراب والعروض والمجاز وما الى ذلك .

ومن عوامل تطور الشاعرية ، تمكن الشاعر من اللغة التي يقول بها الشعر ، والمامه بقواعدها، واصول كلماتها ، وأنواع اشتقاقها ، وضروب صيغها واوزانها، ومادتها كما هي مستعملة عند كبار أدبائها وارباب القلم فيها ، فهذا التوسع في دراسة اللغة ، والوقوف على اسرار بلاغتها ، مما يساعد الشاعرية على التطور، لانه يفتح امامها مجالا واسعا ، ويتيح لها فرصا كثيرة للنهوض ، حيث لا يكون الشاعر مضيقا عليه في طرق الاداء ، واساليب البيان ، وانما يطلق لشاعريته العنان ، لترتع في مرتع خصب ، من القوالب الفنية ، والاشكال الادبية ، وضروب التعبير المختلفة ، لا يحد انطلاقتها عائق من قصور او عجز ، في استخدام شتى الوان الاسلوب البياني . وبالعكس من ذلك اذا كان الشاعر ضئيل العلم باحوال اللغة واسرارها ، فان شاعريته لا يكون امامها مجال واسع للاختيار ، بين انواع الاساليب ، والوان التعبير ، اذ هي مقيدة بالحدود التي فرضها الشاعر عليها ، وهي حدود علمه القاصر باللغة ، وما اكثر ما تعد القصور اللغوي عن النهوض بعبء المواهب الشعرية ، والاستجابة لمتطلباتها ، فحكم عليها بالانزواء والضعف والتلاشي . وما اكثر ما نقرا لشاعر فنجد موهبته اقوى من وسائله ، فهو يحاول أن يقول شيئا جميلا ، ولكنه لا يستطيع أن يصوغه في قالب يكون كفاء له ، فتختنق معانيه وخواطره تحت ضغط قيود ثقيلة ، قيود القصور اللغوي .

وتطور الشاعرية لا يختص بالشكل فقط ، بل هو يشمل الشكل والمضمون معا ، فالشاعرية ــ كما سبق ان قلت ــ لها جانبها الحسي الشكلي ، المتمثل في الاساليب والصور الفنية ، ولها جانبها المستوى الباطني المتمثل في القضايا الانسانية، والمعاني الكلية، والمشاعر الخاصة ، وهذا الجانب أيضا قد يبقى جامدا ، او عائدا التقهقرى ، وقد يكون متطورا مسايرا لاحداث العصر وازماته النفسية ، ومشاكله السياسية والاجتماعية والبشرية . ومن هنا كان وعي الشاعر بمشاكل الانسان وقضاياه ، من اقوى العوامل تأثيرا في تطور شاعريته ، وانطوائها على شيء لا يقتصر على الامتاع والايناس ، ولكن يتجاوز ذلك ليكون صدى للعصر ، وانعكاسا شعريا لموقف انسان معين ، يعيش في بيئة معينة ، لها ظروفها ومشاكلها الخاصة ، ومن ثم كانت الفلسفة متصلة بالشعر ، وعونا للشاعر على ادراك الحياة في مجالها الواسع ، وآفاقها الرحيبة ، وكذا الاحاطة بالدوافع التي تحركها ، وتساهم في خلق اوضاعها ، وتشكيل ملابساتها ، وتوجيه أحداثها .

وربما كان تطور الشاعرية في المواقف التي تعبر عنها ، ذا اثر في مظهرها الشكلي ، فالشعراء الشعبيون الذين يتخذون العامية اداة للتعبير ، يتذرعون بكونهم يعبرون عن قضايا الشعب ، ويخاطبونه باللغة التي يفهمها . وانصار ما يسمى بالشعر الحر ، يبررون ثورتهم على الاوزان التقليدية بان وظيفة الشعر لم تعد هي التطريب ، وانما الهمس ، ولا الخطابة ، وانما التعبير عن حالة انسانية دون ضوضاء ، وقس على ذلك .

ووعي الشاعر بقضايا العصر وازماته ، لا يدفع بالشاعرية نحو التطور ، ما لم يكن ــ اي الوعي ــ مقترنا بصدق الاستجابة وقوتها وعمقها ، بحيث لا يطرح الشاعر امامنا قضية من قضايا الانسان ، الا بعد أن يكون قد وعاها ، وانفعل بها ، وتفاعل معها ، حتى لكانها قضيته الخاصة ، النابعة من صميم كيانه النفسي. فاذا هو اقتصر على ان عرضها علينا جافة باردة ، لم تمر من خلال نفس شاعرة ، لم يكن هناك فرق بينها وهي في احضان الشعر، وبينها وهي في اعمدة الصحف، أو بطون الكتب . خذ لذلك ــ مثلا ــ كارثة اكادير ، فانا لم يعشها ، ولم يتناقل اخبارها المؤلمة ؟ ولو جاء شاعر ليعرض علينا قضية المأساة ، دون ان يكون قد انفعل بها حقا ، وتبلور انفعاله في عمله الفني ، لم يكن لعرضه اية مزية ، ما دامت المأساة شائعة بين الناس، وكذا قل بالنسبة لكارثة فلسطين، وقضية الميز العنصري وقضية خطر الآلية على شخصية الانسان ، الى غير ذلك من القضايا العامة . ولابد أن يكون الانفعال قويا عميقا ينفذ الى قلب القضية ، ولا يكتفي منها بالسطح . فكل الناس في الحقيقة ينفعلون بما يحيطهم من احداث ، ولكن الشاعر يمتاز عنهم بكونه يعيش هذه الاحداث في اعماقها ، وينفذ منها الى دنيا من التأملات .

ومن عوامل تطور الشاعرية ، البيئة المحلية ، متى كانت راقية مهذبة تقدر الفن واهله ، وتقدم للفنانين الناشئين ما يساعدهم على تنمية مواهبهم وملكاتهم ، من رسامين ونحاتين وموسيقيين وكتاب ، وشعراء ، وذلك بما تهيئه من وسائل التثقيف ، وطرق التربية الفنية ، وما تستقبل به انتاجهم الجميل من عناية واهتمام ، بمدارسته ، ونقده ، وجعله موضوع الندوات والاحاديث ، ومحط اهتمام الصحافة والاذاعة ، وما تمده من وسائل النشر ، حتى لا يجد الشاعر والفنان عامة ، مشكلة عويصة في عرض انتاجه على الناس ، كالمطابع ودور النشر ، والصحف والمجلات التي تفي بحاجيات الطاقة الفنية والشعرية ، وتنهض باعبائها . ولكن عمل البيئة هذا يتوقف على وجود المواهب الفردية التي تقوى على الاستفادة من البيئة المشجعة ، لانها ــ اي المواهب ــ هي أساس كل تقدم فني او شعري ، حتى لنجد الموهوبين الكبار، والنوابغ الاقوياء، يتغلبون على البيئة العائقة ، ويشقون طريقهم وسط صخور واشواك .

وتطور الشاعرية لا يسير دائما في خط مستقيم ، متجها الى غايته البعيدة بخطوات ثابتة متزنة ، فكثيرا ما نرى الشاعرية التي تصيبها نكسة في تطورها ، ولكنها لا تلبث أن تعيد سيرتها الاولى ، وتشق طريقها من جديد . الست تجد احيانا ذلك الشاعر الذي يفتن الناس باحدى روائعه ، ثم بعد ذلك يطلع عليهم بعمل آخر ، يجعلهم يغيرون رأيهم فيه ، فاذا به يفاجئهم برائعة اخرى تكذب ظنونهم ، وتجعل الشاعر أملا كبيرا من آمال الوسط الادبي ؟ فالنكسة شيء يعترض كثيرا من اهل الفن ، ذلك أن هؤلاء هم قبل كل شيء ، بشر يخطئون ويصيبون ، ويستقيمون وينحرفون ، ولهم ظروفهم النفسية والاجتماعية التي تهيء لهم الجو المناسب للابداع تارة ، وتحجبه عنهم تارة أخرى . فالشاعرية لها لحظات توهج واشراق ، ولحظات كسوف وانطفاء ، حسب تقلب المزاج الفردي ، واختلاف المؤثرات الخارجية ، وما يكون لها من صدى في نفس الشاعر .

ومما يساعد الشاعرية على التطور ، تلقيحها بشاعرية اخرى من مستواها او من مستوى اعلى منها، كأن تستمد منها القالب الفني ، او الاتجاه الشعرى ، او المنحى الفلسفي ، أو ما الى ذلك ، بحيث تمتص منها العناصر الصالحة لنموها واستكمال اسس طبيعتها الفنية . فنحن نجد ــ مثلا ــ الفلسفة العلائية ترجع فى اصولها الى شاعرية المتنبي ، وشاعرية ابي نواس استمدت من شاعرية والبة بن الحباب ، وشاعرية البحتري اخذت من شاعرية أبي تمام . وكان زهير زعيم مدرسة شعرية ، ينضوي تحتها الكثيرون وهلم جرا . والتلاقح بين الملكات الشاعرة ظاهرة طبيعية توجد فى جميع العصور والبيئات الادبية ، نظرا لما بينها ــ أي الملكات ــ من اواصر القرابة الفنية ، ولكون الاحتكاك الحاصل بينها ، هو الذي يميط اللثام عن الاسرار الكامنة فيها ، والتلاقح لا يلغي الاصالة ، بل هو قد يؤكدها ويبرزها ، متى كان الطرفان المتلقي والمرسل متقاربين فى المواهب . فابو العلاء وابو نواس والبحتري وغيرهم ، لم يحل التأثر بينهم وبين الاصالة ، بل ساعدها على الظهور .

ولا تنحصر عوامل تطور الشاعرية فيما ذكرت، فهناك الاستفادة من معطيات الفنون الجميلة الاخرى كالرسم والموسيقى ، وهناك التجارب التي يمر بها الشاعر فى الحياة ، وما ينشأ عنها من ضخامة الرصيد النفسي والفكري ، وهناك مجموع المعارف التي قد يحصل الشاعر عليها ، كل هذه العوامل تؤثر فى تطور الشاعرية وتبقى بعض العوامل التى لا نستطيع وضع أصابعنا عليها ، لانها أشد خفاء ، وامعن فى الغموض من غيرها وهي العوامل المتصلة بأسرار الحياة النفسية للشاعر، وملابسات استجابته الخاصة لظروف الحياة ، فنحن نستشعرها ظنا وتخمينا ، ولا ندركها علما ويقينا .

وهنا اجدني امام ظاهرة متمردة على سنة التطور، التي تسير الشاعرية على مقتضاها ، وهي ظاهرة النبوغ ، النبوغ المفاجىء الذي لم تسبقه مراحل تدريجية وانما ينبثق دون انتظار ولا توقع . فكم من كتاب وشعراء وفنانين ، ظهروا اول ما ظهروا اقوياء ناضجين ، ينافسون أولئك الذين تقادم بهم العهد ، وهم فى الميدان، وجاءت اعمالهم على مستويات متفاوتة ، متدرجة من حسن الى أحسن ، بل ربما فاتوا بعضهم ، فاجهده ان يلحق بهم ، ويسير بخطواتهم الواسعة . فالطبيعة قد ركبت فى نفوس بعض الناس ، اجهزة قوية فعالة ، تمكنهم من اختصار المسافات الطويلة فى خطوة ، واختزال المراحل المتعددة فى جولة ، وهؤلاء هم نبغاء الانسانية الذين يحيرون قواعد العالم النفساني ، ويربكون مقاييس الناقد الفني ، ويهزأون بتقنينات المؤرخ الادبي .

ومع تمرد الشاعرية النابغة على سنن التطور ، فهي لا تستغني عن المزيد من الصقل والتهذيب ، ذلك انها مهما تبلغ من النضج والقوة ، لا يتحقق فيها المثل الاعلى ، فلابد أن تبقى بينها وبينه ، مسافة تقصر او تطول ، وهي تتحدى القوى الشاعرة فتناضل من اجل اجتيازها والتقرب من المثل الاعلى ، الذي هو امنية كل شاعر طموح ، وكل فنان مومن برسالته . وما دامت الشاعرية النابغة قابلة للتهذيب من اجل التقرب من المثل الاعلى ، كان معنى ذلك انها اذا خالفت سنن التطور ــ او بعضا منها ــ فهي لا تستغني عن التطور نفسه . فالشاعر النابغة فى حاجة دائما الى ان يأخذ شاعريته بما يزيدها اشراقا ونضجا ، حتى تهب احسن ما عندها .

واذا كانت الشاعرية متطورة من الوجوه التي ذكرناها ، فهي مستقرة من وجهة اخرى . ذلك انها ــ اي الشاعرية ــ متصلة اتصالا متينا بالطبيعة النفسية ، التي فطر الشاعر عليها ، ولا يستطيع استئصالها ، لتحل محلها طبيعة اخرى ، فهو سجينها ومقيد بها ، ينطلق فى طول الحياة وعرضها ، ويرقى فى سلم الحياة الفنية ما يرقى ، فلابد ان تصحبه فى كل اتجاهاته وتطوراته ، تتبع شعر أبي الطيب المتنبي من المحاولات الاولية الى القصائد الرائعة، فستجد شاعرية الشاعر ترجع الى الطبع الجارف العنيف ، الذي فطر عليه ، والمتمثل فى كل ما صدر عنه . ودونك شعر عمر ابن أبي ربيعة ، تقف عنده لتتأمل الاصول النفسية التي ينبثق عنها دائما ، رغم تطور شاعرية عمر ، واخذها بأسباب النضج ، وهكذا دواليك .

قد يعترض احد بان ابا العتاهية ــ مثلا ــ كان فى القسم الاول من حياته الفنية يشارك الشعراء الاخرين حياة اللهو والمرح ، ثم طرأ عليه تحول فى القسم الثاني منها ، فتزهد وغير اتجاهه الشعري . ولكن هل هذا تغير فى الطبع ، أو مجرد تغير فى الاتجاه الفني ؟ وهل الطبع الاصيل عند الشاعر هو الميل الى المرح واللهو ، او هو الميل الى الزهد والتبتل ؟ وهل هناك فى القسم الاول من حياته الفنية بذور وارهاصات للقسم الثاني منها ؟ اسئلة لابد للمعترض ان يجد لها اجوبة يصح الاطمئنان اليها ، قبل أن يمضي فى اعتراضه . ولولا هذا الجانب المستقر من الشاعرية ، لما كان هناك معنى

لتساؤلنا : ما هي الطبيعة الفنية لشاعر ما ؟ كيف يرى الحياة والاشياء ؟ هل هو متشائم أو متفائل ؟ الخ ولولاه لما استطعنا أن نضع الشعراء في مدارس ، فهذا من المدرسة الرمزية ، وذاك من المدرسة الرومانتيكية ، وآخر من المدرسة الكلاسيكية ، ولما كان للشاعر اتجاه يعرف به ، اذ ما يلبث متقلبا متغيرا ، تارة تجده في هذا الاتجاه ، وتارة في ذاك ، لا تستطيع أن تنسبه الى طراز خاص من الشعراء ، لانه ينتسب الى كل طراز ، وهذه هي الفوضى التي يقي الشاعر شرها ما في شاعريته من عنصر الاستقرار والثبات ، الى جانب عنصر التبدل والتغير . وانجح الشعراء من استطاع أن يقيم نوعا من التوازن بين العنصرين ، فاذا غلب أحدهما على الآخر ، كان ذلك نقصا في الشاعرية ، كأن يميل الشاعر الى الاستقرار المفضي الى الجمود ، أو ما هو بالجمود أشبه ، أو ان يخرج بالتطور عن معناه الاصيل، فيأخذ في التنطع والقفز ، دون أن يركن الى اتجاه يسير فيه ، ويتخذ منه منطلقه الى شتى الآفاق .

فاس : **عبد العلي الوزاني**



دِيوان المجلّة



مسرات الحياة اتتك عيدا　　وحفت عرشك الابقى سعودا

وعهدك افعمت ابدا سلاما　　وامنا خالدا ، ورخا اكيدا

وعهدك للبلاد ربيع عمر　　فما ذار له نشر البرودا

وما توجت في ءاذار عفوا　　ولكن الديان رءاك عيدا

رءاك لذي الحياة اجل معنى　　فحبب للحياة بك الوجودا

وللدنيا ربيعا طاب مغنى　　وراق مباهجا وزكا ورودا

فاطفى من بها الايام عطرا　　على اقداس عرشك لن يحيدا

واولاك المحامد خالدات　　وبوا ملكك المجد الوطيدا

* * *

وكنت بما حباك من المزايا　　لكل المكرمات منى وعيدا

فعيدك للزمان شعار امن　　وبشرى ما يزال بها سعيدا

وللاوطان رمز سوف يبقى　　على مر العصور هدى رشيدا

وللاسلام في شرق وغرب　　امان قد رءاها له رصيدا

بك الدنيا زهت ، وبك الليالي　　تتيه وتشتهيك لها مريدا

يمر الدهر والايام تترى　　وما تنفك للاعياد عيدا

ولا عجب ففي مغزاك سحر　　يعيد الاشيب الاضوى وليدا

اليس بذكرك العطر المندى　　تغنى الشعب واحتضن البنودا

وردد في علا ذكراك لحنا　　له الاطيار رجعت النشيدا

* * *

رأيتك للعظائم مشرئبا　　ولست لغيرها ابدا مريدا

كأنك والعظائم في سباق　　ملكت زمامه وسموت جودا

وعاهدت المحامد ، تفتديها　　فصنت لها الحمى ورعيت صيدا

فمالك ، في مجال ، من نظير　　وكنت في كل ما تاتي جديدا

سننت لكل ميدان حدودا　　بها الناس اقتدوا وسموا نجودا

ابيت لذي الديار غوي حكم　　وطغيان الرشا ، وهوى عنيدا

فاوليت البلاد جميل عطف　　وفاها العيث والعبث المبيدا

وسست شؤونها بسديد راي   وبالدستور صنت لها الوجودا
وانت لكل ما يحيينا ترمي   وتسعى للبنا السعي الحميدا
فاممت التجارة كي تزكي   طريق المال منها والتليدا
وعبات الشباب لخوض حرب   تطهر ارضنا ، فمشى رشيدا
وفي « زيز » يفجر مشمخرا   ينابيع الحياة ويحيي بيدا

* * *

لعمر ابيك ما حسن مدحنا   ولكن العظائم والخلودا
وهل عرف الزمان له شبيها   يطاوله المشاهد والحشودا
حشدت الشعب ، لا للحرب ، لكن   لتبني الشاهقات او السدودا
لترفع للبلاد منار علم   وعمرانا ، ومجدا لن يبيدا
تعبيء دونما كلل سرايا   تزودها النصائح والجهودا
وما تنفك تبتدر الليالي   وترهقها جلادا او صمودا
وقد عجمتك ،امادا فالفت   يقينا منك ، اصلب منها عودا
وما كانت لتقعدك الرزايا   ولكن تلقى منك لها جحودا

* * *

« اكادير » اعيد لها رواها   وارغمت الزلازل ان تؤودا
اعدت جحيمها نعمى ، فاضحى   اوار القيظ ظلا او جليدا
اردت لها النجاء ، وانت امن   فشدت لأهلها الحصن المشيدا

* * *

« وارض الغرب » نشوى قد تهادت   بما اوليت تحتضن السعودا
افضت على روابيها العطايا   واغدقت (الـهول) جهدا حميدا
وانت الغيث يهطل ليس يؤذي   قضيت لاهلها العيش الرغيدا
فشيدت المعاقل والمباني   واجزلت العطا وافضت جودا

* * *

« وزيز » الظامىء العطشان روى   بفضل يديك صحراء وبيدا
نزلت نطوطه القورا ففاضت   بها النعما ، واغدقت النجودا
فصففت الايادي والحنايا   تبارك للنخيل جنى مديدا
وانت الخير والبركات تنمو   وتغمر ماحنا املا سعيدا

* * *

اصحرائي لئن قضينا دهرا   نعاني بالظما ، موتا وئيدا
ويقتلنا الطوى عاما فعاما   ويدمي منا احناء وعودا
وتدهمنا الفواجع والماسي   ونوشك من بلاها ان نبيدا

وتبتسم الحياة لما نقاسي … ويكلح وجهها كلحا شديدا
فانا اليوم، بالحسن المفدى … سنهصر من جنى الكرم الورودا
وترامتنا الخمائل والمغاني … ويحبونا النخيل غنى جديدا
وتعبق بالطيور دنى الروابي … ويشدو الطير انشادا فريدا
ونشرب من حميا الترب كأسا … نعاودها سلافا بل مهيدا (1)
ونرقص رقصة الكثبان روى … ظماها « زيز » صهباء برودا
وننشد بالمزاهر والمثاني … اغاريد السعادة او قصيدا
وننعم بالرخاء، فلا شقاء … ولا جدب يهددنا وعيدا
ولا الصحراء صحراء ولكن … مباهج روضة حفلت ورودا
وزركشها النخيل فما تراها … - وقد حفت به - الا جريدا

* * *

اصحرائي لتهنئك الاماني … فقد اخصبت اخصابا سعيدا
وما « السد المشيد » غير بشرى … لها « زيز » جرى ثائرا شهيدا
رايت مليكك الانسي حفيا … بما نرجو - ربوعك - ان يسودا
وما ينفك يزجيك العطايا … ويغمر ربعك الامل الوليدا

* * *

لقد الى، وآليته قضاء … بان تروى الصحاري او يبيدا
وان تحمى المآثر والبرايا … ويغدق اهلها الذهب النضيدا
وسد « الزيز » اضحى له شعارا … وءاملا وتهياما فريدا
يهيب بشعبه، والامر جد … ويرجوه التمادي والصمودا
فهب الشعب سباقا يلبي … لما يدعوه منصاعا حديدا
يسير وراءه دينا ودنيا … يبادله المواثق والعهودا
ولبى والعزائم مرهفات … مليء النفس ايمانا وطيدا
يؤكد مخلصا ان سوف يمضي … لتحقيق المطامح لن يؤودا
ويخضع بالسواعد كل صعب … ويبني « السد » او يقضي شهيدا
سيبنى « السد » يا حسن وانا … لما خططت نحذو، لن نحيدا
فهديك نقتفي، ورضاك نرجو … وربك، قد اقمنا بذا شهيدا

فاس - عبد الكريم التواتي

---

1) المهيد : الزبد الخالص.



للشاعر محمد بن محمد العلمي

تضيق به الدنيا فيحسبها قبرا ... ويطعمها تمرا فتطعمه جمرا
ويحرق انفاسا تبخر قلبه ... بها ، فيصير الكون ممتلئا عطرا
ويفهم ءامال الورى وهمومهم ... فيبدعها لحنا ، وينشدها شعرا
وكم ذاب في هذي الحياة بروحه ... فتضحكه لحظا ، فيرثي لها دهرا
ويبكي دموعا لا يغيض معينها ... فينشرها زهرا ، وينظمها درا
وكم عاش في احلامه ، متعبدا ... وكم بات بالاهات يحتضن الذكرى
وكم ظل في ءافاقه متقيدا ... لينظر هذا الكون مبتهجا حرا
وما الشاعر الموهوب الا كرحمة ... تطاردها الدنيا اذا امتلأت شرا
تجاربه ءاماله وحظوظه ، ... وتكسبه ءالامه الخير والبشرى
لقد عرف الدنيا وملّ شؤونها ... واصبح بالداء الذي مسنا ادرى
وكان خبيرا بالحياة وفنها ... يناشدها شعرا ، فتمنحه فخرا
يجود علينا بالقريض تكرما ... وقد صار بالتكريم من بيننا احرى
وفي برجه العاجي صلى فؤاده ... صلاة تصير الروح من خمرها سكرى
وفي سكرة الشعر المنسق يقظة ... تربنا بان النفس في امرها حيرى
وللشاعر المغبون كأس عجيبة ... يمازجها شهدا ، فيشربها صبرا
وللشاعر الفريد نفس ابية ... يعاتبها سرا ، ويرسمها جهرا
يراقب في موج القوافي سفينه ... وقد كانت الانام تلهمه سيرا
ويصبح كالموج المهدهد روحه ، ... وفي الروح ءالام تصيرها بحرا
فطورا تراني هادئا متصبرا ... وطورا تراني هائجا اطلب الثأرا
اعيش كما شاء القضاء وليس لي ... سوى مهجة لم تلف غايتها الكبرى
ولو كان للمرء الخيار بعيشه ... لما شاهد الايام تملأه ذعرا
وارجو امانا في الحياة وليس لي ... خيار ، وقد شاء الرحيم بنا خيرا
وليس عزائي في زماني واهله ... فمعظمهم هانوا ، وقد عرفوا الغدرا
وقد خانني من كان يسكن مهجتي ... وها انا ذا لم ابق في غفلتي غرا
شعرت بما كانت تضم نفوسهم ... وقد سلمت نفسي من الضحكة الصفرا
لقد ءامنت نفسي بان معلمي ... هو الدهر ، لما زاد في همتي قدرا
وفي الله حصني ما حييت لانني ... ارى بشرا خان الامانة والسرا

الربـاط ـ محمد بن محمد العلمي

دراسات مغربية :

كيف يجب أن يكتب التاريخ ؟

للاستاذ عبدالله الجراري

اذا ما قدر لبعض القراء ان يتصفح ما كتبه المواطنون عن المغرب وتاريخه قد لاتعدو النتيجة النهائية أن يتعرف المطالع على بعض الجوانب السياسية كفتح البلد الفلاني واسر البطل الفلاني وقتل الآخر وما الى هذا من مناحي القوة والبطولة التي تتجلى بارزة في اقلام مؤرخي المغرب حتى لاتعود تسمع عدا قعقعة السيوف وعطعطة الاصوات مما يذهب بخيالك عن كتب لاستعراض المعمعة واستشراف ملاحمها الدامية ـ ناسين او متناسين (ان كان هذا) جوهر العبرة من التاريخ وكيف يجب أن تعرض وقائعه على الناشئين والطلبة وتحليل المسببات لترتب على اسبابها وتربط النتائج بالمقدمات ، وتلك نقطة الارتكاز في دراسة التاريخ الحي الذي يكون في النشء وعيا ويقظة ويخلق من المواطن رجلا صالحا يستطيع الاضطلاع بأعباء رسالته والقدرة على حمل ماينلط به من مسؤوليات عن خبرة ووعي يدعمان كل محاولاته في الحياة .

لذا يجب ان يكتب تاريخنا بما اصبح يكتب به تاريخ الامم الاخرى ولا نذهب بعيدا فهؤلاء جماعة من علماء الاستشراق كدوكاتري وليفي بروفانسال، وطراس وسواهم من الاجانب الذين حفزهم الولوع التاريخي للكتب عن تاريخنا بطريقة استكشافية توضح ما كان مكنونا في ثنايا الدفاتر ومرت على حجبه بين السطور قرونا وقرون وغدا بعضه يتجلى للعيان كنموذج يدفع اليوم مؤرخينا ليستجلوا الطريقة نفسها ويسخروا اقلامهم للكتب بهذا الروح الفلسفي المنتج مبرزين ما يمكن ان يكمن داخل الماجريات والحوادث والاندية والمجتمعات بين عاديات واجتماعيات تجلو ما غمض بين الفقر والعمومات القاريء وتساعده في نفس الوقت على استساغة المقروء وتلمس روح العظة والتأثر من بين مضامينه الفياضة التي لا تلبث تبعث لنا رجالا صالحين همهم الاكبر العمل لفائدة الامة وخدمة الشعب ، انه لنوع جدير بالعناية والاعتبار اغفله كتبة التاريخ وجرى كل من لازم ما كتبوا من مجلدات على تلك الوتيرة التي هي الى الجفاف والعقم امس منها بالخصب والانتاج.

وهذا ما يحفز الكاتب (وهو داخل في الكتلة) ليهيب بمؤرخي المغرب العربي ليتجهوا في ابحاثهم التاريخية اتجاها جديدا يكيف مجرى الاقلام تكييفا روحه التحسس والتعمق في استبطان الحوادث واستكناه حقائقها التي لاتفتأ تلقي اضواء بين يدي الطالب او المطالع على السواء فيستطيعا الوقوف بيسر على ما يمكن غموضه وصعوبة استكشافه لولا طرافة البحث وجدته ووضعه في اسلوب حي يبعث في نفس القاريء اليقظة والشوق ويربي فيه ملكة البحث والملاحظة وتسليم ما يسلم وتزييف ما عداه .

فبدراسة بيئة الشخص ومحيطه داخلا وخارجا ومعرفة أطواره من الفتاء الى الكهولة الى ما شاء الله يستطيع الكاتب المؤرخ ان يصدر حكمه النزيه عليه بعد ان يتذرع بالصدق والامانة ويؤمن بهما ايمانا روحه الاخلاص دون ان يتأثر لعاطفة او رحم او صداقة ان هي الا الحقيقة المجردة تكتب للاجيال الآتية رغبة في تنشيئها على الحق الصرف البعيد عن كل تزلف وتمويه يؤثران بتدليسهما على النشء الذي من اقدس واجباته علينا ان تلقنه الحقائق جلية سليمة من كل ملهلة وتلبيس ؛ يجب ان يكتب التاريخ للتاريخ مجردا عما يشين وقائعه البعيدة عن كل تحيز وهوية ، وما دام المؤرخ في الامة رجلها الامين ورسولها الصادق الذي

وضعت ثقتها فيه وحملته تبليغ ماجرياتها لماعة ناصعة يتلقفها الخلف من اجيال الآتي ءامنا مطمئنا ــ فواجبه الاقدس العمل جديا على الاخلاص لهذه الثقة وتلك الامانة القاليين متحملا كل اضطهاد وتأنيب في سبيلهما

يجب ان يشرح المؤرخ حالة الدولة التي يريد ان يتحدث عنها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا فاتحا ابحاثه النزيهة عنها برئيس الدولة فمن يليه من مساعدين وكتاب الى ءاخر جندي وعامل في الحكومة ، وطبعا تتصل الابحاث بباقي الامة والشعب فيجري القلم شارحا الحالة في تدقيق وتحر ينيران الطريق لكل من يهتم بتاريخ بلاده .

فعلى رجال التاريخ ان يسلكوا في بحوثهم نهج المستشرقين وطريقتهم في التصنيف والتاليف واضعين المسببات ازاء اسبابها والنتائج ازاء مقدماتها ضاربين عرض الحائط بالحواشي والاستطرادات المملة الفارغة والمشوهة وجه التاريخ والملصقة عار الخرافة والهوس بناياته الخالدة كعلم من العلوم تنبني عليه سعادة الامم او شقاؤها احيانا ان لم تعتبر

فنحن اذا انعمنا النظر فيما بين ايدينا من كتب في الفن نجده خاليا من تصوير الحالة الاجتماعية حيث لايستطيع المطالع اثر القراءة ان يخرج بفكرة نيرة حول المجتمع الذي عاش فيه الاولون سواء فيه المجتمع الضيق او الواسع فهذه الاسرة لاتكاد تعرف عن حالتها الاجتماعية لا قليلا ولا كثيرا فاذا سئل المؤرخ كيف كان الاب يجالس اهله وبنيه وكيف كان يوجه اليهم عنايته التربوية ونصائحه العامة وهل كان يدارسهم ما يتلقونه في الكتاب من دروس قرآنية ومحفوظات علمية حسب مستواهم ام كان يلقي الحبل على الغارب ، وقد عشنا نحن فترة تمت بصلة الى هذا الاهمال المسف كما انه اذا قدر لك ان توجه سؤالا لاحذقية التاريخ ومن عنوا بضبط وقائعه ــ كيف كانت تعقد مجالس التسلية واندية الفكاهة عبر التاريخ وكيف كان الشعب يتلقى هذا النوع الفولكلوري وكيف كان يجد اثره في نفسه

بل اذا عن لك ان تطلع على ازياء المتقدمين وما كان يرتديه كل من الرجل والمراة وصغارهما والغالب في اصل المنسوج هل هو الصوف او القطن او الكتان وهل كان البعض يرتدي الحرير وكيف كان ارتداء الملبوس ومقياسه هل رداء وازار ام كساء وبرنس وينضم الى نفس السؤال صفة النعال المستعملة اظن انك لا تحظى بجواب مدقق عن هذه الاسئلة التي يستصغرها البعض ويزدريها البعض الاخر وهي ما هي في التعبير عن حالة المجتمع واذواقه المختلفة باختلاف مراحل وتعاقب الامم وتباينها في العادات والتقاليد .

فالناظر بمنظار الحقيقة حول ما كتب عن تاريخ المغرب يجد ان التاريخ في مجموعه لم يكتب حتى الان مع تقديرنا لما انجز فيه من مجلدات تعد في نظر الباحث الجديد كمصادر تساعد الباحثين على الرجوع اليها والاستقاء من نصوصها الموزعة هنا وهناك ــ كالاتحاف للمرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان ــ والاعلام للمرحوم عباس بن ابراهيم المراكشي ، ومعجم الشيوخ او المدهش للمؤرخ عبد الحفيظ الفاسي وآسفي وماليه للمرحوم الولوع محمد العبدي الكانوني ، وان كنا في نفس الوقت لا نغمط ما كتب عن تاريخنا باقلام كشافة لها حظها الطيب من العناية بما يمت بسبب لما جد من بحوث في عالم التاريخ الحي وكتب على النهج الذي يصبو اليه الفكر الجديد ويرتاح له المطالع ككتاب « النبوغ المغربي » للاستاذ عبد الله كنون الذي يعد اول محاولة جديدة حرر على غرارها التاريخ المغربي ، وكتاب « الفنون والاداب في العهد الرحدي » للاستاذ الباحث محمد المنوني المكناسي ــ وتقييده الاخير « مظاهر يقظة المغرب الحديث »

وكتابي « المعسول ــ وسوس العالمة » للاستاذ المرحوم الحاج محمد المختار السوسي . وكتاب «تاريخ تطوان » للاستاذ محمد داود . وكتاب « مظاهر الحضارة » بجزايه الاول والثاني للاستاذ عبد العزيز بنعبدالله مؤرخون يعتبرهم التاريخ المعاصر من المجددين ببحوثهم وجهودهم الطيبة مما يستحقون عليه كل تقدير .

وان كنا في نفس الوقت لا نقنع بهذه المجلدات فأملنا اوسع واكبر لما وراء ذلك من مجهودات .

الرباط : عبد الله الجراري

كراسي الأساتذة بجامعة القرويين

العصر العلوي

للأستاذ محمد المنوني

- 2 -

ان اول ما يلاحظ بصدد هذا الموضوع اننا لا نعثر – في العصر العلوي – على لائحة وافية لكراسي الاساتذة، كما كان الواقع في كل من فترتي الوطاسيين والسعديين ، وتبدو هذه الظاهرة جلية بالنسبة لجامع القرويين واكثر في جامع الاندلس الذي جاءت الاشارة لكراسي الدراسة به في احدى تراجم « حوالة المساجد الصفار » «1» بفاس ، ثم لا نظفر بعد بتوضيحات جديدة في هذا الصدد .

وفي هذا العصر كان حظ المساجد الصفار احسن ، حيث تقدم نفس الحوالة ، لائحة مطولة بكراسي مساجد فاس عدا القرويين والاندلس ومسجد الشرفاء .

وهذا المسجد الاخير يعنى به مدفن الفاتح المغربي الامام ادريس الثاني ، بما في ذلك مشهده والجامع المتصل به ، وقد تضاعف – في هذا العهد وما قاربه – الاهتمام بهذا المقام بالتجديد والتوسعة بالنسبة للمشهد والمسجد معا ، ومنذ اواخر عام 1132هـ–1720م احدثت به خطبة الجمعة «2» ، وابتداء من العصر السعدي صارت تلقى به دروس متعددة «3» ، كما وقفت اوقاف على قراءة الحديث والفقه والتوحيد بالمشهد والمسجد معا «4» ، وبهذا صار هذا المقام في مقدمة مراكز التدريس بفاس في هذا العهد ، ويأتي في الترتيب بعد جامعي القرويين والاندلس ، وبهذا – ايضا – صارت مراكز التدريس بجامعة القرويين تشمل – في هذه الفترة – جامع القرويين – جامع الاندلس – جامع الاشراف – المساجد الصفار .

وبما اننا لا نزال لم نقف على تعيين كرسي او كراسي للتدريس بجامع الاندلس ، فسنسقطه – موقتا – من الحساب ، ونتناول كراسي باقي المراكز الاخرى التي سيكون ترقيمها تابعا لارقام سابقاتها في القسم الاول من هذا المقال .

جامع القرويين ،

وقد استمر به الى هذا العهد بعض الكراسي التي انشئت من قبل ، كما ظهرت به كراسي جديدة ، ونستعرض – هنا – ما وقفت عليه من هذه الكراسي الجديدة :

22 كرسي الحديث :

انشيء اول هذه الفترة عند الموضع المعروف بـ « ظهر خصة العين » شرقي هذا الجامع وحسب

«1» خ.ع – رقم 22 ، ص 237 «فيلم»

«2» «الازهار العاطرة الانفاس ..» لمحمد بن جعفر الكتاني ط.ف: 1307هـ ص 166–173 .

«3» من اساتذته الاولين : 1) ابو الحسن علي بن عيسى الراشدي التلمساني نزيل فاس والمتوفى بها آخر عام 961هـ، او اوائل الذي بعده «فهرسة المنجور» نسخة خاصة ، وهو مترجم في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 311–312 . 2) ابو عبد الله محمد بن احمد بن مجبر المساري ثم الفاسي المتوفى بها يوم الجمعة 16 محرم عام 985هـ « سلوة الانفاس » ج 3 ص 128 .

«4» « الازهار العاطرة الانفاس » ص 166–167 .

« رياض الورد » «5» ، فقد حبس على ابي الفضل احمد بن العربي ابن الحاج آتي الذكر وعلى عقبة من بعده ، وقصر الواقف عليهم النظر فى هذا الكرسي ، وفى تنفيذه حسب رغبتهم ، وهذه اسماء زمرة ممن تولى التدريس به :

ا ـ ابو الفضل احمد بن العربي بن محمد بن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى ضحوة الاربعاء فاتح ربيع الاول عام 1109هـ ـ 1697م «6» .

ب ـ ولده ابو عبد الله محمد «فتحا» المتوفى ليلة الاربعاء 16 حجة 1128هـ ـ 1717م «7» .

ج ـ حفيده وسميه ابو العباس احمد المدعو الحفيد والمتوفى صبيحة السبت 18 ربيع الثاني عام 1133هـ ـ 1721م «8» .

د ـ محمد « فتحا » بن محمد الخياط بن ابي القاسم الدكالي المشترائي المعروف قبيله بابن ابراهيم الفاسي المتوفى فى جمادى الاولى عام 1184هـ ـ 1770م «9» .

هـ ـ ابو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى عشية الاثنين 7 ربيع الثاني عام 1232هـ ـ 1817م «10» ، وقد جاء فى « رياض الورد » فى هذا الصدد : ان السلطان سليمان العلوي اسند لابي الفيض هذا تدريس علم الحديث بجامع القرويين ، وولاه هذا الكرسي ، حيث درس به الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة ، كما اقرا به التفسير ايضا ، ولحسن الحظ فاتنا ـ فى هذه المرة ـ نظفر بوصف لبعض دروس ابي الفيض التي كان يلقيها على هذا الكرسي ، وقد سجل هذا ابنه محمد الطالب فى «رياض الورد» :

وهو يذكر ان والده ثابر على تدريس صحيح البخاري اكثر من غيره ، لا سيما فى شهر رمضان ، وكان ـ فى اقرائه لهذا الكتاب ـ يأتي من التحقيق بما يشفي الغليل ، فيهتم بالكشف عن المفردات : معنى ، واشتقاقا ، وتصريفا ، وبالاعراب فى المركبات ، مع تخصيص العموم ، وتقييد الاطلاق ، وتفصيل الاجمال ، وبيان محل الخلاف والاتفاق ، واعتبار مقتضيات الاحوال ، والاقتدار على استخراج جرامع التشبيهات البيانية ، الى البراعة فى بيان الناسخ من المنسوخ ، واستنتاج الحكم فى علل الاقيسة ، يضرب بسهام صائبة فى رد شبهات اهل الاهواء والبدع لحسم مادة اعتقادهم ، ويرد الفرع الى اصله ، ويبرهن على المطالب باعتبار كل المذاهب ، ثم يبين ما به الفتوى من مذهب مالك ، ويبالغ فى البحث مع ابن حجر والعيني والقسطلاني ومن فوقهم بالقبول والرد ، هذا بعد القيام بالتعريف بالرجال ، وتمييز اللقب الواقع فى الحديث مثل الوقف والارسال ، وكثيرا ما كا ن ينتزع مضمن احاديثه من الايات القرآنية ، ويبين فى كل ترجمة اصلها من الكتاب .

وبعد هذا يذكر ان عادته فى اقراء التفسير : التحري من نقص عما يحتاج اليه فى ايضاح المعنى ، او زيادة لا تليق بالغرض ، وكان يراعي المعنى الحقيقي، والمجازي ، والتاليف ، والغرض الذي سيق الكلام له ، ويواخي بين المفردات : فيبتدي بتحقيق الالفاظ المفردة : ويتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب : فيبتدي بالاعراب ثم ما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ، ثم يبين المعنى المراد ، ثم اسباب النزول ، ثم علم الحديث والاثر ، ثم علم المناسبة ، ثم الاستنباط ثم الاشارات .. ثم لا يبقى ولا يدع من الاستدلال ضد اهل الاهواء والبدع .

و ـ ولده ابو عبد الله محمد المتوفى بعد غروب 17 شوال عام 1274هـ ـ 1858 م وقد حل فى هذا

«5» نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم د 111 ،واسمه الكامل « رياض الورد ، الى ما انتهى اليه هذا الجوهر الفرد » وضعه محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج فى التعريف بوالده ابي الفيض حمدون المذكور ، وذكر فيه افراد عائلته ، ومن تتبع تراجمه تستفاد لائحة الذين تعاقبوا على هذا الكرسي حتى عصر المؤلف .

«6» ترجمته ومراجعها فى « سلوة الانفاس » ج 1ص 153-155.

«7» ترجمته فى المصدر الاخير ج 1 ص 155-156

«8» ترجمته فى نفس المصدر ج 1 ص 156-157 .

«9» ترجمته فى « السلوة » ج2 ص 78-79 .

الكرسي محل والده بعد وفاته بتوليته من السلطان العلوي«10» مكرر .

23 : كرسي النحو :

كان موقعه بالبلاط الثاني يمين الداخل لهذا الجامع من باب الكتبيين ، ومن اساتذته :

ا ــ ابو عبد الله محمد « فتحا » بن ادريس ابن احمد المدعو حمدون الحسيني العراقي ثم الفاسي، ورد فى ترجمته «11» : انه اسند اليه تدريس النحو بهذا الكرسي ازمانا الى ان توفى فى 20 ربيع الثاني عام 1142هـ ــ 1729 م ، وفى فهرسة «12» ولده ابي العلاء الحافظ لدى استعراض مسموعاته على والده : « وسمعت عليه ــ ايضا ــ لامية الافعال لابن مالك بكرسيه بالقرويين » .

ب ــ ابو الحسن علي زين العابدين المدعو زيانا بن هشام بن عبد الرحمن الحسيني العراقي ثم الفاسي المتوفى يوم السبت 29 جمادى الاولى عام 1194هـ ــ 1780م . «13» .

قرا عليه محمد بن عبد الصادق ابن ريسون العلمي لامية الافعال لابن مالك بكرسيه المعلوم له على حد تعبير فهرسة «14» هذا الاخير ، ويترجح ان هذا الكرسي هو المتحدث عنه ، حيث انه كان مشهورا بتدريس مادة النحو به .

24 : كرسي التفسير :

وموقعه قبالة صومعة القرويين بين بابي الموثقين والشماعين ، وكان يقرىء فيه :

ا ــ ابو الفضل احمد بن الحاج سالف الذكر«15»

ب ــ ابو عبد الله محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد ابن سودة المري الفاسي المتوفى عصر يوم الخميس 29 حجة عام 1209 هـ ــ 1795 م «16» ، وكان يقرىء به بين العشاءين فى اشهر الشتاء خاصة وربما زاد عليها ، على حد تعبير الروضة المقصودة «17» .

ومن الكراسي القديمة ــ بجامع القرويين ــ التي صار لها شان فى هذا العهد ، الكرسي الواقع يسرة الداخل من باب الجنائز ، وهو المذكور فى القسم الاول من هذا المقال تحت رقم 16 ، وقد خصص اثناء هذا العصر لتدريس علم الحديث ، وممن تداول الدراسة به :

ا ــ ابو عبد الله محمد بن احمد القسنطيني الحسني المعروف بالكماد ، نزيل فاس ، والمتوفى بها غروب يوم الجمعة4 محرم عام1116هـ ــ 1704م«18»

ب ــ بعض ابناء المذكور قبله يليه حسب «الروضة المقصودة » التي لم توضح اسم المعني بالامر .

ج ــ محمد التاودي ابن سودة آنف الذكر ، بتولية من السلطان العلوي ابي الحسن علي بن السلطان مولاي اسماعيل عام 1167هـ ــ 1753 ــ 1754 م «19» .

10» ترجمته فى السلوة ج 3 ص 4ـ5 .

10»مكرر فهرسة ابي عيسى المهدي ابن سودة **نسخة** لمكتبة الاحمدية وانظر عن ترجمة صاحب هذا الكرسي السلوة ج1 ص156ـ157 .

11» جاء هذا فى «المورد الهني ..» لمحمد بن احمد الفاسي خ.ع. ضمن مجموع يحمل رقم ك 1234 ، ونقله عنه فى الدر النفيس لعبد الله الوليد العراقي : نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1119 ، وفى سلوة الانفاس ج 2 ص 28ـ29 ، حيث توجد ترجمة المذكور بمراجعها .

12» نسخة خاصة منقولة عن نسخة المكتبة الاحمدية .

13» ترجمته فى السلوة ج3 ص 114ـ115 .

14» نسخة خاصة ماخوذة عن نسخة المكتبة الاحمدية .

15» هذا ماخوذ من «رياض الورد» .

16» ترجمته ومراجعها فى السلوة ج 1 ص 112ـ115

17» نسخة خاصة ماخوذة من نسخة المكتبة الاحمدية

18» الروضة المقصودة فى باب العلوم التي درسها الشيخ التاودي ابن سودة ، وتوجد ترجمة الكماد ومراجعها فى السلوة ج 2 ص 30ـ31 .

19» «الروضة المقصودة» فى الباب الانف الذكر .

د ـ ولده ابو العباس احمد المتوفى سنة 1235هـ ـ 1819ـ1820م «20» ، قال في الروضة المقصودة «21» عن هذا الكرسي : « وهو كرسي مبارك جليل ، يعلم ذلك كل الناس جيلا بعد جيل ، فقد جلس عليه من العلماء العاملين ، والاولياء الصالحين ، ما يكل الناس عن حصرهم ، وتعجز القريحة عن عد مآثرهم وفخرهم ..»

هـ ـ حفيده ابو الفضل العباس المتوفى ليلة الجمعة 26 جمادى الاولى عام 1241هـ ـ 1826م

و ـ القاضي محمد المهدي بن محمد الطالب ابن سودة المري المتوفى عشية الخميس 4 رمضان عام 1294 هـ ـ 1877م .

استفدت تولية هذا وسابقه للتدريس بهذا الكرسي من « الانباء المنشودة في شمائل رجال بيت بني سودة » تاليف العلامة الشهير ابي عبد الله محمد العابد بن القاضي ابي العباس احمد ابن سودة ، نسخة المكتبة الاحمدية ، ج 1 ص 181 ، مع تنصيص هذا المصدر على ان هذا الكرسي هو نفس كرسي ابن غازي ، وبهذا يتسلسل امامنا اساتذة هذا الكرسي من اوائل القرن العاشر حتى اواخر القرن الثالث عشر هـ، كما سيتداخل هذا مع كرسي ابن غازي المذكور في القسم الاول رقم 4 .

انظر عن ترجمة ابي الفضل العباس ولاحقه «سلوة الانفاس» ج1ص 116ـ117 مع ص 303ـ304

جامع الاشراف :

ان حوالة الاشراف «22» تذكر وقفيات اربعة كراسي للتدريس بهذا المعهد ، وهي : كرسيان لصحيح البخاري ، وثالث للرسالة القيروانية ، ورابع للتوحيد ، والظاهر ان هذه الكراسي كان وجودها متعاقبا ، ولم تكن كلها في زمن واحد ، كما تسجل نفس الحوالة ان كرسي التوحيد كان بيد ابي عبد الله محمد القسنطيني المعروف بالكماد آنف الذكر ، والغالب ان الذي انشأ هذا الكرسي هو السلطان الرشيد العلوي ، حيث كان اوقف اوقافا على من يقرىء في الروضة الادريسية العقيدة السنوسية الصغرى «23» وتوجد ـ في هذه الحوالةايضا ـ وقفية على من يقرا الرسالة القيروانية بين العشاءين في ثلاثة اشهر الشتوة من كل عام ، وذلك بالكرسي الواقع قرب الضريح الادريسي .

وقد تعاقب على التدريس بجامع الشرفاء في هذا العهد زمرة من الاعلام ، كان منهم ابو عبد الله محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني العنبري نزيل فاس والمتوفى بها يوم الجمعة 5 جمادى الاخرة عام 1164هـ ـ 1751م «24» ؛ وكما يوخذ من « نشر المثاني » «25» فقد كان يلقي بهذا المركز الدروس التالية : وكان بعد صلاة الصبح وتوابعها يقرا تفسير القرآن العظيم ويفتتح تقرير الاية باعرابها ونقل كلام المعربين وشواهد كلام العرب ، ثم يقرر ما ورد في تفسير الآية من الحديث ، ويذكر ما تيسر من النكت البيانية ، ثم يقرا درس المختصر الخليلي : نحو ثمن الحزب او يزيد عليه وينقل شيئا من كلام الحطاب والمواق ، وفي غالب احواله يدرس بعد صلاة الظهر صحيح البخاري وبعد صلاة المغرب وتوابعها يقرا اما المرشد المعين او الرسالة القيروانية ، قال صاحب « نشر المثاني » : « وقد رايته دام على هذه الحالة لا يتزحزح عنها ساعة ، وهو امام وخطيب بجامع الشرفاء نحو اثنتي عشرة سنة آخرها سنة موته » .

«20» المصدر الاخير في باب تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة ، وانظر عن ترجمة ابي العباس ابن سودة ومراجعها « سلوة الانفاس » ج1 ص 115ـ116

«21» في باب تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة . 270 ـ 272 .

«22» خ. ع. رقم 24 «فيلم» .

«23» ورد ذكر هذه الاوقاف الرشيدية في «الازهارالعاطرة الانفاس » ص 167 .

«24» ترجمته في السلوة ج 2 ص 140 ـ 343 .

«25» ج2ص259 ـ 260 .. ثم بعد هذا وقفت في «سلوك الطريق الوارية » لمحمد الزبادي على ترجمة ابي عبد الله محمد الكبير السرغيني ، وفيها يذكر انه كان اماما خطيبا بجامع الاشراف ، ثم يقول « وكان رضي الله عنه يدرس بكرسي القبة سيدي خليل وتفسير القرآن والبخاري ، كنت احضره بعض الاحيان ..» قد لهذا على وجود هذاالكرسي قبل عهد الشيخ محمد بن الحسن بناني آتي الذكر ، والذي صار هذا الكرسي ينسب اليه ، كما اكد وجوده بداخل قبة جامع الاشراف .

ومن اساتذته - ايضا - ابو زيد عبد الرحمن ابن ادريس بن محمد المنجرة الحسني الادريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى يوم الاربعاء 5 حجة عام 1179هـ - 1766م ، تولى الامامة والخطابة والتدريس بهذا المركز عام 1164 هـ اثر وفاة السرغيني المذكور قبله ، واستمر نحو الخمسة عشر عاما ؛ وكان يجلس اول النهار بعد صلاة الصبح وتوابعها بالمشهد الادريسي لتدريس صحيح البخاري والتفسير ، ثم يجلس - حقيقا - بعد طلوع الشمس لقراءة المختصر الخليلي «26» .

اما اساتذة هذا المركز الذين تذكر لهم المصادر كرسيا ، فسنذكر طائفة منهم مع كرسيهم فيما يلي :

25 : كرسي الشيخ بناني :

وقد تولى التدريس به :

أ - ابو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الفاسي الذي اضيف له هذا الكرسي «27» والمتوفى غروب يوم الخميس الاخر من ربيع الثاني عام 1194هـ - 1680م، وكان يدرس بهذا المعهد التفسير وصحيح البخاري والمختصر الخليلي في مثل اوقات سابقه ، ثم بعد الظهر يقرأ الالفية لابن مالك وغيرها ، وبين العشاءين الرسالة وغيرها «28».

ب - ولده ابو عبد الله محمد المتوفى ثالث ربيع النبوي عام 1245هـ - 1829 م « 29» .

ج - محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج الفاسي المتوفى بعد عصر الجمعة 9 حجة عام 1273هـ - 1857م ؛ بتولية من السلطان عبد الرحمن ابن هشام «30» .

26 . كرسي الرسالة :

وموقعه يسار الداخل للمشهد الادريسي من الصحن ، ومن اساتذته :

ا - عبد القادر بن احمد بن ابي جيدة الكوهن الفاسي المتوفى بالمدينة المنورة ودفين بقيعها في صفر عام 1254هـ - 1838م «31» .

ب - محمد الطالب ابن الحاج آنف الذكر بتولية من السلطان المذكور «32» .

ج - ابو حفص عمر بن محمد الطالب ابن سودة المري الفاسي المتوفى متم ربيع الاول عام 1285هـ - 1867م بتنفيذ من السلطان عبد الرحمن بن هشام ايضا «33» .

المساجد الصفار :

كما ذكر سابقا فقد كان حظ هذه المساجد الصغار احسن ، حيث تقدم « حوالة المساجد الصغار» بفاس «34» ؛ لائحة مطولة باعيان الكراسي المبثوثة في هذه المساجد للتدريس وللوعظ ، ويبلغ مجموعها 53 ؛ وبما ان الذي يهم هذا الموضوع هو الصنف الاول، فسنقتطف من هذه اللائحة كراسي التدريس بهذه المراكز ، وسنذكر مجردة عن اسماء المدرسين بها حسب ورودها في هذه الحوالة التي كان وضعها بتاريخ اوائل رجب عام 1245هـ - 1829 م :

26» السلوة حيث توجد ترجمته ومراجعها ج 2 ص270-272 .

27» جاءت اضافة هذا الكرسي للمذكور في فهرسةابي عيسى المهدي ابن سودة لدى ترجمة محمد الطالب ابن الحاج .

28» «السلوة» حيث توجد ترجمته ومراجعها ج1 ص161 - 165 .

29» فهرسة ابي عيسى المهدي ابن سودة لدى ترجمةمحمد الطالب ابن الحاج ، وانظر عن ترجمة بناني الابن «السلوة» ج 1 ص 165 .

30» فهرسة ابن سودة الانفة الذكر لدى ترجمةمحمد الطالب ابن الحاج الذي توجد ترجمته - ايضا - في السلوة ج1ص 157-158.

31» فهرسة ابن سودة الانفة الذكر لدى ترجمةمحمد الطالب ابن الحاج ، وانظر عن ترجمة الكوهن ، «فهرس الفهارس» ج1ص368-371 ، اما تاريخوفاته فقد اعتمدت فيه على ما ورد في « عقد الدرر واللآل» - نسخة خاصة - وعلى ما جاء - عرضا - في السلوة ج2 ص 169 .

32» فهرسة ابن سودة المتكررة الذكر في ترجمتهايضا .

33» المصدر الاخير لدى ترجمة ابي حفص المذكورالذي توجد ترجمته - ايضا - في السلوة ج 2 ص : 109-110 .

34» ص 237-240 .

27 – كرسي مسجد الميزاب «35» قديما المعروف الان لمولاي عمر بالاقواس – لتدريس الرسالة القيروانية والمرشد المعين والتوريق .

28 – كرسي مسجد سيدي عبد الرحمن المليلي – لتدريس الرسالة .

29 – كرسي مسجد درب الخطار «36» – الرسالة .

30 – كرسي ضريح سيدي نوار داخل سيدي العواد «37» – الرسالة

31 – كرسي مسجد الخل «38» بجزاء ابن برقوقة – الرسالة .

32 – كرسي زاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية – الرسالة «39» .

33 – كرسي زاوية سيدي محمد بن عبد الله بالمخفية ايضا – السير .

34 – كرسي مسجد السمارين بالرصيف – الرسالة والتوريق .

35 – كرسي مسجد رأس الجنان الاعلى – الرسالة .

36 – كرسي مسجدجزاءابن عامر – الرسالة

37 – كرسي المسجد الاكبر الجديد بالرصيف – الرسالة والتوريق .

38 – كرسي مسجد ابن سمعون بالعيون – الرسالة .

39 – كرسي ضريح سيدي احمد الشاوي – الرسالة والتوريق .

40 – كرسي مسجد ابن عمران «40» بعقبة ابن صوال – البخاري والشمائل .

41 – كرسي زاوية بني المعادي «41» – الرسالة

42 – كرسي مسجد العقبة الزرقاء الاسفل – الرسالة .

43 – كرسي زاوية الفازين بالشراطين – الرسالة .

44 – كرسي مسجد درب البواق من جرنيز – الرسالة .

45 – كرسي مسجد سيدي تميم بدرب الفرباء «42» – الرسالة .

46 – كرسي مسجد سيدي موسى – الرسالة .

47 – كرسي بزاوية سيدي الخياط الرقعي بالشرشور ؟؟

48 – كرسي مسجد الشرابليين – الرسالة .

49 – كرسي مسجد سويقة ابن صافي – الرسالة والتوريق .

«35» يظهر ان هذا المسجد هو الذي جدده ابو الحسن علي بن احمد بن ابي بكر الكناني القرطبي الطليطلي الاصل ، مستوطن مدينة فاس المعروف بابن حنين والمتوفى فى عقب رجب عام 569هـ ، وهو مذكور فى ترجمته من الذيل والتكملة » السفر الرابع – مصور الخزانة العامة بالرباط ، رقم د 2646 .

«36» موقعة بالعدوة .

«37» يعرف الان بمسجد درب سيدي العواد ، قال فى السلوة ج1ص 307 : « وهذا المسجد كان يقال له : « جامع الانوار » ، وبه كان يجتمع اهل الخواطر » وانظر « مرءاة المحاسن » ص 236 .

«38» هو مسجد سيدي خليل وقد عرف به فى السلوة ج1ص336 .

«39» هذا باعتبار هذا التاريخ ، وقبل هذا – اوائل القرن 11هـ – كان يدرس بها كتب اخرى مذكورة فى مرءاة المحاسن ص 41 .

«40» هو الواقع اعلا هذه الزنقة .

«41» هي زاوية الشيخ التاودي ابن سودة .

«42» بزنقة جرنيز ايضا .

50 ـ كرسي مسجد زقاق الماء « 43» ـ التدريس والتوريق .

51 ـ كرسي زاوية سيدي قاسم بن رحمون ـ التدريس والتوريق .

52 ـ كرسي مسجد ما شان بزقاق الحجر ـ الرسالة .

53 ـ كرسي مسجد الابارين ـ البخاري والتوريق .

54 ـ كرسي مسجد الديوان ـ الرسالة.

55 ـ كرسي مسجد سيدي احمد بن يحيى ـ البخاري .

56 ـ كرسي مسجد عجيسة ـ التدريس والتوريق .

57 ـ كرسي مسجد الدرب الطويل من حومة البليدة ـ الرسالة .

«يتبع» **الرباط ـ محمد المنوني**

43» من المساجد القديمة بفاس ، وممن كان يقرىءبه الفقيه أبو بكر بن عثمان بن مالك الفاسي من اساتذة ابي الحسن علي بن حرزهم انظر « جذوةالاقتباس » ص 103 .

وبه كان يؤم ويتعبد الشيخ الشهير ابو عبدالله محمد بن يعلى الفاسي الشهير بالتاودي المتوفى بفاس عام 580هـ ، وترجمته مبسوطة فى « سلوةالانفاس » ج ص 100ـ13 ، وجاء فيها بعد ذكر هذا المسجد : « وخلوته التي كان يتعبد بها فيه قبلة منه لا زالت مصونة عن كثرة الدخول لها . .»



الموحدون والحضارة

للأستاذ: عبد الله العمراني

- 3 -

ابو الوليد ابن رشد :

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد «26–1198م» ويلقب بالحفيد تمييزا له عن جده محمد بن رشد وهو اشهر من شمس على علم كما يقال . فشهرته قد طبقت الافاق شرقا وغربا ، فليس بنا من حاجة الى التنويه بعظمته ، او الاشارة بمجهوداته الطبية او الفلسفية او غيرهما فلا شك ان الكاتب داوود كرم يعرف ذلك حق المعرفة او بعض المعرفة على الاقل لان من علم شيئا غابت عنه اشياء. هذا حق .

ولكن الذي يعنينا هنا – وقد استشهد صاحبنا بابن رشد واشاد بعظمته باقتضاب وبالمكانة الرفيعة التي يحتلها في عالم الطب – ان نذكر هذا الكاتب بان تلك المكانة التي احتلها ابن رشد وكان اهلا لها – انما احله اياها ابو يعقوب يوسف الخليفة الموحدي ، بواسطة ابن طفيل الذي قدمه اليه وعرفه عليه ، كما قدم اليه جماعة اخرى من العلماء فقد كان يجلبهم اليه من جميع الاقطار ، وينبهه عليهم ، ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم «1» .

ويصف لنا المراكشي اللقاء التاريخي الاول الذي وقع بين الخليفة وابي الوليد فيقول : « اخبرني تلميذه « يعني تلميذ ابن رشد » الفقيه الاستاذ ابوبكر بندود بن يحيى القرطبي قال : سمعت الحكيم ابا الوليد يقول غير مرة : لما دخلت على امير المومنين ابي يعقوب، وجدته هو وابو بكر بن الطفيل ، ليس معهما غيرهما ، فاخذ ابو بكر يثني علي ، ويذكر بيتي وسلفي ، ويضم بفضله الى ذلك اشياء لا يبلغها قدري . فكان اول ما فاتحني به امير المومنين بعد ان سألني عن اسمي واسم ابي ونسبي ان قال لي :

«ما رايهم في السماء ؟ « يعني الفلاسفة » اقديمة هي ام حديثة ؟ »

« فادركني الحياء والخوف فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة ، ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل . ففهم امير المومنين مني الروع والحياء ، فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سالني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطو طاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم ، فرايت منه غزارة حفظ لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن ، المتفرغين له . ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك

« فلما انصرفت ، امر لي بمال وخلعة سنية ومركب » .

ولعل شهرة ابن رشد الفلسفية ، قد طفت بعض الشيء ، على شهرته كطبيب ، ولعل شهرته تلك قد اكتسبها بسبب شروحه لفلسفة ارسطو ، حتى اطلق عليه «2» لقب الشارح . El Comentador

ان هذه الشروح مع ما صحبها من مباحث شخصية ، قد ترجمت الى اللاتينية وتبنتها جامعات اوربا في القرون الحديثة فايقظت اوربا من سبات العصور الوسطى المظلمة . يرجع الفضل في هذه الشروح وفي الفلسفة « الرشدية » « Averroismo »

1» عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص 147 .

2» ميكيل كروث هرنانديث : ابن رشد واصول العلم الاوربي الحديث ، بحث في كتاب « فلاسفة الاسلام في الغرب العربي » قام بترجمته : عبد الله العمراني طبعة تطوان سنة 1960

ذاتها الى عاهل الموحدين نفسه . وها هو ذا المراكشي يكمل مشاهدهذه الرواية الطريقة حين يقول :

« واخبرني تلميذه المتقدم الذكر عنه ، قال : استدعاني ابو بكر بن طفيل يوما فقال لي : سمعت اليوم امير المومنين يتشكى من قلق عبارة ارسطو طاليس ، او عبارة المترجمين عنه ، ويذكر غموض اغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ، ويقرب اغراضها ، بعد ان يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس . فان كان فيك فضل قوة لذلك ، فافعل ، واني لارجو ان تفي به ، لما اعلمه من جودة ذهنك ، وصفاء قريحتك ، وقوة نزوعك الى الصناعة. وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبر سني ، واشتغالي بالخدمة ، وصرف عنايتي الى ما هو اهم عندي منه » .

قال ابو الوليد : «فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس »«3»

اما شهرته كطبيب فيكفي للتدليل عليها شغله وظيفة طبيب البلاط الموحدي ، وهي الوظيفة التي تنازل له عنها ذو المواهب العديدة ابن طفيل «4» نظرا لكبر سنه من جهة ، ولكونه اراد ان يتفرغ لغير الطب من الالهيات ثانيا : فقد صرف عنايته في آخر عمره الى العلم الالهي ، ونبذ ما سواه «5» . ويكفي للتدليل على شهرته كطبيب ، كتابه القيم الذي ترجم الى اللاتينية وغيرها من اللغات كما نشر نصه العربي في تطوان مؤخرا . هذا وقد تداوله الناس واستعملوه في خلال العصور الوسطى كلها ، اذ انه يتناول التشريح ووظائف الاعضاء ، والامراض واعراضها ، والادوية والاغذية وحفظ الصحة والعلاج «6» . وحسب العادة القديمة التي كانت تقضي بان يحرص الاب على تعليم ابنه نفس الحرفة التي يحترفها ، نجد ان ابا الوليد خلف ولدا كان له باع في الطب طويل كذلك .

كبوة جواد :

وبهذه المناسبة ـ والشيء بالشيء يذكر ـ اشير الى هفوة وقع فيها الاستاذ المرحوم احمد امين، في البحث الذي كتبه واعده لمهرجان العيد الالفي لابن سينا ، وعنونه ب « حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي » .

ففي حديثه عن ابن طفيل قال : « وكان معاصرا للفيلسوف المشهور ابن رشد ، وان كان ابن رشد اكبر منه سنا » «7» ، والصواب ان ابن طفيل كان اكبر سنا من ابن رشد ، كما يتضح من كل ما تقدم والا لما نصحه بتفسير فلسفة ارسطو تلبية لرغبة امير الموحدين ، ولما تخلى له عن وظيفة « الطبيب الخاص» نظرا لكبر سنه .

وفي نفس الصفحة يقول الاستاذ احمد امين : « وقد حل ابن طفيل طبيبا للسلطان ، لما طعن ابن رشد في السن » ، ولكن العكس هو الصحيح كما سبق ان اشرنا .

وفي صفحة 10 نجد هذه العبارة : « ويذهب بعض المؤرخين الى انه ـ اي ابن طفيل ـ كان تلميذا لابن رشد» ، وهذا غلط ، لان احدا من المؤرخين لم يقل بذلك ، وانما المشهور ان ابن طفيل تتلمذ على ابن الصائغ المعروف بابن باجة المتوفى سنة 1138م ، ولم يتتلمذ على بن رشد البتة .

وفي الصفحة ذاتها ، وبعد سطر واحد يقول : «وعلا امره «امر ابن طفيل» حتى اصبح طبيبا لابي يعقوب يوسف **المنصور** ، خليفة الموحدين 1163ـ1184م» وهذا خطا تاريخي ايضا لان ابا يعقوب يوسف ، لم يلقب نفسه ، ولم يلقبه احد بالمنصور ، وانما لقب بذلك ولده وخليفته من بعده ابو يوسف يعقوب .

وقد تبع احمد امين في وصف يوسف بالمنصور ، الاديب الاسباني انخيل كنثاليث بالينثيا في كتابه الذي ترجمه الاستاذ حسين مؤنس بعنوان « تاريخ الفكر الاندلسي » والغريب ان احمد امين قلد « تاريخ الفكر الاندلسي » في هذا الخطا ، ولم يقلده في صواب العبارة السالفة التي وردت في ترجمة كتاب الاديب الاسباني هكذا : « ويذهب بعض المؤرخين الى انه كان تلميذا لابن باجة » «8» .

«3» المعجب ص 147 ـ 148 .

«4» كان ياخذ مرتبا من الدولة كواحد من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد ، وكان يقول : لو نفق عليهم علم الموسيقى لانفقته عندهم ، بمعنى لو كانت سوق الموسيقى رائجة عندهم لروج الموسيقى ، وذلك دليل على موسوعيته .

«5» المعجب ص 145 .

«6» تاريخ الفكر الاندلسي ص 469 .

«7» ص 7

«8» تاريخ الفكر الاندلسي ص 338 .

ولعل السبب في عزوف الاديب العربي عن اخذ العبارة كما هي ، اعتقاده انها خاطئة ، وقد تسرب اليه هذا الاعتقاد اثر اطلاعه على كتاب الاستاذ عمر فروخ « ابن طفيل وقصة حي بن يقظان » فقد ادان هذا المؤلف، العلامة المغربي عبد الواحد المراكشي قائلا: « .. حينما زعم ان ابن طفيل قرا على ابن باجة »«9» مع ان عبارة المراكشي واضحة ولا غبار عليها فهو يقول : « قرا ـ اي ابن طفيل ـ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة منهم ابو بكر الصائغ المعروف عندنا بابن باجة ، وغيره «10» .

وليت شعري اين وجه الزعم او الخطا في هذا القول ؟ ما المانع من ان ياخذ ابن طفيل عن ابن باجة مع ان الاخير اكبر سنا من الاول ، بينما عمر الاول كان ثمانا وعشرين سنة على الاقل «11» ، حينما توفي الثاني ؟ وانما يكمن المانع او يتطرق الشك الى تلمذة ابن رشد على ابن باجة ، نظرا لان هذا الاخير توفي ـ على ارجح الاقوال ـ سنة 1138م اي في الوقت الذي كانت فيه سن ابن رشد لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة .

وهكذا نجد ان الامر اشتبه على بعض الادباء ، فخلطوا بين ابن طفيل وابن رشد بصدد التلمذة على ابن باجة ، فكان هذا سببا في الخطا الذي ارتكبه المرحوم احمد امين ، الى جانب الاخطاء الاخرى الطفيفة ، التي آمل ان تقوم دار المعارف في مصر باصلاحها حينما تعتزم اعادة طبع الكتاب .

ولا اخفي على القارىء مدى الدهشة التي اعترتني ، وانا اقرا الصفحات الاولى من بحث الاستاذ احمد امين ، فقد وجدت بضع صفحات منه «9ـ14» تتفق تماما مع بضع صفحات « 348ـ351 » من كتاب « تاريخ الفكر الاندلسي » وقلت في نفسي ان احدهما اخذ من الاخر .

وعندما تصفحت الكتابين بحثا عن تاريخ الطبع ، وجدت « البحث » نشر سنة 1952 بينما الترجمة نشرت بعد ذلك سنة 1955 فازددت حيرة ، بيد ان الحيرة تبددت حينما قرات مقدمة الترجمة فوجدت المترجم يزجي الشكر للاستاذ المرحوم لما كان له من فضل وتشجيع لترجمة الكتاب ، وطبعها على نفقة الادارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية ، وبصفته مديرا لتلك الادارة ، تمكن ـ حتميا ـ من الاطلاع على نص الكتاب قبل طبعه .

ومن ثم حلا له ان يقتبس او يأخذ منه صفحات تلك ، دون ان يتمكن من ان يشير الى المصدر ، كما لم يتمكن من مراجعة جميع النصوص المتعلقة ببحثه ، ولو راجعها جيدا ، لما تورط ـ على ما اعتقد ـ في الاخطاء التي تورط فيها بصدد اختلاف السن بين ابن طفيل وابن رشد .

« عود الى بدء »

ارجو الا اكون قد بعدت بالقارىء عن الموضوع الاساسي الذي هو محاولة اقناع من اساء الى خلفاء الموحدين ، حينما وصمهم بانهم اطفاوا نور الحضارة العربية ، ودكوا اركانها في المغرب كما فعل المغول في المشرق .

ولعل الانصاف يقتضي ان نشير هنا الى حادثتين ربما كان كاتب الحلقة الرابعة من سلسلة « الجراحة عبر القرون » قد اعتمد عليهما وهما :

1» **محنة ابن رشد** : اجل، لقد امتحن ابن رشد ، حينما تغير عليه المنصور ، وقلب له ظهر المجن لسببين : احدهما خفي ، والاخر ظاهر كما يقول المراكشي .

فاما الخفي فهو ان فيلسوفنا في شرحه لكتاب الحيوان ـ احد كتب ارسطو ـ تكلم عن الزرافة ، وقال : « وقد رايتها عند ملك البربر » هكذا اوردها كلمة جافة جافية دون تنميق او مجاملة لولي نعمته ، فاسرها المنصور في نفسه ولم يبدها له .

اما السبب الظاهر فهو سعاية بعض حساده ومنافسيه القرطبيين الذين اهتبلوا فرصة وجود المنصور بين ظهرانيهم في قرطبة فسعوا اليه واطلعوه

9» ص 31 .
10» المعجب ص 145 .
11» هذا على القول الذي نرجحه واخذ به كثير من المؤرخين ، من ان ابن باجة توفي بفاس في رمضان 533هـ 1138م ، اما على ما نقله المقري في نفح الطيب من انه توفي في رمضان عام 523 هـ او 525 فيكون عمر ابن طفيل اقل من ثمانية وعشرين عاما . ومهما يكن من امر فان عمره كان يسمح بتلقي العلم ومبادىء الفلسفة .

على ما كتب ابو الوليد ابن رشد بخط يده قائلا وهو يحكي عن بعض قدماء الفلاسفة : « فقد ظهر ان الزهرة احد الالهة » .

وحينما مثل ابو الوليد بين يدي المنصور الذي كان محفوفا بالرؤساء والاعيان من كل طبقة ، نبذ الخليفة الاوراق امامه وقال له : اهذا خطك ؟ فانكر الفيلسوف ان يكون ذلك خط يده ، فقال الامير : لعن الله كاتب هذا الخط ، وامر الحاضرون بان يلعنوه . ثم امر باخراج ابي الوليد على حال سيئة وابعاده وابعاد من يتكلم في شيء من هذه العلوم الفلسفية ونفاه الى اليسانة (Lucena) بالقرب من قرطبة

2» **احراق كتب الفلسفة** : وكان الحادثة الاولى وغضبة ابي يوسف يعقوب التي صحبتها كانت سببا في الحادثة الثانية التي طالب فيها الخليفة الموحدي من الناس ان يتركوا هذه العلوم الفلسفية ، وان يحرقوا كتبها كلها ما عدا كتب الطب «كذا» والحساب وما يتوصل به من علم النجوم الى معرفة اوقات الليل والنهار واخذ سمت القبلة .

بيد ان المنصور لم يلبث حينما رجع الى عاصمته مراكش ان نزع عن ذلك كله ، وجنح الى تعلم الفلسفة ، العلم الذي احبه والده واتقنه بشهادة ابن رشد نفسه « وابن البطة لا يكون الا عواما » كما قيل وهكذا نجد المنصور يستدعي ابا الوليد ابن رشد من منفاه الى مراكش بقصد العفو عنه والاحسان اليه فقصدها سنة 1197م ، غير انه لم يمكث بها طويلا اذ توفي في العام التالي «12» كما ان المنصور لم يلبث ان توفاه الله في السنة التالية 1199م .

هكذا يرى القارىء ان الامر يتعلق بسحابة صيف لا تستطيع ان تصدر بسببها حكما قاسيا على دولة الموحدين ، وخلفائهم الذين اسدوا ايادي بيضاء للحضارة والفلسفة وللطب بوجه خاص .. اجل ربما يكون كاتب المقال قد استند من وراء تجنيه على هذه الدولة ، الى ما صدر عن المنصور — ايضا — بصدد اليهود ، فربما اتخذ الكاتب **بعض تصرفات المنصور** معهم ذريعة للقول باضطهاد الحضارة العربية والفتك بالعلماء وارباب المعرفة وقتلهم بلا رحمة ، فكأن اليهود هم العرب ، وكأن حضارتهم هي الحضارة العربية !!

فماذا فعل المنصور ازاء هذه الشرذمة التي طالما اظهرت غير ما تبطن ، وطالما تنكرت للدولة التي تعيش بين احضانها ، وطالما عاثت في الارض فسادا؟ لقد امر بان يلبسوا ملابس خاصة بهم تميزهم عن المسلمين ، يقول المراكشي : « وانما حمل ابا يوسف على ما صنعه من افرادهم بهذا الزي وتمييزه اياهم به؛ شكه في اسلامهم » «13» .. غير ان هذه الحالة لم تطل ، اذ لما ولي الخلافة ابنه ابو عبد الله محمد الناصر « 1199— 1213م» توسلوا اليه بمن قبل شفاعته فيهم ، فرفع تلك القيود او خففها عنهم على الاقل .

هذا كل ما في الامر ، غير ان بعض الكتاب قد يحلو لهم ان يبنوا من الحبة قبة ، او ان يقيموا الدنيا ويقعدوها فيقول احدهم : « كان التعصب الطائفي قد ساق السلطان يوسف المنصور — يقصد ابا يوسف يعقوب المنصور — وولي عهده الناصر الى سلوك سياسة عدم التسامح الديني بنبذه لليهود والمسيحيين ، فعائلة بني ميمون وكثير من بني جلدتهم ، اضطروا للهجرة الى المشرق ، وكان الموزاربين — اي المسيحيون الذين كانوا يعيشون مع مسلمي الاندلس — يتعقبون ويعانون آلاما مبرحة ، وقد وصل الامر بالائمة — يعني امراء المومنين — الى حد تقرير اتلاف كل كتاب يتعلق بعلم الكلام وبالفلسفة ، مع الحكم بالموت على من يحتفظ به او يقرأه » «14» . ويقول في موضع آخر :

« حينما دخل عبد المومن عاصمة الخلافة — يقصد قرطبة — سنة 1148 امر كل المسيحيين واليهود ان يعتنقوا الدين المحمدي في الحال او ان يخرجوا من الامبراطورية الموحدية ، وكثير من اليهود ومنهم عائلة بني ميمون ، اعتنقوا العقيدة الاسلامية في الظاهر ، ولكن عندما وصل عالمنا — يقصد موسى بن ميمون — سن الثلاث والعشرين من عمره .. كتب كتبا ثورية لا تتمشى والمذهب الرسمي للامبراطورية .. وانتقل الى المغرب سنة 1160م وعاش في فاس اولا ، ثم بعد ذلك ذهب الى القدس والقاهرة » «15» .

ان هذا الكلام اشبه ما يكون **بالدعايات التي** تقوم بها جماعات « الطابور الخامس » واقرب الى حرب الاعصاب منه الى حقائق التاريخ ، ان ابا من المؤرخين

«12» المعجب ص 189—190 وانظر ايضا J. G. Gallent, p. 85

«13» المعجب ص 188

14 La médecine arabe, p. 82

«15» المصدر السابق ص 162 .

الموثوق بهم لم يصرح بان الخليفة عبد المومن قد اجبر سكان قرطبة على اعتناق الاسلام او الهجرة ؛ مع ان التقاليد الحربية الاسلامية تمنع ذلك ، والاية القرآنية تنص صراحة على ان لا اكراه في الدين .

وعلى العكس مما تقدم نجد احد المؤرخين يتحدث عن « العروبة الغربية » التي اسست مدنها وخاصة قرطبة وطليطلة واشبيلية اعظم شأنا من وجهة النظر الثقافية حتى من بغداد او اية مدينة من مدن فارس ، ثم يقول : « وحتى اعضاء الاسر الحاكمة الجديدةالبسطاء نسبيا – كذا – كالموحدين في مراكش، ما لبثوا ان امسوا رعاة للمعرفة والفن ، ولقد كان في التسامح الديني الذي اظهره حكام اسبانيا المسلمون، ما اجاز لكثير من العلماء النصارى واليهود ان يخلعوا غنى جديدا على الثقافة » «16» .

لا اريد ان اطيل هنا اكثر مما فعلت ، فاعدد اطباء وعلماء مغاربة آخرين ، وانما اكتفي بهؤلاء الاعلام الذين ذكر صاحبنا بعضهم في مقاله ، لادلل على ان الفضل في شهرتهم وعظمتهم راجع بالدرجة الاولى الى تشجيع الموحدين وتبنيهم لافكارهم ، وتقريبهم للبلاط الملكي المغربي ؛ على ان الصورة قد لا تكتمل اذا لم اعرج على ذكر طبيبات مغربيات مثل اخت الطبيب الشاعر ابي بكر ابن زهر الآنف الذكر ، فقد اتخذها المنصور طبيبة خاصة لحريمه ، وكان لا يقبل طبيبة سواها ، ولما توفيت خلفتها ابنتها في القيام بالمهمة .

يقول جرجي زيدان : « ونبغ جماعة من النساء اشتهرن بصناعة الطب ، منهن اخت الحفيد ابن زهر الاندلسي وابنتها ، فقد كانتا عالمتين بصناعة الطب ، ولهما خبرة جيدة بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان على نساء المنصور **الاندلسي** – كذا – واهله ، ولا يقبل المنصور سواهما » «17» .

ووصف جرجي زيدان المنصور هنا بالاندلسي فيه نظر كما يقال ، لان المنصور الاندلسي هو المنصور محمد ابن ابي عامر حاجب الخليفة الاموي بالاندلس ، هشام الثاني ؛ فاذا كان يريده – ولعله يريده بدليل وصف ابن زهر بالاندلسي ايضا – كان واهما ، او كان مثله مثل اعضاء لجنة اجنبية كانت تمتحن احد الاعيان المغاربة لمنحه شهادة «البكالوريا » فسئل من طرفها عن المنصور ، فقال لهم : ايهم تريدون المنصور ابن ابي عامر ؟ او المنصور الموحدي ؟ او المنصور المريني ؟ أم المنصور السعدي ؟ فاجابوه مبتسمين : سألناك عن الاول ، فنحن لا نعرف غير منصور واحد .

لم يقتصر الامر في المغرب على الطب داخل القصور الملكية ، بل ان هناك اطباء عديدين كانوا يداوون الناس ، كما كانوا يديرون المستشفيات والمارستانات «18» التي اسسها الموحدون في ذلك الزمان المبكر ، فقد اسس المنصور مستشفيات ومارستانات للمرضى والمجذومين والمجانين في مراكش وشالة والقصر ، واجرى النفقات على مرتاديها من الرجال والنساء ، ومما يدل على التخصص والازدهار، انهم قسموها قسمين : احدهما للرجال والاخر للنساء، وجهزوا كل قسم بآلات وعدد وخدم ومشرفين واطباء .

نخلص من هذا كله ، الى القول بان الموحدين قد شجعوا الطب والاطباء ، والعلم والعلماء ، وشجعوا الفنون والاداب ، وان عهدهم كان عهد ازدهار في جميع الميادين العلمية والطبية والفلسفية والرياضية والادبية والفنية ، وخاصة فن العمارة الذي ما تزال آثاره قائمة في اشبيلية «مسجدها الاعظم ومنارته التي اطلق عليها فيما بعد اسم لاخيرالدا وفي الرباط « المدينة نفسها ومسجد حسان وصومعته» وفي مدينة مراكش « جامع الكتبيين وصومعته » ، فهذه الاثار المادية وغيرها ، قد تكون مشاهدتها من طرف الجاحدين ، ابلغ في اقناعهم من كتابة كاتب او نقد ناقد .

تطوان : عبد الله العمراني

«16» العرب والاسلام ص 228 .

«17» تاريخ التمدن الاسلامي ج 3 ص 204 .

«18» ماخوذة من الكلمة الفارسية بيمارستان التي تتألف من ثلاثة مقاطع : **بي** بمعنى دون او عدم **ومار** بمعنى مرض ثم **استان** بمعنى مكان . ومكان عدم المرض هو المصحة او المستشفى ، ولكن الاستعمال المغربي او العربي حذف المقطع الاول واطلق الباقي على مستشفى المجانين .

سكانُ المغرب العربي :

دراسة ديمغرافية

بقلم الأستاذ : المهدي المنبهي

-2-

ثالثا . مشاكل التشغيل والبطالــة

أ ــ الهجــرة :

تكتسي هذه الهجرة شكلين متباينين : الشكل الاول هجرة من البوادي نحو المدن وهو الشكل السائد، واما نزوح من البلاد المغربية نحو اقطار اجنبيــــة ولا سيما منها فرنسا بالنسبة لكثير من الجزائريين فى الرتبة الاولى ثم المغاربة والتونسيين فى الرتبة الثانية .

فكثير من سكان البوادي يهجرون مسقط راسهم نتيجة عدم شغل فى غالب الاحيان للبحث عن عمل فى المدينة وربما ادى بهم الحال الى هجرة وطنهم نحــو البلاد الاوربية ويظهر ذلك تضخم عدد سكان المدن ولا سيما منها المدن الصناعية فيترتب عن الوضع عــدة نتائج أهمهــــا :

ظهور هذه الاحياء الفقيرة التي ذكرناها سالفــا والتي تدعى بمدن القصدير ثم تضخم جيش العاطلين لان جميع هؤلاء السكان القادمين من البادية لا يجــدون بالسهولة التي كانوا يتصورونها ويظهر بعد التحليل أن القادمين ياتون اما من اقاليم فقيرة او من أقاليم يتزايد عدد سكانها بكيفية سريعة

وهكذا فان عددا من المدن الصناعية اخذ عــدد سكانها يتزايد بكيفية سريعة كما هو الشأن بالنسبــة للجزائر العاصمة والدار البيضاء

فسكان الجزائر العاصمة كان يبلغ عددهم :

فى سنـــة	1830	30.000 نسمة
وفى سنـــة	1880	57.000 نسمة
وفى سنـــة	1926	138.000 نسمة
وفى سنـــة	1954	222.000 نسمة

ويلاحظ انه فى ما بين سنوات 1912 و 1925 كان الفائض بين المواليد والوفيات لا يتعدى 2.336 نسمة وخلال اربع سنوات فقط فى حين ان المدينة اكتسبــت خلال هذه المدة 17.000 نسمة اضافية ويرجع ذلك الى الهجرة من الارياف وعلى الاخص منها : القبائل وجنوب بسكرة ولغواط وحزاب .

اما مدينة الدار البيضاء فقد كان عدد سكانها لا يتعدى 20.000 نسمة سنة 1907 بينما راح يفوق 550.000 نسمة سنة 1952 وأغلب هؤلاء السكان ياتون من الشاوية ودكالة وعبدة ومن الاقاليم الجنوبية. فخلال ثمان سنوات انتقل ما ينيف عــن 400.000 قروي الى المدينة ؛ واغلبهم يتأصلون من الجنـوب او بمعنى آخر فان 25.000 نسمة انتقلت سنويا مــن البادية نحو المدينة فى الفترة المتراوحة بين 1952 و 1960 وهؤلاء المهاجرون يمكن ان نرتب اهميتهم كمــا يلي :

40٪ من السهول الساحلية الغربية .

30٪ من الاقاليم الجنوبية .

10٪ من وادي درعة والمناطــق الشبيهــــة بالصحراوية .

5 ٪ من مدينة الى مدينة اخرى

5 ٪من الاطلس والغرب والريف .

وهذه الهجرة قد اثرت تاثيرا كبيرا فى نمو عــدد سكان المدن الصناعية الحديثة بينما نمت المدن القديمة بكيفية بطيئة كما يتضح فيما يلي :

من 1936 الى 1952/1951 تزايد عدد سكان المدن التقليدية بنسبة تتراوح بين 15 و 20 ٪ وفى نفس

الفترة كانت نسبة تزايد عدد سكان بعض المدن ذات نمو اقتصادي متوازن كالرباط ومكناس والصويرة يتراوح بين 63,5 ٪ و 82,5 ٪ بينما نمت بعض المراكز والمدن ذات النشاط التجاري والصناعي والمعدني بكيفية مدهشة مثل اكادير بنسبة 517 ٪ وآسفي والقنيطرة ووجدة بنسبة 192 ٪ والدار البيضاء بنسبة 200 ٪ وهذه المدينة تضم وحدها اكثر من 34 ٪ من سكان الحواضر بالمغرب .

اما الوجه الثاني لهذه الهجرة فهو الهجرة من بلاد المغرب العربي نحو البلاد الاجنبية . وتهم هذه بلاد الجزائر على الخصوص حيث بدا نفر من المهاجرين البدويين يتجه نحو فرنسا وقد بدات هذه الحركة منذ 1914 ثم اتخذت اتساعا كبيرا بعد الحرب العالمية الاولى فبلغ عدد الجزائريين بفرنسا سنة 1924 : 100.000 نسمة ؛ ثم مرت هذه الهجرة بعدة عقبات تلتها فترة من الازدهار سنة 1946 وقد بلغ عدد العمال الافارقة الشماليين في يناير 1948 : 170.000 ويتالف اغلبهم من الجزائريين واخذ هذا العدد في تصاعد الى ان بلغ 320.000 نسمة سنة 1954 يتوزعون كما يلي :

— 300.000 جزائري
— 18.000 مغربي
— 3.000 تونسي

واصل هؤلاء المهاجرين من القبائل واقليم القسطنطينة والجنوب المغربي والجنوب التونسي ، ويتجه اغلبهم نحو المدن والنواحي الصناعية بفرنسا والبلاد الاوربية الاخرى .

ب — ضرورة ايجاد الشغل للجميع :

ابتداء من الملاحظات السالفة المتعلقة بالنمو العام للسكان وتزايد السكان العاملين وفيئة الشباب في هرم الاعمار والهجرة القروية يمكننا ان نقول انه يوجد :

1) عدم توازن بين التصاعد الديمغرافي وامكانيات التشغيل .

2) عدم توازن بين السكان والغذاء وذلك نتيجة نظام اقتصادي عتيق يعتمد على توفير الغذاء فقط .

فعدم التوازن بين التصاعد الديمغرافي وامكانيات التشغيل يظهر في البطالة التي تكتسي هنا نقصان في التشغيل او عدم التشغيل بالمرة ، وهذه البطالة هي في الواقع بطالة نوعية ويظهر النقصان في التشغيل في القطاع الزراعي على الخصوص ، اما عدم التشغيل فهو حالة يعيش فيها الاشخاص الذين لا يجدون اي نشاط اقتصادي معين ويتعلق الامر غالبا بفئة العمال الفنيين وهذه الفئة كثيرا ما تبقى خارج الدورة الاقتصادية ، فالنقصان في التشغيل يظهر في صور البطالة المعهودة ، اما بطالة جزئية عندما لا يعمل العمال مدة كافية من الزمان لتقاضي أجرة عادية أو بطالة كلية .

ففي المغرب فان البطالة تبلغ 20 في المائة في المدن وتتميز هذه البطالة بكونها بطالة بنوية لا ظرفية او بمعنى آخر بطالة دائمة .

اما في الجزائر فان البطالة الحضرية تبلغ نسبة 30 في المائة من السكان العاملين بالمدن وتتجاوز هذه النسبة 45 في المائة من بين السكان المسلمين العاملين، فالسكان الذين لا يعملون في الداخل يبلغ عددهم 150.000 نسمة بينما يناهز هذا العدد 850.000 في القطاع الفلاحي أو 46 في المائة من مجموع السكان العاملين في القطاع الزراعي .

وفي الجملة فان الاشخاص الذين يعانون نقصانا في العمل او لا يعملون المرة يمثلون 43,5 في المائة ، وقد تفاحش عدد العاطلين بعد الاستقلال اذ في مجموع 2.500 معمل ومقاولة جزائرية اقفلت اكثر من 850 منها ابوابها .

وفي سنة 1959 كان يوجد بتونس 200.000 عاطل من بين 780.000 رجل و 800.000 امراة في سن العمل وهذه البطالة تتعلق بالحواضر بكيفية خاصة

ويكتسي المشكل في ليبيا صورة مخالفة اذ هذه البلاد هي وحدها التي توجد في حاجة الى عدد أوفر من السكان العاملين . ويظهر النقصان في التشغيل على الخصوص في القطاع الزراعي وفي الصناعة اليدوية فالسكان الذين هم في سن العمل في وسعهم أن يقوموا بستمائة وثلاثين مليونا من ايام العمل سنة 1960 بينما المغرب لا يحتاج سوى 250.000.000 من أيام العمل لتحقيق المزروعات الحالية ، فنسبة التشغيل تبلغ 40 في المائة فتبقى اذن 60 في المائة غير مستعملة .

وفي الجزائر فان 1.600.000 شخص يعملون في الزراعة فاذا قدرنا أن كلا منهم يعمل 250 يوما كل سنة فان عدد الايام المتوفرة تبلغ 400.000.000 يوم من العمل فاذا اضفنا الى هذا العدد 150.000.000 يوم من العمل بالنسبة للنساء فان المجموع يكون 550.000.000 يوم من العمل بينما المزروعات الحالية لا تحتاج سوى 150.000.000 يوم فتبقى 400.000.000

يوم متوفرة ، وهذه الظاهرة هي التي تحدو سكان البادية ولاسيما منهم الشباب الى الهجرة من القرى نحو المدن الصناعية للبحث عن الشغل .

اما عدم التوازن بين السكان والغذاء فيرجع الى التزايد السريع للسكان بينما الغذاء فى استقرار او ركود .

وينتج عن كل هذا انخفاض فى الدخل الفردي وبالتالي انخفاض فى مستوى المعيشة وضعف فى القوة الشرائية . فكيف يمكن التغلب على هذه الحالة ؟

يظهر أنه من الضروري الزيادة فى الدخل القومي بنفس السرعة الملاحظة فى التزايد الديمغرافي للمحافظة على مستوى المعيشة الحالي على الاقل وذلك :

1) بالزيادة فى الانتاج الزراعي بواسطة : الزيادة فى الانتاجية وتحسين وسائل الاستغلال الزراعي واصلاح زراعي ملائم .

2) باحداث صناعات قادرة على استيعاب اليد العاملة .

3 — بتعبئة جميع السكان من اجل اشغال ذات فائدة عامة .

السكان اليهود :

يتألف السكان اليهود فى المغرب العربي اما من سكان اصليين أي برابر تدينوا قبل مجيء الاسلام بالديانة العبرية واما من يهود مهاجرين ، واكتست هجرتهم شكلين فقد كانت هذه الهجرة فى الاوائل هجرة من الاقطار الشرقية ثم اتت هجرة ثانية من الاندلس ، فالاولى وقعت اثر الفتنة التي قاموا بها فى فلسطين ايام الامبراطورية الرومانية فى أوائل القرن السابع الميلادي ، ثم اتى بعضهم مع مجيء القبائل العربية البدوية الاتية من الجنوب العربي أو اليمن خلال القرن الثاني عشر . اما الهجرة الثانية فهي تتألف من يهود الاندلس الذين طردهم الملوك المسيحيون فى القرن الرابع عشر بعد ان استولوا على الامر فى هذه البلاد وآخر هجرة لهم هي التي قاموا بها من اسبانيا وقد صاحبوا فيها من تبقى من المسلمين وقد وقعت فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فنزلوا بالمدن الساحلية : بتطوان والرباط ووهران وتونس .

وقد تطور عددهم بكيفية مدهشة نظرا للتزايد الطبيعي فى الجزائر وتونس والمغرب فكان كما يلي :

— بالنسبة للجزائر :

34.000	سنة 1870
57.000	سنة 1901
110.000	سنة 1931
150.000	سنة 1954

ويرجع هذا العدد الاخير الى الهجرة التي قام بها يهود المغرب وتونس وليبيا نحو الجزائر بالاضافة الى نسبة المواليد العظيمة غير ان هذا السدد قد قل بعد اعلان استقلال الجزائر .

— وبالنسبة لتونس :

48.400	سنة 1921
59.500	سنة 1936
57.800	سنة 1956

— وبالنسبة للمغرب (المنطقة الجنوبية) :

117.000	سنة 1931
161.300	سنة 1936
199.156	سنة 1951

وكان يبلغ عددهم سنة 1956: 225.000 بالنسبة لمجموع البلاد ولم يبق من هذا العدد سوى 100.000 سنة 1963 .

اما اذا قارنا عددهم بعدد السكان غير المسلمين فاننا نلاحظ النسب التالية سنة 1960 :

ليبيا	1 فى المائة
تونس	20 فى المائة
الجزائر	28 فى المائة
المغرب	31 فى المائة

واغلب السكان اليهود يعيشون اما من التجارة او من الحرف اليدوية غير اننا نجد اقلية فى المغرب تعيش من الزراعة ولاسيما فى المناطق الجنوبية : 40 فى المائة فى التجارة و 36 فى المائة فى الحرف اليدوية ، وهم يسكنون المدن الكبيرة اذ يتجمع فى مدينة تونس وحدها ما لا يقل عن 39.000 يهودي أو 60 فى المائة من يهود تونس ، وفى الجزائر العاصمة 30.000 وفى وهران 30.000 وقد اتوا فى الغالب من المناطق الصحراوية ، اما الدار البيضاء فيوجد بها اكثر من 72.000 وقد اتوا من جميع انحاء المغرب للاشتغال اما بالتجارة أو بالمهن البنكية .

ويوجد عدد مهم من اليهود فى بعض المدن القديمة كوزان وسطات ودبدو ودمنات وصفرو بالمغرب والبليدة بالجزائر وقابس بتونس وبجزيرة جربة .

الاروبيـــــون :

لقد كان للاحتلال الفرنسي للجزائر اثر كبيـــر فى تطور عدد السكان الاروبيين فى بلاد المغرب العربي ، حتا كان يوجد بعض الاروبيين قبل سنــــة 1830 ولا سيما بالموانيء الساحلية بشمال المغرب ووهـــران بالجزائر حيث كان يتألف معظمهم من الاسبانيين ثم كانت جالية لاباس بها من المالطيين والايطاليين بتونس على ان الاحتلال الفرنسي ثم الايطالي لليبيا هو الذي فتـــح المجال للهجرة الاروبية ولذلك كانت الاغلبية الساحقة من الاروبيين فى المغرب والجزائر ثم فيما بعد بتونـــس تتألف من الفرنسيين بينما كانت هذه الاغلبية مـــن الايطاليين بالنسبة لليبيا .

ففي ليبيا انتقل عدد الاروبيين بكيفية سريعة بعد الاحتلال الايطالي حيث بلغ سنــة 1939 : 110.000 جلهم من الايطاليين ولم يبق منهم اليوم سوى 47.000 يسكنون ناحية طرابلس بينما مجموع الاروبيين يتجاوز 50.310 نسمة سنة 1956 .

اما اذا نظرنا الى الجزائر فان التطور أكثر تعقيدا ففي حوالي سنة 1840 كان ينزل بارض الجزائر مـــا يتراوح بين 2.000 و 2.500 فرنسي كل سنة ، فبلغ مجموعهم سنة 1856 : 160.000 وفى سنــة 1872 انتقل عددهم الى 280.000 يوجد من بينهم 34.000 يهودي اتخذوا الجنسية الفرنسية بموجب مرســـوم كريميوه الذي صدر سنة 1870 ، وفى سنة 1881 وصل عددهم : 400.000 وتطور بعد ذلك كما يلي :

فى سنة 1891	530.000
فى سنة 1901	ما يزيد عن 630.000
فى سنة 1911	ما يزيد عن 750.000
فى سنة 1921	ما يزيد عن 790.000
فى سنة 1931	ما يزيد عن 880.000

فى سنة 1954 بلغ عددهم الاقصى : 900.000 نسمة .

وفى تونس فان الوضع تغير كثيرا بعد هجـــرة الايطاليين سنة 1911 اذ كان عدد الاروبيين لا يتجاوز 18.000 تقريبا سنة 1881 ثم انتقل الى 43.000 سنة 1891 واصبح يعادل سنة 1911 : 143.000 وفى سنة 1921 : 156.000 ، وجاءت هجرة الفرنسيين فبلغ عدد الاروبيين 195.000 سنة 1931 ثم 213.000 سنـــة 1936 لينتقل فى الاخير الى : 255.300 ، ورغم ذلك لم يكن يمثل العنصر الاروبي سوى النسب التالية بالمقارنة مع مجموع السكان : 8ر2 فى المائة سنة 1936 و 4ر7 فى المائة سنة 1946 و 7ر6 فى المائة سنة 1956 .

لم تحتضن الارض المغربية فى اوائل هذا القرن سوى قلة من الاروبيين فلم يكن يتعدى عددهم 10.000 سنة 1911 غير ان هذا العدد انتقل بعد فرض الحماية الى 78.000 سنة 1921 ثم 160.000 سنة 1931 وقد اصبح يناهز 191.000 سنة 1936 وفى سنة 1951 كان المغرب يأوي ما يقرب من 450.000 اروبي منهـــم 362.000 فى المنطقة الجنوبية والباقي فى المنطقـــة الشمالية وطنجة .

وقد بلغ الاسكان الاروبي أوجه فى معظم بـــلاد المغرب العربي حوال سنة 1954 الى غاية سنة 1956 ومنذ ذلك الحين اي بعد قيام الثورة الجزائرية واعلان استقلال المغرب وتونس وعددهم فى تناقص وقد كان مجموع هذا العدد يبلغ سنـــة 1955 : 1.900.000 بالنسبة لمجموع بلاد المغرب العربي وكانت نسبـــة الاوروبيين بالمقارنة مع مجموع سكان كل بلد كما يلي :

البلاد	مجموع عدد السكان	النسبة
ليبيا	1.170.000	3ر4 ٪
الجزائر	9.707.000	5ر10 ٪
تونس	3.783.000	2ر7 ٪
المغرب	9.370.000	1ر6 ٪

وفى الفترة المتراوحة بين 1951 و 1956 كان عدد الاروبيين اذا اخذنا فقط البلاد الثلاث : المغرب وتونس والجزائر يناهز : 1.700.000 مما يعطي نسبة وسطى ويعطي تعادل 8 ٪ ، وهذا الرقم يسجل دون شك اكبر عدد للهجرة الاروبية قبل مغادرة الاروبيين بلاد المغرب بكيفية واسعة بعد اعلان الاستقلال .

اما اذا نظرنا الى هؤلاء السكان من حيث جنسيتهم فاننا نجد ان اغلبهم من الايطاليين فى ليبيا اذ يمثلـــون 6ر88 فى المائة وفى بلاد المغرب العربي الاخرى ، فقد تطور توزيعهم حسب الجنسية طبقا لظروف تاريخية صرف ، ففي تونس كانت اغلبية السكان الاروبيين سنة 1911 تتألف من الايطاليين والمالطيين اذ كانوا يمثلون الثلثين ، والثلث الاخر من الفرنسيين ، وقد أصبح عدد الايطاليين والمالطيين سنة 1926 : 89.000 بينما كان عدد الفرنسيين 71.000 وفى سنة 1936 صارت اغلبية الاروبيين من الفرنسيين اذ بلغ عددهم : 108.000 بينما كان عدد الايطاليين 94.000 فقط ، وفى سنة 1930 كانت نسبة كل جنسية كما يلي :

— 60 فى المائة من الفرنسيين
— 35 فى المائة من الايطاليين
— 3 فى المائة من المالطيين

وكان التطور من نوع آخر فى الجزائر حيث كان ثلث الاروبيين سنة 1911 يتالف من الفرنسيين الاصليين والثلث الثاني من الفرنسيين المتجنسين والثلث الاخير من الاجانب ولاسيما منهم الاسبانيين اما فى سنة 1954 فقد كانت النسبة كما يلي :

— 87 فى المائة من الفرنسيين
— 10 فى المائة من الاسبانيين
— 3 فى المائة من الايطاليين

وقد كان الاجانب يتوزعون فى المغرب سنة 1954 كما ياتي :

— 86 فى المائة من الفرنسيين
— 8 فى المائة من الاسبانيين
— 3 فى المائة من الايطاليين
— 1,5 فى المائة من البرتغاليين

ويلاحظ ان التزايد الطبيعي لهذه الجالية عظيم جدا نتيجة الظروف الاقتصادية الخاصة التي كانت تعيشها بنسبة مواليد كبيرة جدا بينما نسبة الوفيات ضعيفة جدا ، وهكذا كانت نسب المواليد والوفيات كما يلي :

البلاد	نسبة المواليد	نسبة الوفيات
تونس	25 فى الالف	من 9 الى 10 فى الالف
الجزائر	19 فى الالف	9 فى الالف
المغرب	26 فى الالف	7,8 فى الالف

ويلاحظ ان اغلب هؤلاء السكان من الشبان ففي تونس فان 40 فى المائة من الاروبيين تقل اعمارهم عن عن 20 سنة . اما فى المغرب فيلاحظ انخفاض نسبة الوفيات فى الوسط الاوربي نتيجة الحياة اليسيرة التي كانت تعيشها هذه الجالية .

ويجب الا يعزب عن اذهاننا فى الاخير ان اغلب هؤلاء السكان يعيشون فى الحواضر : اكثر من 90 فى المائة بالنسبة لليبيا ، 88 فى المائة بالنسبة لتونس ، 80 فى المائة بالنسبة للجزائر والمغرب ، ونجدهم يتجمعون فى بعض المدن الهامة : اكثر من 47.000 من الايطاليين فى اقليم طرابلس واكثر من ثلث الاروبيين فى الجزائر العاصمة والثلثين فى تونس و 29 فى المائة فى الدار البيضاء ، كما ان هؤلاء الاروبيين يعيشون فى الغالب من التجارة والمهن الحرة او يشتغلون فى الوظائف العمومية برسم المساعدة الفنية .

الرباط : **المهدي المنبهي**



القضية الفلسطينية

من خلال موقف اليسار الدولي

للأستاذ: المهدي البرجالي

المواقف السياسية والفكرية من الاحداث العالمية واهميتها فى توجيه هذه الاحداث بين الامس واليوم — المواقف المتخذة حول فلسطين وما تفرضه من اختيارات فكرية واخلاقية حاسمة — استطلاع مواقف اليسار الدولي حول القضية من قبل والتعليلات التي يمكن الادلاء بها فى هذا الشان — المواقف المتخذة اليوم من قبل الجهات اليسارية الدولية وما يفرضه ذلك من اسئلة هامة — ماذا تعنيه مواقف الاشتراكيين وماذا تعنيه مواقف الشيوعيين سواء داخل اسرائيل أو خارجها — الاعتبارات المذهبية التي لابد أن تفرض نفسها حول ذلك .

كان من نتيجة اتساع الصلة بين شعوب العالم بعضها ببعض ، وخاصة بعد الحرب العالمية الاخيرة مع ما تفتح عن ذلك من آفاق فكرية وسياسية ، وما توثق من صلات مادية وانسانية ، كان من نتيجة ذلك كله ان مختلف المشاكل العالمية العارضة سواء في نطاق سياسي او ثقافي او اقتصادي او غيره قد اصبحت — اكثر من اي وقت مضى — تثير ردود فعل تتبلور في مواقف لفظية او عملية وتتخذها هذه الدولة او تلك ، او هيئة او اخرى ، او حتى افراد بارزون فيعبر هؤلاء جميعا او بعضهم عن الراي الذي يلتزمون به في النازلة الموجودة ، ولو كانت لا تهمهم مباشرة ، ثم يتمسك هذا الجانب او الآخر بوجهة الراي الذي ياخذ به طبقا لما التزمه من موقف بهذا الصدد ، وقد يسير البعض بعيدا في سبيل الالتزام بالموقف الذي يتخذونه ازاء قضية ما ولو اجنبية عنهم ، فيؤازرونها موازرة مباشرة ، ويبذلون في سبيل انجاحها جهودا وامكانيات ، لذا كانوا لها من المناصرين او يترصدون لها بالعرقلة والمعاكسة اذا كانوا يضادونها لسبب من الاسباب التي تبدو لهم وجيهة ومعقولة وتتكتل — على هذا الاساس في كثير من الاحيان — مجموعة ما من الدول التي تتفق في الراي والاتجاه حول قضية من القضايا المبدئية او العملية وذلك لتتمكن من تنسيق سياستها المعادية او الموالية لمثل هذه القضية ، والعمل بهذا الشان طبقا لما يقتضيه الموقف المشترك ، واذا كان الامر هكذا بالنسبة للدول فهو ايضا بالنسبة للهيئات وحتى الافراد التي تربط بينهم جملة من المبادىء المشتركة او توحد موقفهم ظروف فكرية او غيرها ولو كانوا متباعدين عن بعضهم البعض في شتى انحاء العالم (الشيوعية مثلا) .

وليست الاعتبارات المبدئية هي فقط التي تفرض مثل هذه الاحوال من اتخاذ موقف تجاه المسالة العارضة ثم البحث عن شركاء يمكنهم اتخاذ نفس الموقف والتضامن معهم في هذا الامر ، فالمصالح السياسية وغيرها لها ايضا دخل كبير في مثل هذه الحالات ، فالذين يتخذون موقفا في مسالة من المسائل يبدو انها لا تمسهم مباشرة من حيث الظاهر — فانما هم ينسجمون — رغم ذلك — مع مصالحهم ، في كثير من الاحيان وان كانت صلتهم بهذه المصالح لاتبدو بالصورة الكافية ، ذلك ان التشابك بين المصالح الدولية المختلفة ، قد اصبح

من الدقة والتكاثر بدرجة كبيرة ، فكم من حالة سياسية او اقتصادية او عسكرية تقع في طرف ما من انحاء العالم ولكن عددا من الدول او الهيئات او الافراد يحسون بان صلة ما ولو غير مباشرة تربطهم بتطورات هذا الحادث او مضاعفاته فهم اما يتوقعون من تطوره شرورا او يرجون مصالح ، وهم اما يرون فيه سابقة حسنة تفتح امامهم افاقا او يعتبرونه بادرة سيئة ، قد تصبح لها مضاعفات تمسهم من قريب او بعيد وعلى اسس هذه الاعتبارات وغيرها تجد هؤلاء او اولئك يحددون مواقف معينة تجاه هذه المسالة مضادة او موالية ، وتكتسي هذه المواقف طابعا مبدئيا بارزا ، ولكن وراء الاعتبارات المبدئية - كما تقدم - الاعتبارات الانية الاخرى من كل نوع ، وهكذا فقد اصبح شيئا مالوفا في مجال السياسة الدولية ان تتخذ الدول والهيئات السياسية والثقافية والدينية وغيرها - كما تقدم - موقفا ما ازاء قضية معينة من القضايا العالمية المختلفة فسواء بالنسبة للصراع الدائر في الفيتنام ، او في موضوع الكونغو او حول مشاكل التفرقة العنصرية في العالم ، او بسبب احداث الدومينيك او نتيجة للاضطهاد الديني او التوسع العدواني في ناحية ما من نواحي المعمور ، لا بد ان يثير ذلك ردود فعل على مستوى الحكومات او الهيئات او الافراد ، يتراوح بين التحبيذ والمنابذة ، والتوسط بين ذلك ، ولا يفهم من هذا بالطبع ان هذه الظاهرة هي حديثة جدا ينفرد بها عالم ما بعد الحرب ، فقد كانت الاحداث دائما تخلق ردود فعل تتبلور في مواقف معينة ، يتخذها هؤلاء او اولئك في مختلف اطراف العالم ، وقد كان الشان هكذا قبل نشوب الحرب العالمية الاخيرة وما قبل ذلك بكثير لكن الفرق الموجود بهذا الصدد بين الماضي والحاضر ، ان المواقف التي كان يتبناها الراي العام العالمي غير الرسمي لم تكن يؤبه لها في كثير من الحالات - حتى نشوب الحرب العالمية الاخيرة ، وبالتالي فان وجودها لم يكن يحدث كبير تاثير على على تطورات السياسة الدولية ، لان هذه السياسة كانت الدول الكبرى تنفرد تقريبا بتخطيطها ، وتنفيذها دون اكتراث بالعوامل الاخرى القائمة في العالم ، واذا قارن المرء بين ردود الفعل العالمية - قبل الحرب - على اثر غزو الحبشة مثلا من جانب ايطاليا الفاشية او الهجوم الفرنسي على سوريا عقب الحرب العالمية الاولى وتصفية الدولة العربية الاولى في تلك البلاد ، او هجوم اليابان على مناطق الصين (اوائل الثلاثينات) او غير ذلك - اذا قارن المرء بين تاثير ردود الفعل العالمية على هذه الاحداث حينذاك ، وبين التاثير القوي الحاسم الذي احدثه موقف الراي العام العالمي - بعد الحرب - نتيجة الهجوم على مصر مثلا (سنة 1956) او مقتل رئيس الحكومة الكونغولية (سنة 1961) او شبه هذه الحوادث ، فانه مدرك لا محالة عظم الفارق الموجود بين الحالتين ، وهذا الفارق هو الذي يعكس مقدار التطور الذي حصل في هذا المقام ، حيث اصبح من المالوف ان تتخذ الحكومات والهيئات مواقف معينة من جملة الحوادث والاوضاع الطارئة على مستوى العالم ، واتخاذ المواقف هكذا اصبح له من قوة التاثير على تكييف الامور في العالم بالشكل الذي يوحي لنا - عند المقارنة - بان الراي العام العالمي لم يكن له قبل الحرب العالمية الاخيرة - ما يعطيه اي اعتبار جدي وفعال في خلال تلك الفترة من تاريخ العالم ، وبالنتيجة لذلك فان المواقف الفكرية والسياسية التي كانت تثيرها الاحداث الجارية ، لم يكن يعبأ بها كثيرا ولهذا فان المواقف كانت تتخذ في نطاق ضيق ، ودون ان تستطيع مطاولة الموقف الحاسم الذي كانت تتبناه الدول الكبرى في هذه القضية ، او تلك من قضايا العالم ومشاكله

* * *

من بداهة القول - ولا شك - التنصيص على ان المسالة الفلسطينية هي من الاهمية الاقليمية والعالمية بحيث يبدو انه من الضروري لكل ذي راي او مبدا او عقيدة في العالم ، ان يحدد حولها موقفا معينا ويلتزم بهذا الموقف التزاما تحذوه الدينامية العقائدية والفعلية ، وضرورة الالتزام بموقف هكذا نحو المسالة الفلسطينية يعود الى اعتبارات عديدة من بينها :

1) **على الصعيد المبدئي** : ان القضية هذه - باعتبارها تتعلق بمصير شعب كامل - فان من طبيعتها ان تثير - نقطا عقائدية وفلسفية ، لها خطرها في موقف الفكر المعاصر من مصير الانسان وقضايا الحياة والحرية والاختيار الانساني كما ان هذه القضية ، تضع نقط استفهام مهمة حول مفهوم الحق وحقوق الانسان بصفة

خاصة ، وحدود هذا المفهوم ومحمولاته ونتائجه مع ما تفرضه هذه النتائج من معطيات كثيرة سواء على المستوى النظري او العملي كذلك

2) **من الناحية السياسية:** تعتبر القضية الفلسطينية مجالا خصبا لنشوء كثير من العقد النفسية والارتجاجات الاجتماعية والمعضلات السياسية والاقتصادية في منطقة كبيرة من العالم ، كمنطقة الشرق الاوسط بصورة اخص والمنطقة العربية بوجه عام ، واحوال من هذا النوع تخلق حتما مجموعة من الاحتمالات الدائمة ضد امكانية الاستقرار والنمو في المنطقة ، بما يمكن ان يؤدي اليه ذلك من مضاعفات على مستوى السلام العالمي ، كما تمثل جليا للملأ الدولي خلال ازمة السويس اواخر سنة 1956

3) **من الناحية الاخلاقية والانسانية :** تضع المسالة الفلسطينية على انسان اليوم جملة من الاعباء والالتزامات الاخلاقية ، التي يمكن اعتبارها – في وجهة من النظر – بمثابة امتحان له على الصعيد الاخلاقي الصرف . والا فنجد انفسنا ملزمين بمراجعة مفاهيمنا عن السلوك ونظرتنا الى طبيعة الاخلاق ، بحيث يمكن ان يؤدي الامر الى قلب اعتباراتنا في هذا المجال قلبا واسعا وغير محدود ، فاما ان هناك ازمة اخلاقية وانسانية يثيرها استمرار المعضلة التي تشهدها فلسطين منذ 1948 ، واما ان مفاهيمنا عن الاخلاقية والانسانية يجب ان توضع موضع المراجعة الجديدة ، وحينذاك ربما لا يوجد داع مبدئي او اخلاقي يحملنا على المطالبة بحق الحياة والحرية والاستيطان لشعب ما من الشعوب التي تسعى الى ذلك ، وتجد من الجهات الفكرية والعقائدية في العالم كامل المظاهرة والمساندة .

* * *

ما هو موقف اليساريين في العالم من موضوع الحق العربي في فلسطين ؟ وما هي دواعي هذا الموقف واعتباراته ونتائجه ؟ ثم هل سارت اليسارية الدولية فعلا في طريق الاهتمام بالقضية الفلسطينية الى الحد الذي يحملها – في هذا الشان – على اتخاذ موقف قار وحاسم، والالتزام بهذا الموقف بما يدعو الى احترام مقتضياته ، والدفاع عنه واعتباره جزءا من ستراتيجية النضال الدولي ضد الامبريالية وذيولها ؟

ان هناك – قبل كل شيء – ملاحظة لا باس من ايرادها في الموضوع ، وهي ان المشكلة الفلسطينية لم تلق – حين تعقدها ودخولها الى طور حاسم سنة 1948 – لم تلق ابدا ما كان يجب ان تلقاه من اهتمام حاد وبالغ من جانب الاوساط العقائدية في العالم ، بما فيها من وسطية الى اقصى اليسار . ولا نقصد بذلك ان هذه الاوساط لم تبال مطلقا بالمعضلة الناشئة ولم تدل حولها بالتصريحات والبيانات ، لكن هذه المبالاة بالقضية لم تتطور جديا بحيث اصبح من شانها ان تحمل على اتخاذ موقف صحيح وثابت تتميز به نظرية هؤلاء او اولئك من مختلف الجهات العقائدية الدولية . لقد صاحب قيام اسرائيل ونشوب الحرب العربية اليهودية الناشئة عنها – صاحب كل ذلك نوع من الغموض النسبي في مواقف الكثير من العقائديين والمبدئيين سواء في داخل النطاق الجغرافي الذي تعيش فيه المشكلة اي الشرق الادنى والاوسط او في بقية المناطق الدولية التي توجد فيها حركات عقائدية منظمة وهادفة ، وقد يجد المرء بعض المبررات التي يراها وجيهة ، وتكفي لتعليل هذه الحالة من السلبية النسبية التي ميزت من قبل موقف المتمذهبين في العالم تجاه قضية فلسطين وذلك اثناء حوادث سنة 1948 وفيما قبل ذلك ، ومن هذه المبررات :

1) ان العرب لم يكونوا قد كونوا لذلك الحين علاقات فكرية وتعاونية مهمة ، مع العالم اليساري مثل ما هو عليه الامر اليوم ، بل ان الشرق الاوسط كان يبدو اذ ذاك في عمومه كمنطقة نفوذ بريطانية – امريكية لا غير .

2) ان قطاعا هاما من اليسارية الدولية (وهو قطاع الشيوعيين ، سواء منهم المحليون او الخارجيون) ، اصبح امامهم بسبب تعقد القضية الفلسطينية – مجال مهم لتجريب تكتيكاتهم السياسية والنفسية ، التي يستخدمونها عادة في خضم الظروف الغامضة المرتبكة ، مثل التي كان ينذر بها جو سنة 1948 وذلك من اجل تاكيد ذاتيتهم على الصعيد المحلي واصطناع ظروف ملائمة لامكانية التدخل الدولي الشيوعي في المنطقة على شكل او اخر.

3) فتح مجال واسع هو الذي يتشخص في اسرائيل يمكنه ان يستوعب اعدادا من المهاجرين اليهود الوافدين من شرقي اوربا على منطقة الشرق الاوسط

وهؤلاء المهاجرون الذين عاشوا ـ فترة معينة تحت انظمة شيوعية متعددة يجوز ان يكون العديد منهم قد تمذهب عميق التمذهب بالماركسية اللينينية ، الامر الذي قد يبيح تشكيل خلايا شيوعية بالشرق الاوسط تتميز بما لها من نشاط ودؤوب ، وصرامة في التنظيم ودقه في التكتيك ، وهذا ما من شانه ان يضاعف من اهمية هذه الخلايا بحيث ان ثمرة نشاطها يمكن الا تبقى منحصرة في رقعة ضيقة كرقعة اسرائيل ، بل تطلق من اشعاعها الفكري والايديولوجي ما يعم ناحية او اخرى من نواحي الشرق الاوسط ويخلق اوضاعا لا باس بها لتعزيز وضعية العقيدة والعمل العقائدي في معظم من ربوع هذه المنطقة المهمة من مناطق العالم .

قد ترد مثل هذه التعليلات على الذهن لامكانية شرح عوامل الموقف غير الواضح الذي وقفته اليسارية العالمية من حق العرب في فلسطين ، قبل سنة 1948 واثناءها وما بعدها بقليل ، لكنه في امكان المرء الا ياخذ بهذه التعليلات على انها مسلمات يقينية تعكس جوانب الحقيقة كلها او معظم هذه الجوانب على الاقل، بل يجوز ان يغضي المرء عن وجهات تقدير من هذا القبيل ، ويلتمس مسوغات اخرى تشرح الموقف وتبرر بعض عوامله وتقوم في نفس الوقت كاعذار يتعلل بها عند الحاجة ، ومن بين هذه المسوغات الممكنة :

1) ان احوال العرب وافكارهم ومطامحهم ونوازعهم ونظرياتهم كل ذلك كان غير معروف بالصورة اللازمة في العالم الخارجي بل ان الانسان العربي كان في بعض الاحيان شبه مجهول لا يعرف عنه الا النزر الذي لايساعد على تكوين فكرة او تشكيل صورة ذهنية ، ولا يعنينا هنا تحديد الاسباب التي جعلت السمعة العربية محدودة هكذا فيما مضى ، الا ان الذي يهمنا تاكيده ان مثل هذه الحالة ، لم يكن من شانها ان تبرز الرأي العربي واضحا في المسالة القائمة بالشكل الذي يبلور الحق العربي من خلاله بلورة لا تقبل الشك او التردد .

2) ان الدول العربية التي كانت مستقلة حال قيام اسرائيل ، بدت تصرفاتها والمنطق الذي يعبر عنه سلوكها ، كاغرب ما يكون المنطق والتصرف في مثل تلك الحالة فعلاوة على ما بدا من تخاذل وتدهور وسوء تنظيم سياسي وعسكري كانت هناك النزعات التي تصل احيانا الى حد الاسفاف ، ولم يكن الاسفاف هذا مما يعطي العالم الاجنبي صورة جادة ومعقولة عن موقف العرب وحقهم الثابت ازاء المعضلة القائمة .

3) لم يكن الجو العالمي الذي نعيشه الان ، بما يسوده من روح التعاون بين الشعوب النامية وعوامل التعاطف بين الحركات التحررية واشياء من هذا القبيل ـ لم يكن مثل هذا الجو قد تكاملت ملامحه وتعززت جوانبه آنذاك مثل ما هو عليه الان ، ثم ان العالم كان لا يزال سنة 1948 حديث عهد بالحرب وعلى عتبة مرحلة انتقال هي التي نلمس نتائجها في الوقت الحاضر ، فكان من الطبيعي بحسب اعتبارات من هذا القبيل الا ينفعل الاوساط العقائدية الدولية ـ حتميا ـ بوجهة النظر العربية ، لان تفهم وجهة نظر هكذا كان يحتم مسبقا وقوع لقاءات وحوارات دولية ، مثل ما يفعله العرب ضمن نطاق العالم الثالث ، ومن المعلوم ان اليساريين في العالم يقيمون اعتبارا كبيرا لما يجري في هذا الجزء النامي من العالم ، بصفته قطاعا دوليا عظيما يحتل العرب فيه مكانة لها نصيب من الاعتبار وذلك ما لم يكن حاصلا من قبل ، اضف الى ذلك ان الجو الذي خلقته الحرب كان ـ خلال سنة 1948 ـ جوا مشحونا بمخلفات المأساة الحربية العالمية ، وكان الشيوعيون ، في اوربا وغيرها لا يزالون يجترون نتائج الحرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواء في النطاق المحلي او العالمي ، وكانوا هم ايضا على ابوب تحول كبير في وضعيتهم الدولية ، نشا عن جملة الاحداث التي ادت بهم في اوربا الى قيام الانظمة الشعبية في شرقي القارة وجنوبها الشرقي ، وكان انذهال الاشتراكيين امام نتائج الحرب اشد واقوى ، الامر الذي لم يمكنهم من القيام بمبادرات مهمة في مضمار السياسة الدولية على النحو الذي امكن للشيوعيين ان يقوموا به في اوربا واسيا فيما بعد .

ويجب التمييز في هذا الباب بين الشيوعيين كاحزاب وهيئات سياسية وفكرية ونقابية وبين الشيوعيين المتولين فعلا مقاليد الحكم ضمن دولة او دول معينة ، فالنقط التي اشرنا اليها آنفا باعتبارها اعذارا تبرر موقف الشيوعيين غير الواضح ازاء التطورات التي ادت سنة 1948 الى قيام اسرائيل ـ هذه النقط تنصرف خاصة الى الشيوعيين غير الحاكمين في اوربا وخارجها ، اما

الدول الشيوعية بما فيها الاتحاد السوفياتي نفسه ، وقد كان لها موقف نحو اسرائيل غداة قيام هذه الدولة وقبل ذلك ــ والموقف هذا لم يكن يتميز بحماس شديد للقضية الصهيونية على الرغم من تصويت المندوب الروسي في الامم المتحدة سنة 1947 لقرار الامم المتحدة حول فلسطين ، بل ان لهجة الدعاية الشيوعية حينذاك كانت تنم عن النقد للجماعة الصهيونية المتوالية دفة القيادة ، بالاضافة الى حملاتها على البريطانيين والامريكيين بهذا الشان ، وقد شارك الحزب الشيوعي الاسرائيلي في ذلك ، منددا بالرجعية التي تسيطر على توجيه الحكم الصهيوني في فلسطين ، ومع ذلك ففي الامكان عدم اعتبار مثل هذا التمييز بين الشيوعيين كاحزاب ودول في موضوع فلسطين وتقدير الامور بهذا الشان على اساس ان « الكومينفورم » كان هو الذي يتولى توجيه السياسة الشيوعية العامة سواء في نطاق الدول او الاحزاب .

* * *

لعل الخطوات التي قطعها العرب في سبيل اتصالهم ببقية العالم ، والالتقاء مع مختلف الشعوب الاخرى بما فيها من نامية ومتقدمة ــ هو اوسع بكثير مما حققوه ــ اجماليا ــ في ميادين التنمية الاقتصادية والتنسيق الاجتماعي وما بسبيله ، وذلك طبعا اذا وضعنا الامر في ميزان تقدير اجمالي لا يخص قطرا عربيا معينا ، وانما يستوعب العالم العربي في مجموعه ، ومن ابرز النتائج التي لا بد ان ينتظرها المرء من توسع الصلات الفكرية هكذا بين العرب وبقية العالم ان تتعمق معرفة الشعوب الاخرى بحقائق القضية الفلسطينية وتتخذ على اساس ذلك ، الموقف المبدئي الذي يفرضه المنطق الانساني بهذا الشان ، وقد وقع بالفعل تقدم لا باس به في هذا الميدان بالنسبة لما كان عليه الامر سنة 1948 ، ويبدو الفلسطينية حاليا ، ومن وجهات النظر المختلفة في العالم التي يمكن للمرء ان يتبينها من خلال وضعية القضية من المناسب ان نتعرض ولو بسرعة بعض الظواهر الراهن حول هذه القضية ، ففي منطقة الغرب الاوربي والامريكي لا يزال الصهيونيون ينعمون بامكانيات واسعة للقول والعمل ، بيد ان الطرف العربي في النزاع ، وان كانت «اراؤه» لا تلقى قبولا يعتد به ، فهو لم يعد يتعرض لكل الاستخفاف الذي كان معرضا اليه على نطاق واسع فيما قبل .

في منطقة الجنوب الامريكي (امريكا اللاتينية) يجد الصهيونيون ايضا مجالا واسعا ، ولكن الحضور العربي في المنطقة ــ معززا بالوسائل الاقناعية اللازمة ــ يمكن ان يحدث بعض التطور في هذه الحالة ، وذلك نظرا للتجاذب الذي يحتمل ان يتسع مداه بين جنوب القارة الامريكية والعالم الثالث ــ بما فيه العالم العربي بالطبع ــ وهذا التجاذب ناتج في مبدئه عن الرغبة المشتركة في التعاون من اجل محاربة التخلف ، وتوسيع نطاق المبادلات المختلفة ، بين الجانبين ، وقد طرا اخيرا بعض الفتور على قوة التجاذب هذه ، ولكن حالة الفتور او الحركية في المحيط الدولي لا تعرف استقرارا ، وهناك عوامل مختلفة تجعل حالة التعاون بين الدول المتخلفة ، وشبه المتخلفة حتمية اساسية لا محيد عنها ، فهل تستطيع بعض الاعتبارات السياسية ان تقاوم حتمية قوية من هذا القبيل وبصورة غير محدودة ؟

اما بالنسبة للقارتين افريقيا واسيا ــ ويقع الشرق الاوسط العربي في وضع المحور منهما ــ فقد حققت اسرائيل توسعا تجاريا وفكريا كبيرا خلال السنوات الاخيرة ، غير ان ازدياد الاتصال بين العرب ومختلف الشعوب الافريقية الاسيوية ــ ضمن اطار فكرة الحياد ومحاربة التخلف ــ من شانه ان يساعد ــ مبدئيا ــ على التقليص من حجم العلاقات الاسرائيلية في ربوع القارتين ، ولو بصورة بطيئة جدا ، بحيث يبدو ان الامر قد يستغرق زمنا طويلا قبل ان يصبح حقيقة واقعية .

وفي الشرق الاقصى وجنوب شرقي اسيا يفقد الصهيونيون مراكز حساسة جدا كالصين الشعبية مثلا ، فاذا تم هذا فانهم سيفقدون بالتبعية اقطارا عديدة في المنطقة تتأثر بالنفوذ الصيني على بقاع مختلفة .

اما على مستوى العالم الاسلامي فهناك تطورات فكرية لا باس بها ، ومحاولات انبعاث وتضامن اذا ما نجحت ــ متبلورة في حركة منظمة ــ فان اسرائيل يمكن ان تخسر في اقطار اسلامية عديدة جولات تعتمدها الان كثيرا .

وفي الاتحاد السوفياتي تلاحظ تطورات مهمة بهذا الصدد ، فمنذ اواخر الخمسينات بدأ يحدث تغير تدريجي في موقف السوفييت من اسرائيل ، بل ان العلاقات الروسية الاسرائيلية قد ساءت في بعض الفترات

لدرجة كبيرة جدا بحيث صارت تشكل صورة ازمة حقيقيـــة

* * *

وما ذا اذن ـ بعد كل هذا ، عن موقف الاحزاب اليسارية غير الحاكمة من اسرائيل بعد التطورات التي عرفتها حركة الالتقاء بين الشعوب والحريات الفكرية في السنين العشر الاخيرة ، وبعد ان تبلورت المواقف في الشرق الاوسط بصورة تكفي لاتخاذ موقف ثابت وواضح من المشكلة القائمة بين العرب والصهيونية في المنطقة ، لقد سبق لكثير من الاحزاب اليسارية ان تبنت في موضوع القضية الفلسطينية اراء ومواقف يمكن للمرء كما تقدم ان يلتمس لها مبررات ترجع الى طبيعة الوضع العالمي اذ ذاك ، ونوع الاحوال السائدة ايضا في الشرق الاوسط ، فهناك من اوساط اليسار الاوربي من ابدى نوعا من التاييد المتحمس لقيام اسرائيل ، وقليل من اليسار بين من ابدى نحو المشكلة نوعا من اللا مبالاة التي تعني عدم الحماس للدولة الصهيونية ، ولا يظهر انه كان هناك في اوساط اليساريين الاوربيين من اشتراكيين وغيرهم من ابدى تفهما لوجهة النظر العربية او عطفا عليها ، اما في منطقة الشرق نفسها فان الاحزاب الشيوعية المحلية (الحزب الشيوعي السوري مثلا) لم تتردد في مساندة قرار الامم المتحدة القاضي بالتقسيم (1947) بل ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي نفسه ، وان دأب على انتقاد سياسة الحزب الحاكم في اسرائيل الى حد اتهام السلطات الاسرائيلية بالعدوان ضد الدول العربية فان صفوفه قد انبثقت عنها في وقت من الاوقات جماعات تمنح الولاء لسياسة القوة والمهيمنين على تطبيق هذه السياسة من حزب رئيس الوزارة الاسرائيلية السابق ، اما الاحزاب والمنظمات في الخارج التي تنتسب الى اليسار الدولي بصفة او اخرى ، او تعمل على الاقل تحت عناوين يسارية ، وان كانت وجهتها العامة لا تطبق مع روح اليسار وفلسفته دائما ، هذه الاحزاب التي نجدها في جملتها لا تقف من الحق العربي في فلسطين الموقف الذي ينتظره المرء اذا ما تمسك بحدود المنطق الذي توحي به فلسفة هذه الاحزاب نفسها ، ونظرتها الى القضايا العامة سواء من الزاوية النظرية او العملية ، فما هي سمات اسرائيل وعوامل وجودها اذا وضعنا هذه الدولة امام المرآة اليسارية وحاولنا ان نتفحصها على ضوء العقلية التي تسود الاتجاه اليساري في العالم ؟

1) هل اسرائيل تقوم في جوهرها على قاعدة فكرية تقدمية طبقا لمفهوم التقدمية كما يراه اليساريون واذا كان الامر كذلك ، فكيف يعلل انها تستند في قيامها على حالة من التعصب المنغلق الذي لم يعد له وجود الا في اذهان اشد الناس رجعية في العالم ، واكثرهم اغراقا في (الشوفينية) والا فما بالك بدولة لا تعتبر مواطنا حقيقيا لها الا من كان يهوديا وهي دائبة على تصيد اليهود من مختلف الجنسيات لصهرهم في قالب النظام الجديد على اساس طائفي متقوقع وان كانت الديبلوماسية الاسرائيلية تحاول دائما التفتح على العالم لاغراض تتعلق بالستراتيجية السياسية اكثر مما تتصل بروح حقيقية لها فاعلية ما في هذا المقام .

2) هل توجد اسرائيل منفصلة عن ركب الامبريالية والاستعمار الجديد في العالم ؟ وهل تتخذ موقف المناوأة ضدهما ؟ واذا كان الامر هكذا فلما ذا تكاد اسرائيل تحصر مواردها الاساسية في العالم ضمن منطقة معينة هي منطقة الغرب ، بحيث ان جهازها الدعائي والمادي ومواردها السياسية والاقتصادية والتقنية وغيرها تتركز في هذه المنطقة اكثر من اي ناحية اخرى في الارض ، ثم انها لم تتخذ يوما ما موقفا عمليا ضد سياسة الاحلاف الدولية) وان كانت تفتعل عنوانا حياديا تتمسك به تمسكا ستراتيجيا لا غير وعند ما اعلنت بعض المذاهب اللاحيادية في منطقة الشرق الاوسط كمذهب ملء الفراغ في المنطقة الذي عرض على شعوب المنطقة في اعقاب حوادث السويس (1957) ورفضته اغلبية البلدان المعنية بالامر هناك تمسكت اسرائيل نحوه حينئذ بموقف غامض بل انها كانت تذهب احيانا الى التعريض بالمناوئين له ، ونشر البلبلة حول الموضوع بكامله في المنطقة العربية وهذا مثال من امثلة عدة يعللها ان عددا من القائمين على اسرائيل يمتون بصلة مباشرة او ضمنية لاوساط رجال المال والاعمال في الغرب ، وترتبط مصالحهم بالتالي بمصالح الاحلاف والكتل اللا حيادية في العالم واللا حيادية تعني امكانية العمل ولو بصورة غير مباشرة لصالح كتلة دولية اخرى ،

واسرائيل مرتبطة عضويا وجوهريا بالغرب فبسيط تصور الجهة الدوليه التي يمكن ان تكون ضدها او انها تعمل ضدها فعلا بشكل ملتو وغير مباشر .

3) هل تقف اسرائيل موقفا مواليا لحركات الانبعاث للتحرر في العالم الثالث ، وهل تسهم ولو نظريا في التطور العالمي الواقع بهذا الشأن او تتخذ منه على الأقل موقفا سلبيا او شبه سلبي ؟ لكن كيف يمكن تفسير سياسة اسرائيل من التطورات التي ادت خلال الخمسينات واوائل الستينات الى استقلال الكثرة من الاقطار الافريقية ؟ هل ساندت اسرائيل واحدا من هذه الاقطار في عملها النضالي من اجل الاستقلال مساندة حقيقية وعملية سواء في الميدان الديبلوماسي او العسكري او غيره ؟ ثم ما ذا كان اسهام اسرائيل في مظاهرة المواقف المبدئية والسياسية التي تلتزم بها افريقيا حول الكونغو واتحاد جنوب افريقيا وروديسيا ومجموعة مناطق الحكم البرتغالي بالقارة ؟ بل هناك موضوع للتساؤل:هل التزمت اسرائيل حتى بموقف سلبي من تطورات العمل التحريري بافريقيا وغيرها ؟ ان الصيغ التي ما انفكت الدعاية الصهيونية تتبناها حول التطورات بالعالم الثالث ثم موقف الدولة الصهيونية من ذلك داخل الامم المتحدة ايضا ، كل هذا لا يمكن المراقب الاجنبي من استبانة خطوط سياسة اسرائيلية ، تتسم على الاقل باللامبالاة البريئة ازاء الاستعمار ان لم تمارس مضادته وحده ، فقد دابت اسرائيل على بذل نشاط دعائي قوي ضد المؤتمرات الافريقية الاسيوية كلما كان هناك مجتمع دولي من هذا القبيل ، ولم تكن اسرائيل تبذل اي جهد داخل الامم المتحدة للاخذ بناصر القضايا الافريقية والاسيوية التي تعرض على المنظمة ضد الاوضاع الاستعمارية السابقة بالقارتين ، حتى اذا ما اسفرت اندفاعة التاريخ الحتمية عن تصفية الامبريالية هنا وهناك في شتى انحاء العالم الثالث بادر الاسرائيليون الى اقامة الروابط مع الاقطار الحديثة عهد بالاستقلال، والنفوذ عبر ذلك الى مواردها الاقتصادية الثرية ، واكتساب مواطىء القدم السياسية والفكرية فيها ، واتخاذ القواعد فيها لمناوءة العالم العربي ، ومحاولة تفكيك الصلة النضالية التي تربط بينه وبين العالم الثالث ، ضمن حدود الحركة الدولية الحديثة المناوئة للتخلف والتبعية والرجعية .

فهل هذه العوامل التي اشرنا اليها ، وهناك الكثير مما لم يستوعبه المجال الضيق المتوافر هنا ، هل كل هذا هو ما يحمل اليسار الدولي على مهادنة اسرائيل ، واتخاذ موقف اللامبالاة ازاءها ، ويحمل جهات كثيرة من هذا اليسار على التحمس للدولة الصهيونية والعطف البالغ عليها ، بل وتشديد الحملة احيانا على الدول العربية من اجلها ؟ لسنا نهزل فنقول ان هذه العوامل هي التي تنمي حظوظ الصهيونية عند اليسارية الدولية ، الا ان استبعاد الهزل هنا او التزام الجد لا يضمن العثور على تفسير كامل لمثل هذه الظاهرة الغريبة ، فقد اهتبلت الدولية الاشتراكية فرصة انعقاد مؤتمرها الدولي بحيفا (اسرائيل) خلال شهر يونيه 1960 فحولت هذا المؤتمر من جمع ايديولوجي الى مظاهرة سياسية لتدعيم اسرائيل ضد شعب فلسطين المتشرد ، وقبل هذا المؤتمر وبعده ما برحت الاحزاب الاشتراكية باوربا – عن طريق صحفها وندواتها ووسائلها المختلفة ، تعبر عن وجهات نظر لا تقيم الوزن – في جوهرها – الا لاسرائيل – وان كانت بعض الجهات الاشتراكية ، كالجناح الاكثر يسارية في حزب العمال البريطاني قد عبرت في وقت من الاوقات (سنة 1960) عن تمنيات خيالية لحل مفترض يسبقه اتحاد في العمل بين الاشتراكيين اليهود والعرب على اسس تافهة ومغرقة في السطحية ، وخارج نطاق التمنيات من هذا القبيل ، فاننا نجد ان بعض الاحزاب الاشتراكية في اوربا لم تقتصر على مجرد المساندة النظرية لاسرائيل ، بل تكتلت معها ، على تنظيم غزو مسلح ضد بقايا الوجود العربي في فلسطين ، واذا كانت الدوافع حينذاك مختلفة بعض الشيء، فان النتيجة–وهي تصفية ءاخر ءاثار الحق العربي في فلسطين ، كانت ممكنة جدا لو امكن للاحتلال الاسرائيلي لمدينة غزة والقطاع الصغير الذي تقع فيه ان يستتم اهدافه ويتركز بصورة نهائية .

ولا يختص الاشتراكيون الاوربيون باتخاذ مثل هذا الموقف ، من مسألة النزاع العربي اليهودي في فلسطين بل ان عددا من الاحزاب الاشتراكية في ا سيا وافريقيا لم تتردد في تبني مواقف من هذا النوع او ما يماثله بوجه او باخر ، وتتراوح المواقف هذه ، من درجة الحماس المطلق لاسرائيل وحمل لواء العداء السافر للعرب الى انتهاز مواقف مائعة وغير اصيلة في

الموضوع ، تتسم بالهروبية الاخلاقية ، وعدم وجود قاعدة مبدئية صحيحة ، الى اللامبالاة بالامر اطلاقا .

وهناك من الاحزاب الاشتراكية في افريقيا السوداء من داب على بذل بعض العناية بامر فلسطين وابداء بعض التايد لقضية الوجود العربي في الارض التي تسيطر عليها اسرائيل غير ان مثل هذا التايد المبدئي لا يدعو دائما الاخذين به الى التزام موقف عملي وصارم في الموضوع ، ولذا فان مساندة مبدئية من هذا القبيل ، لا يمكن اعتمادها جديا في الوقت الحاضر ، وان كان من الممكن التعويل عليها في المستقبل ، اذا ما تطورت واخذت اشكالا التزامية حقيقية واذا ما تركنا الاشتراكيين ، واستطلعنا جلية الامر بالنسبة للشيوعيين وموقفهم من فلسطين فاننا سنلاحظ اولا ـ وكما تقدم ـ حالات التارجح التي عرفتها المواقف الشيوعية بالنسبة لقضية العرب واسرائيل منذ ابتداء النزاع بين الجانبين قبل سبع عشرة سنة ، واذا ما اغضينا عن التارجحات السابقة ، فسنجد ان الشيوعيين قد باتوا الان ـ لاسباب دولية مختلفة ـ اقرب من غيرهم من القطاعات الدولية اليسارية الاخرى ـ الى مجافاة اسرائيل وان كانت العلاقات مع اسرائيل لم تنقطع والاسباب الداعية الى مشاحنتها ليست دائما اسبابا عربية ، وبصورة التزامية كاملة وموجب هذا القول ينسحب على مختلف الاحزاب الشيوعية في العالم ، بما فيها الجماعات الشيوعية في البلاد العربية ، وبالاخص منها اقطار الشرق العربي ، غير انه للمرء ان يلاحظ بهذا الشان نشوء مبادرة دولية جديدة حول الموضوع هي التي تتمثل في موقف الاحزاب الشيوعية المدعوة بالمحافظة وفي طليعتها الحزب الشيوعي الصيني ، فقد داب هذا الحزب في الفترة الاخيرة على اتخاذ مواقف ملفتة للنظرية (تصريحات ـ تجمعات ـ مقالات ـ الخ ..) تدل في عمومها على مساندة ملحوظة للحق العربي في فلسطين، وان كان من الصعب الان تقدير درجة هذه المساندة ، ومداها النفساني والسياسي تقديرا موضوعيا ومضمون النتائج .

وندع الاحزاب الشيوعية والاشتراكية جانبا لنعود مرة اخرى الى الحزب الشيوعي القائم باسرائيل ، والذي وان كان يعد من الاحزاب الصغيرة داخل الدولة الصهيونية فانه يبدي نشاطا ملحوظا على الاخص من الناحية الدعائية ، وقد تعرض هذا الحزب لكثير من التقلبات العقائدية اضطرته اليها ظروف المشكلة الفلسطينية الشاذة ، وفي خضم هذه التقلبات يجاهد الحزب في ان يظهر بالمحافظة على خطة اكثر انسانية وتحرريه في نظره ، بالنسبة لمشكلة فلسطين فهو ينتقد سياسة السباق نحو التسلح التي تنهجها الدولة الصهيونية ويشجب حملة سيناء والمغامرة الاسرائيلية ضد مصر (اكتوبر 1956) كما يرفض الادعاء الاسرائيلي بان الحملة تلك ، تمت تحت تاثير دوافع مستقلة ، وعلى نحو يستبعد التواطؤ في ذلك مع الحكومة الاشتراكية التي كانت قائمة اذ ذاك بفرنسا ، بالاضافة الى حكومة المحافظين الانجليز ، وياخذ الشيوعيون كذلك على اسرائيل ما تسم به من تشبث بالروح العسكرية ، والتزام بمساندة القوى الامبريالية العالمية ، هذا الى سياستها التوسعية ، ونزوعها الى فرض الصلح على العرب عن طريق الاكراه المباشر ، وممارستها الدائمة لطريقة التهديد المكشوف ، ويطرح الشيوعيون الاسرائيليون ـ من جهة اخرى ـ مشكلة اللاجئين العرب ، وينتقدون تصامم اسرائيل عنها ، ورفضها المستمر لايجاد حل لها ، وعلى اساس كل ذلك ، يقرر الشيوعيون في الموضوع جملة استنتاجات ، منها ان اسرائيل ـ بوضعها الحالي ـ قد فشلت فشلا ذريعا وان التضامن بين العرب وشعوب اسيا وافريقيا ليس من شانه ان يجعل مهمة المسؤولين الاسرائيليين مهمة ميسورة ، هذا الى مجموعة من الاستنتاجات الاخرى على هذه الوتيرة ، ويعرض الشيوعيون الاسرائيليون مقترحاتهم (الايجابية) لتصفية المعضلة ، معضلة النزاع العربي اليهودي ، ووضع الامور ـ بهذا الصدد ـ في موضعها (الصحيح الحاسم) يعرضون ذلك فيما ياتي :

1) الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني .

2) السماح للاجئين بالعودة الى ديارهم ، واعطائهم تعويضات وذلك طبعا بالنسبة لمن يرغب في ذلك منهم .

3) الوقوف بصرامة ضد القوى الامبريالية التي تتدخل في منطقة الشرق الاوسط بقصد تعكير الحالة في المنطقة ، واجتلاب المغانم الناشئة عن ذلك .

4) اعتبار وحدة العمل الجماعي ضد التسربات الامبريالية خير بديل عن حالة الصراع الدائر بين الطرفين ، والذي هو – في نظر الشيوعيين – صراع عقيم يورث نيرانه حكامهم الرجعيون

* * *

يشدد الشيوعيون الاسرائيليون على مثل هذه المقترحات باعتبارها قادرة على وضع حد نهائي للمشكلة الفلسطينية وتخليص اسرائيل من جو الكراهية الذي يحيط بها في عموم المنطقة العربية ، وبغض الطرف عن قدرة هذه المقترحات او عدم قدرتها على الايفاء بحل معقول وسليم ، وبصرف النظر كذلك عن وجهة النظر العربية في الموضوع ، فان الحلول المقترحة هكذا لا تؤدي في النتيجة الى اقرار اوضاع يرضى عنها الشيوعيون انفسهم ، والامر في هذا المجال يتعلق بالكيان الاسرائيلي ذاته ، فالدولة الصهيونية هي ذات ارتباط عضوي بالاحتكارات الصناعية والتجارية والاعلامية الضخمة في الغرب، وتستمد من هذا الارتباط قوتها في شتى الميادين وبصورة غير محدودة ، والقول هكذا ليس من قبيل الاتهامات الجزافية بل انه يعبر عن واقع يلمسه المرء من دراسة القوى الاجتماعية العاملة في محيط الاقتصاد الغربي ويلمسه كذلك من تحليل الاقتصاد الاسرائيلي نفسه ، ومن تتبع العوامل المؤثرة في كيان هذا الاقتصاد ثم يرى كل ذلك ايضا من خلال السياسة العامة لاسرائيل ، وعلاقتها بابنائها وبالعالم ، فاذا تقرر هذا ، والشواهد عليه يمكن ان تؤخذ من الاسرائيليين انفسهم – من خلال احصائياتهم وتقاريرهم المختلفة – فكيف تستقيم صبغة هذه الدولة المدينة بوجودها الاقتصادي لجهات معينة في العالم – مع ما يامله الشيوعيون لها من تحرر من العقد الامبريالية ، وانقلاب في الروح العامة التي تسيطر عليها ، ان للعرب رايا في اسرائيل يبلغ في راديكاليته وشموليته حدا يتناول كيان هذه الدولة من اساسه ولا ينظر الى التفاصيل من نوع المعروضة انفا ، غير ان النظرة العلمية للشيوعيين تقتضيهم ان يتبينوا الامر من كافة وجوهه ، ومن خلال كنهه وخصائصه ، وتحمل اسرائيل من بين ما تحمل من خصائص ، جملة التناقضات الحتمية التي تجعلها دائما امام اختيارات درامية وحادة ، فهي اما ان تبقى على ارتباطها الصميمي بالقوات الاقتصادية والسياسية الموصوفة بالامبريالية واما ان تفقد سندا اساسيا ، يغدو استقلالها وكيانها بعده مجرد احتمال معرض للانواء ، سواء منها الانواء الداخلية ذات المنشأ الاقتصادي والاجتماعي او الانواء الاقليمية الاتية من الجو المحموم الذي تعيش في اتونه داخل المنطقة العربية او الانواء الدولية التي يمكن ان تعنف يوما ما ، وتصبح مهددة نتيجة التحول البطيء ولكنه مستمر الذي يسجله ميزان العلاقات الاسرائيلية في افريقيا واسيا ، وداخل المعسكر الدولي الشيوعي بقسميه السوفياتي والصيني والقوى المرتبطة بهذين القسمين

* * *

ان الشيوعيين الاسرائيليين لا بد انهم يعيشون حالة ماساوية حقيقية سواء على الصعيد العقائدي او التكتيكي، وذلك نظرا لانهم يصطدمون باستمرار – في نشاطهم الفكري والسياسي – بكل تناقضات الكيان الاسرائيلي ومفارقاته الحتمية ، وذلك من شانه الا يترك لهم مجال الاختيار الا في امرين : اما الالتزام بالعقائدية التي ياخذون بها بكل ما تضعه من اختيارات سياسية على الصعيد المحلي ، والدولي والالتزام هكذا لا بد ان يقودهم في نهاية التحليل – الى انكار الكيان الاسرائيلي ، او بالاقل الشك في سلامة الاسس التي يقوم عليها هذا الكيان . واما ان يجاروا التيار الفكري العام، الذي يجتاح الكيان الاسرائيلي تحت تاثير التوجيه المنسق الذي تشرف عليه الحركة الصهيونية العالمية وفي هذه الحالة فانهم قد يسلمون من الاصطدام بالتناقضات الحتمية الاسرائيلية ولكنهم سيتعرضون لحتمية التناقض مع انفسهم كشيوعيين ومع الخط الفكري والعقائدي والسياسي الذي يقوم عليه وجود اية حركة شيوعية سواء كانت ذات نزعة محافظة او مجددة.

ولا يبدو ان الشيوعيين الاسرائيليين مستعدون الان لتقبل نتائج مراجعة دراماتيكية لمواقفهم على هذا النحو او ما يسائله ، ولكن حدة التناقضات الفكرية التي يتعرض لها كل من يحاول الخوض في امر الكيان الاسرائيلي والناتجة عن الاصطدام بين المثاليات النظرية وبين الواقع الذي يعيشه هذا الكيان المقام في فلسطين – ان حدة التناقضات من هذا القبيل التي ينتظر لها ان تزداد استفحالا سوف لا تترك مجالا للالتزام بما توحي به العقيدة الصلبة الجازمة .

سلا – المهدي البرجالي

قصة العدد



نحن في سنة 1954 ، والمقاومة على أشدها ، اذ ظهرت في الميدان ، منظمات جديدة ، بجانب منظمتنا التي كانت وحدها ، أول الامر . كانت « عملياتنا » تنجز باحكام ، ورصيد منظمتنا منها كان عظيما . وقد تناهى الى « آذاننا » ان حملة تفتيش ستقوم بها السلطة الفرنسية ، في الحي الذي يوجد به المركز الرئيسي لمنظمتنا . ومن ثم صدرت الينا أوامر : « الكف عن كل نشاط قبل صدور تعليمات جديدة ، افراغ المركز الرئيسي من الذخيرة ، وكل اثر مشبوه ، توزيع الذخيرة باقساط صغيرة على مراكز جديدة متفرقة . » فشرعنا في التنفيذ .

كان دوري ان أعمل مع احد الرفقاء ، على اخفاء ثلاث حقائب من السلاح ، تحت مسؤوليتنا الخاصة . ويجب ان أذكر ، ان هذه اول مرة اتحمل فيها « مسؤولية متحركة » ذلك ان عملي قبل ذلك ، كان ينحصر ، في اعداد المنشورات ، والسهر على وثائق المنظمة ... اما رفيقي ، فكان من رجال « العمليات » الممتازين يحظى بمكانة عظمى في المنظمة . وكنت اجد فيه عيبين اوليين : انه أمي ، لايعرف الا ارقاما بسيطة، ويتبين بعض الحروف بصعوبة ، والواقع ان هذه لا خطر منها ، اذ كان جل الرفاق اشباه اميين ، لايتجاوزون مستواه الا بقليل ثم ان به سذاجة ، تتنافى واصول العمل ، تدفعه الى سرعة التصديق ، والثقة بأول لاق . وطالما حدثت نفسي : « اذا افشي سرنا يوما ، فعن طريق هذا الصديق حتما » ذلك ان ثقته بالناس او بـ « الشعب » على حد قوله ، كانت تجعله يقدم دائما ، وباستمرار ، اعضاء جددا الى المنظمة ؛ وعندما تنهال عليه أسئلة الرفاق عن التحريات التي قام بها ، لاختيار العضو الجديد ، يكتفي ان يؤكد بلا مبالاة ، وباعتزاز : « انا اعرف » . وبطبيعة سني، ومعلومات الدراسة الثانوية الطرية التي كنت احملها ، والتي كانت تتطلب البرهنة الهندسية ، كنت اغتاظ من جوابه . ومع ان ظنه لم يخب قط ، فقد كنت أعلم انه دائما على خطأ ، اذ العبرة عندي ، كانت ، بالمبادىء بالاصول ، ونقط البداية . ونقطة البداية ، عندي، فيما كنا نقوم به من عمل ، كانت الشك في كل انسان، وكل شيء . كنت دائما استحضر في ذهني ؛ ما قرأته في احدى القصص : « ان للجدران آذانا » . وفي منطقي هذا ، كنت حريا ان انتصر لمن اتبع طريق الشك والحرص والتكتم ، فخاب في النتيجة ؛ على الذي يعتمد التصديق والسذاجة وينجح في كل مهمة .

وكانت لرفيقي، «استثناءات» كثيرة تزيد معارضتي له وتقويها ؛ فقد كان في الاجتماعات ، يقرر الفكرة ، ثم ما يلبث بعد ذلك ، ان يقرر ماينافيها ، فاذا ما اعترض عليه « ولكنك قلت ... » ، لم يتردد في ان يجيب بلا مبالاة ، وكأنه يهش ذبابة عن اذنه اليمنى بيده : « نعم ولكن هنا لا يمكن »

من هنا قدرت الصعوبة المعنوية ، التي ساجدها في العمل مع هذا الرفيق ؛ لاسيما وان تفاصيل مهمتنا غير مرسومة من « أعلى » ، وانما سنتصرف حسب عبقريتنا . لهذا وطنت نفسي على ان اترك الامر لرفيقي ، واكتفي بمشاركته التنفيذ . وكان موقفي هذا وجيها ، لعدة أسباب منها انه اقدر مني واسبق في العمليات ؛ وان حاسته في العمل لم تخطىء قط . والواقع انني عدا هذه الاسباب ، كنت مقتنعا داخليا بانني أعجز عن تقرير شيء ، عندما تتشعب الطرق،

بالرغم من انني كنت بارعا في المناقشة اذ ان الطـرق كلها . كانت تنفتح امامي ، والاحتمالات جميعا تتراكم، وفي النهاية اقف عاجزا عن الاختيـار امـام ركـام التصورات والافتراضات ...

تحركت بنا السيارة ، صاحبي الى عجلة القيادة، والحقائب الثقيلة خلفنا تحت المقاعد ، واعلان « عجلات ميشلان الجيدة » صارخا على هيكل السيارة .

كان من رايي ان محتوى الحقائب يجب ان يوزع داخل المقاعد ، وبين مطاط العجلات ، ولكـن صاحبي راى في ذلك اسلوبا قديما في العمل ؛ وهو « يعرف » طبعا ، في كل لحظة كنا مهددين ، بأن توقفنا ، جماعات الجنود ، والشرطة المسلحة ، المنبثة عند كل خطـوة، ولكننا مع ذلك قطعنا المدينة الكبيرة ، من اقصاها الـى اقصاها ، مارين بأكبر الشوارع ، دون ان يعترضنـا حادث وسألت صديقي اخيرا ، وهو يتجه صوب شارع قصير مغلق مـن احـد طرفيـه ، في احـد الاحيـاء « الاوربية » اذ ذاك :

ــ الى ايـن ؟

ــ هنا ، واشار الى كـراج كبير لمبيت السيارات تجثم فوقه بناية من ثلاث طبقات . تركني انتظر وغـاب في الداخل ، بدا لي ان المكان صالـح كمخبـا ، فرأس الشارع وان كان مغلقا ؛ مما يسمه بالهدوء الذي يجلب الشبهات ، الا ان حركة السيارات المستمـرة دخـولا وخروجا من الكراج ، تدفـع كـل ريبـة ، انما ... وانتشلت من افكاري بخروج صاحبي ، ومعه رجـل قصير ممتليء ، ابيض البشـرة بشكـل ملحـوظ ؛ يتخاطبان بالاشارة ...

سألت صاحبي وقد عاد الي :

ــ مـن هـو ؟
ــ لحسن ، حارس الكراج . ابكم أصم .
ــ لكـن هـل ؟ ..
ــ لا خوف . الكراج في ملك اوربي ، يسكن بعيدا وخلف الكراج ، في الداخل ، مسكن من غرفتين للحارس ، لايستعمـل الاصـم الا احداهمـا، وسيترك لنا الاخرى ...

ــ لكن من هو ؟ وكيف تثق به ؟ !
الاصم ؟ لاخوف منه . لو كان الجميع مثله... كان يعمل معي في البناء منذ اكثر من سنتين، كان يخلط لي العجنـة ...

ــ لكنك لم تره منذ سنتين ، ثم انه ...
ــ لاتخف ... اعرف قلبـه !

جعلنا السيارة ، في أعمق ركن داخل الكـراج ، واحتللنا احدى الغرفتين ، في المسكن الذي يفصله عـن مبيت السيارات ، حائط له باب صغيـر في الوسـط، وقد تخلى لنا الاصم عـن حشيتين من الحلفا كـان يستريح عليهما ، وسرير حديدي قديم ، ناقلا بعـض فراشه وادوات الطبخ البسيطة معه الى الغرفة الثانية. جعلنا الحقائب تحت السريـر ومـن احتياطاتنا ، ان أحدنا فقط ، هو الذي كان يخرج ، الى بقال معيـن، حيث يأتينا بالمؤونة ، وحيث يجـد الاخبار والتعليمات الجديدة ، اما الاصم فكان يخرج الى عمله باكرا ، ويعود الينا حوالي التاسعة صباحا لتناول طعام الافطار ثم يخرج ولا يدخل المسكين بعد ذلك ، الا اوقات الاكل

مضت بنا ثلاثة ايام ، حين ورد امر جديـد : ان يكف افرادنا عن الخروج ، الا عنـد الضرورة القصوى، ويفكروا بوسائل جديدة لربط الاتصال . وكان معنـى هذا عندي ان احد الرفقاء قد قبض ، او ان معلومـات عن منظمتنا تسربت الى البوليـس . جلسنـا نتـداول وقررنا اخيرا أن نستغـل « الرجـل الطيب » حسب تعبير رفيقي : وهكذا صحبت الاصم صباح الغد الـى البقال ، حيث عرفته بـه ، ولم انس ان انبهـه الى ان الاصم ليـس « منـا » ، وان عليه ان يحتاط في معاملته. اصبحنا نكتفي بأن نضع السلة امام غرفتنا وفيها ورقة المطلوبات ، وعندما يفتح الاصم الكـراج ، يعود عنـد اول فرصـة ليتوجه بها الى البقال . وهكـذا أصبحت قطع الزبدة والجبن والمعلبات تحمل الينا شتى الاخبار، ولكن ذلك لم يطـل ، اذ سرعـان ما خلت محتـويات السـلة من كل خبر . وانقطاع الاخبار في حد ذاته ليس ذا خطر ، ظروف كالتي كنا نجتازها ؛ لكنه اذا اضيف الى غيره كون داخلي ازمة حادة . فقد اقترن انقطـاع الاخبار بحادثين آخرين : ذات صباح اخطا آخر عـود ثقاب مكانه في الموقد ، فاحتجنا الى علبة منه ، وكـان الاصم في الكراج ، فاطللت من ثقب الباب الفاصل بين المسكن والكراج ، لاتبين خلو المكان قبـل فتـح الباب ومناداة الاصم ، فتبين لي الثقب انه يخاطب شخصـا . كنت ارى جيدا وجه الاصم ، اما الشخص الثاني فلـم يقابلني منه الا جزءه الخلفي . وخيل الي انني اعـرف هذا الشخص واجهدت ذاكرتي اين رايت هاته القفـا، والكتفين ... والوقفة .. و . ؟ فادركت انه متعاون مع البوليس الفرنسي . وعدت الى صاحبـي ليـرى،

ولكن الشخص كان قد انصرف . ناديت الاصم ، فطلبت منه ان يجلب لنا كبريتا ؛ ثم استوقفه صاحبي، وساله عمن كان يحادث ، فانكر ان يكون قد حدث أحدا ، وتمسك بقوله ، فلم نرد ان نلح ، وعندما انصرف اظهرت كامل ريبتي في الاصم :

— ليس بعيدا ان يكون الاصم قد اتصل بالبوليس وأن المواد التي تحملها السلة مستبدلة ؛ وهذا يفسر انقطاع الاخبار ، وزيارة المتعاون للاصم

ورد صاحبي في ثقة :

— الاصم لايفعل هذا ، لو كان الجميع مثله . . .

— ولكنه قد يكون مجبرا : ان تستوقفه الشرطة، مصادفة ، كما يقع للالاف ، في كل دقيقة . ويكتشف الامر .

— كان حريا به ان يعلمنا لو وقع ذلك

— يعلمك ؟ هل نسيت انه ليس منا ؟

— ليس منا ولكن قلبه معنا ، الشعب كله معنا، القلوب كلها .

ولم ارد ان اجدد النقاش في قضية « الشعب معنا » او « القلوب » التي تؤازرنا . فلقد كانت تثار باستمرار بين الرفاق ، جميعا . وكنت المعارض العنيف دائما : اي شعب معنا ؟ اية قلوب هاته التي لاتستطيع اطلاق رصاصة واحدة في وجه المستعمر ؟ وما جدوى هذا الحب « العذري » الذي تكنه لنا تلك القلوب ؟ لقد اهتزت قرنسا كلها ، بعظمتها وجلالها، واهتز معها العالم اجمع ؛ عندما رفع فرد واحد من الشعب يده بسكين . . . يد العمل . ولم تحرك ساكنا قبل ذلك ، لسنوات من التآزر الصامت . . .

وفي حوالي منتصف ليل ذلك اليوم ، وقد أوى الاصم الى فراشه ، وانا وصديقي منهمكان في تفقد بعض الاسلحة وتزييتها ، توقف صاحبي عن العمل، وارخى سمعه ؛ ثم اشار الي بالصمت والحذر ، وتناول مسدسه وقام بهدوء الى الباب ففتحه دفعة ، وقفز خارجا شاهرا مسدسه :

— من ؟

— ممم . . او . و . و . ها

وعرفت صوت الاصم ، ثم عاد صاحبي الي يقول:

— « اعطه الابريق . الاصم يبحث عنه لتهييء كاس شاي » وتبين ان الابريق في غرفته هو ، فاتضح في ذهني ان الاصم كان يسترق النظر ، من ثقب الباب، ولما فوجيء اخترع الابريق تعلة . كاس شاي في منتصف الليل ، حدث غريب ، لم يسبق له ان وقع من جانب الاصم . وبدا ان منطقي قد اخذ طريقه الى نفس صاحبي ، وان كان لايزال مترددا ، في ان الاصم يخون، فاطلت الكلام :

— هذا الاصم بهيمة لا اكثر ، يمكنهم ان يستميلوه بشتى الوسائل : الاغراء اولا ثم التخويف . انسيت وسائل التخويف ؟ من لهذه البهيمة ، ان تتغلب على عامل اصيل كالخوف ؟ انت نفسك تذكر ، ان الاصم كان يرتعد من صيحتك ، اذا ما اساء خلط العجنة ، او حتى اذا لم يسيء ، لانك كنت قد اتخذت خوفه لعبة تتسلى بها . . .

— لكن ما العمل ؟ اذا كان الاصم قد خان ، فنحن الآن تحت المراقبة

ولم نرد ان نغامر بالخروج ، في تلك الساعة من الليل ، وفي الصباح كنا مستعدين لاخلاء المخبأ . فقط ، كان يجب ان ننتظر حتى يخرج الاصم بالسلة، لنتمكن من حمل الحقائب الى السيارة ونخرج في غيبته . وما كاد يخرج بالسلة صباحا ، حتى كنا منهمكين في وضع الحقائب داخل السيارة . . .

— ممم . . عو . . آ .

كان الاصم قد عاد بسرعة منفعلا تتزاحم اشاراته ، نحو الشارع ، انطلقت خلفه واطللت ، كانت فرقة من حوالي عشرة من الجنود المسلحين ترابط، عند باب الدرب . ولاول مرة عشت لحظة الخطر . الخطر الحقيقي ، الذي حمله الرفاق على الدوام ، وكنت اسمع عنه . ان احسن ما في لحظة كهذه انك مجبر على المبادرة ، وان وجوه الاختيار تمحي ، فتذهب الحيرة والتشكك ، ولا يبقى سوى وجه واحد : العمل، ان آخر قد فكر لك ، ووضعك وجها لوجه امام العمل المباشر . ومهما يكن من تشككي ، بل يقيني بخيانة الاصم ، فقد كانت حاله تستدعي الرافة ، ابيض وجهه كالثلج ، وكان واضحا انه يعاني الموت ، في موقفه ازاء الحائط . ولم يكن الوقت متسعا للتفكير في امره ، فسحبناه الى غرفته ، ليبقى تحت مراقبتنا ، ثم وقفنا نتداول في صحن المسكن ، بعد أن ارتجنا جيدا الباب الفاصل بينه وبين الجراج .

لن ننتظر ، ورباط فرقة الحرس ، ليس الا خطوة اولى ، نحو عملية تفتيش شامل ، للحي كله . قد يكون ذلك بعد ساعة او ساعتين او يوم ، او ان العملية قد بدات فعلا في شارع مجاور . هذا اذا لم يكن البوليس على علم شامل بوضعنا . وعند هذه الفكرة وجدتني ارمي الفرقة المقلقة التي تضم الاصم بنظرة نارية . وخرج صاحبي عن تفكيره العميق :

— سنقتحم الحصار !

— معـاً ؟

— لا ، احدنا فقط ، بقنبلة في السلة . سيوقفونه لتفتيشه ، وخلال ذلك : يقع الانفجار ... ولحظة الذهول والاصابات ، كافية ، ليتفلت الآخر أثناءها بالسيـارة ...

كان معنى هذا ، موت احدنا ، ونجاة الآخر ؟ اما من طريقة اخرى للعمل ؟ اليس هناك امل في أن ينجو حامل القنبلة ؟ ان يلقيها ويفر مثلا ؟ درب مغلق ، وفي مخرجه الوحيد ترابط فرقة مسلحة ؛ لايوحي بغير طريقة واحدة للعمل . ينجو بها احدنا والذخيرة ، على افضل تقدير ، ان لم يكن الوضع اخطر . لكن من احدنا ؟ ومن الآخر ؟ وقلت لصاحبي :

— علي ، لقد سبقت لك عمليات ، اما انا فلم انل بعد هذا الشرف ....

— « صقر . كحل »

قالها بحزم ، وهو يفتش ، عن فلس في جيبه . تلك لهجته التي كان يفض بها نقاش المرشحين للعمليات ، في اجتماعات الرفاق . كنت استحسنها من قبل ، لكني الآن احسست بها كعامل حاد يمزق ذاتي .

— صقـر

— كحـل

وارتفع احدنا ، والآخر ، في الهواء على وجهي فلس ، من احدنا ؟ من الآخر ؟ كحل ؟ صقر ؟ واقتربنا من مسقط الفلس نتحقق .

— « صقـر »

قالها صاحبي بهدوء ، وهو يرجع الفلس الى جيبه . ووجمت . تقرر المصير اذن .. قررته اليد الخفية . هو احدنا ، وانا الآخر اذا . هل أعاود الرجاء في أن يتخلى لي عن العملية ؟ كبرياؤه ترفض ، وقواعد العمل ايضا . كيف افقده هكذا ، واحسست بأنني يجب ان اعانقه حتى نذوب معا . ومرت امامي ، وجوه غابت الى الابد . وانت ايضا سافقدك ايها الرفيق . وافقت من وجومي على صوته يخاطبني بصفاء :

— كن رجـلا .

لم انطق بحرف ، فعاد يقول :

— خائف ؟ هناك موتة واحدة . انشغل بالسيارة ، ادر المحرك ليسخن ..

وعندما ادرت المحرك ، كان قد تناول شيئا من احد الحقائب ، ثم ردها الى مكانها ، في مؤخر السيارة . عدت اليه ، فاذا هو يرسي اكبر قنبلة عندنا في قعر السلة ، كفيلة بان تصيب على عشرات الامتار ، وينتثر حاملها اشلاء ...

— هـذه .. ؟ :

— اجاب بهـدوء ..

— نعـم . هذه ، او لاشيء

اذكر انني اتحاشى النظر اليه منذ لعبة الفلس . كنت واقفا في الصحن ، اما هو فمنكفيء يعالج وضع القنبلة وتحديد زمنها ، وفي الكراج ، خارج المسكن الصغير ، كان صوت المحرك يملأ سمعنا ، كأنما يحثنا على السرعة . لقد بدأ كل شيء يعمل . وعاد صوت رفيقي صافيا يقول :

— عشر دقائق كافية هه ؟ سأكون بينهم عند تمامها . والآن الى مقعدك امام المقود .

كان اطول مني ، ويده على كتفي ، وهو يخاطبني مبتسما ، وكان ما يفتا يحدق في وجهي ، بينما اتحاشى نظراتـه .

— كن رجـلا .

قلت بصوت اجش :

— قد تكون هناك فرصة لنجاتك ، فلا تضيعها .

— لا تخـف

لم يبق اذن شيء يقال . وبدا الزمن يبدد احدنا والاخر . وضع صاحبي معطفه في السلة ، محيطا بالقنبلة من جوانبها زيادة في ارسائها ، وجريدة قديمة على أعلاها ، وسبقني الى الكراج

وعند باب السيارة ، والمحرك يهدر ، تلاقت نظراتنا ، فشددت على يده بقوة ، وانا اقول بصوت استعاد صفاءه :

ـ فكر بالشهداء : ولا تحسبن الذين قتلوا في ..

ـ سلم على الرفاق .

وظلت يدانا متماسكتين بقوة ، والعين في العين، ثم تراخنا ؛ والزمن يدب خلفنا والمحرك .. واتخطفت السلة ، فجاة ، من يد صاحبي ، وانطلقت بسرعة البرق . عدونا معا ، خلفها باقصى مانستطيع ، ولكن الاصم كان قد امتلك الشارع ، واستعاد سيره الهادىء ، والسلة في يمناه ، وبدا ان الجرس يستعد القائه حين نظرت الى صاحبي :

ـ ما العمل ؟

ـ ستنفجر حتما

ـ الى السيارة .

وتمططت الثواني ؛ ويداي على المقود ، والمحرك يهدر ، والتوجس ، واصابع صاحبي تضغط مسدسه في عصبية و .. واصمنا انفجار هائل فاندفعنا نتخطى الحصار ...

كنا خارج المدينة ، حين خاطبت صاحبي :

ـ رحمه الله ؛ كم شككت في امره .

ـ الاصم ؟ اعرف قلبه . لو كان الجميع مثله ...

م . ربيع



معرض الكتب :



صور ومشاهد من الحضارة الاسلامية

تاليف الأستاذ
عبد الهادي الحلادعا

تقديم وتعليق الأستاذ
عبد القادر زمامة

جـــزءان :
الاول 329 صفحـــة
الثاني 207 صفحـــة

ما يزال الكتاب الدراسي الاداة الاولى لعملية التكوين العلمي والادبي والروحي للنشء المفروض فيه ان يرتبط بالامة التي ينتسب اليها ارتباطا اساسه الفكر ، واداته اللغة ، وهدفه المعرفة ، باوسع معانيها ومجالاتهـــا ..

ولئن اتسعت آفاق التثقيف واساليبه الصامتة والناطقة فان الكتـــاب ـ ولا سيمـــا الدراسي ـ سيظـــل النبراس المتلالىء في سماء هذه الآفاق : يهدي الساري، ويرشد الحيران ، ويســـد كل فراغ تحدثـــه الاساليب الاخرى في الفكر ، واللغة والروح ..

فالكتاب الدراسي بمعناه الدقيق اذا احسن تاليفه واختياره وعرضه امام الطالب يكون بمنزلة المطيـــة الذلول التي تقدمها لمن يقدم على اجتياز المفـــازات الشائكة والمنعرجات الصعبة والمجاهيل الموحشة ..

والاستاذ المدرس المرتبط بعـــدد من الطـــلاب والتلاميذ : يعرف مداركهم ومشاكلهم وما يعانون من نقص هو الذي يحسن عـــادة تاليف الكتاب الدراسي واختياره وعرضه لانه بحكم تجربته الطويلة ومعرفتـــه الواسعة اقـــدر من غيـــره على اصابـــة الهدف بمهـــارة واقتدار ودقـــة .

وهذا ما اثار اهتمامي وشغل فكـــري في كل مرة اكون فيها مضطرا الى ـ اختيار ـ كتـــاب لطائفـــة من الطلاب والتلاميذ يكون عبء تكوينهم على كاهلي ...
وهذا ما وقع لي بالضبط وانا ـ اختار ـ لهم هذا الكتاب الذي اقدمه اليوم كنموذج لما يناله الكتاب الدراسي من جودة التاليف والاختيار والعرض ...

فهذا الكتاب « صور ومشاهد من الحضارة الاسلامية » ليس دراسة ولا بحثا يعتمد على مقدمة وتحليل ونتائج ولكنه « صور » « حية » و « مشاهدات » ناطقـــة اقتطفها المؤلف غضـــة طريـــة من امهـــات الكتـــب الادبيـــة والتاريخية في ازهى عصور الحضارة الاسلامية في بغداد ودمشق ، والقاهرة ، والقيروان ، وبجاية ، وتلمسان ، وفاس ، ومراكش ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطـــة ، وغيرها من الاقطار الاسلامية الكبرى

وعملية « الاقتطاف » عند المؤلف كما يظهر من كتابه لم تتم في ايام او شهور او سنة .... ولكنها استمرت عدة سنوات كـــان المؤلف فيهـــا استاذا لاجيال مـــرت وافواج عبرت الجسر في طريقها الى الحياة العامة .

وبعد هذه العملية عانى المؤلف عملية اخرى وهي عملية التنسيق والتبويب وجمع الاشباه والنظائر بعضها الى بعض ليكون الطالب امام هيكل حقيقي لمعطيات الحضارة الاسلامية في المسجد ، والمدرسة ، والمستشفى ، والبيت ، والقصر ، والحديقة ، والشارع ، والحمام ، ومجالس العلم ، ومنتديات الادب ، والحفلات العامة والخاصة ، والملاهي ، والمهرجانات ، والاعيـــاد ، والمواســـم ، والمناسبات ، وما الى ذلك ....

وهذا ما حمل المؤلف على ان يجعل لمقتطفاته ابوابا يشتمل كل منها على موضوع خاص في الحضارة الاسلامية وتكون تلك المقتطفات ازهارا يفوح اريجهـــا وتتـــلالا الوانها ناطقة بالماضي الحافل المجيد لامة سادت ثقافتها وحضارتها الشرق والغرب عدة قرون .... وسكت المؤلف لتتكلم مقتطفاته معبرة عما قصده من اعطاء صور حقيقية عن حضارة تنكر لها المتنكرون وتجاهلها المتجاهلون وآمن بها المومنون .... ولم يتكلم الا في اول الباب يهيء الطالب والتلميـــذ لحسن التفهـــم والتنبـــه ليعين

الحقائـق ويقدر النتائـج ويستمـر في ربط الماضـي بالحاضر على اساس سليم من الايمان الذاتي بمجـد اسلافـه ...

وفي كل قطعـة تجـد المؤلف يذكر مصدرهـا ويعرف براويها تعريفا مختصرا مع شـرح الكلمـات والعبارات شرحا لغويا او تاريخيا او اصطلاحيا حسب المقتضيات والاحوال ...

واذا درسنا هذه النصوص من الوجهة التاريخيـة وجدنا انها تكون مستندات لعدة موضوعات في اساليب الحكم والادارة والقضاء والشرطة والحسبـة والسكان والعادات والاخلاق والملل والنحل والمذاهب والاراء.

واذا درسناها من الوجهة الادبية وجدنا انها تكون رصيـدا من التراكيـب والعبارات والالفـاظ اللغويـة والاصطلاحية ما اجدر ذاكرة الطلاب بالاعتماد عليها في تكوين القاموس الشخصي الذي لا غنى عنه للتعبيـر الصحيح السليم والاسلوب الواضح المستقيم.

واذا درسنا من ناحية ثالثة وهي ناحية « التعريف» بامهات الكتب والموسوعات واشهر المؤلفيـن والرواة والرحالين والمؤرخين والكتاب والشعراء فاننا نجـد انفسنا امام مكتبة متنوعة في جد الحياة وهزلها وطريفها وتليدها .. فالمؤرخ الى جانب المغني ، والفيلسوف الى جانب الشاعر ، والرحالـة الى جانـب الفقيه ... والمسجد الى جانب المستشفى ، والحمام الى جانـب الملهى .. والبذخ والثراء ... الى جانـب الحرمان والشقاء ، والابطال والفاتحون الى جانب اهل الكدية والمشعوذين ...

واذا علمنا ان المؤلف اعطى لكل قطعة عنوانـا يناسبها من الجد او الهزل علمنا الى اي حد اراد ان يشوق الطلبة ويجذب انتباههم ويلفت نظرهم بمثـل هذه العناوين .

— بخيل في مجلس انس ..
— ازهار تبايع الورد ..
— الكتابة على التفاح ..
— ظبـاء تحلـب ..
— استاذ في ضروب الظرف وفنون الادب .
— اميرات يقدن قوافل الحج ..
— يسال عن كتاب في موسم عرفات ..
— المعالجة بالطرب ..

ولا شك ان حسن الاختيار والتبويـب مع اعطـاء عناوين لكل قطعة ليس عملا هينا يتم بين عشية وضحاها كما ان حسن العرض لا يتاتـى الا اذا عرف العارض الكيفية اللائقة باسلوب العرض ومزايا العرض المناسب وكل هذه الاشياء لا تحابي المؤلف ولا تجامله اذا وجدنا انه قد حالفه التوفيـق فيها .. وانه بذلك قـدم نموذجا للكتاب الدراسي وما ينبغـي ان يتوفر فيـه من عناصر ترجع قبل كل شيء الى ذوق المؤلف وتجربته وخبرته وروحه ...

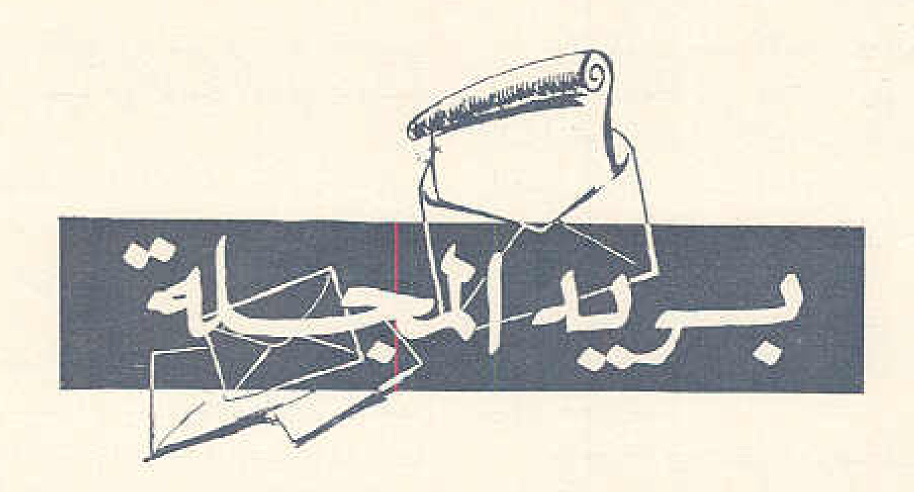
واخطر ما في الكتب الدراسية ان تؤلف على انها كتب وكفى .. تقدم معلومات ... وتشرح حقائق ... وتساير منهاجا ... من دون اهتمام برسالة تؤديها ... وروح تذكيها ... ومشاعر تنميها ... ومبادىء تغرسها ... ومثل عليا تنصبها ... في كل العلوم وفي كل الحقائق ... وفي كل الاساليب مهما كان نوعها ... وهذا ما يسمـى بالتوجيه في التعليم والتربية .. وكتابنا هذا قد اثلج الصدر بعدة خطوات في هذا السبيل

وقد اراد المؤلف ان يكون كتابه هذا معينـا لا ينضب لكل طالب او تلميذ اراد ان ينمي ثقافته العربية ويوسع معلوماته الادبية والتاريخية واللغوية ... فقدمه لابناء المدارس الثانوية وهو يعلم قبل غيره ان كتابنا مشحونا بمثل هذه المادة الغزيرة لن يقتصر النفع بـه على تلاميذ المدارس الثانوية وحدهم بـل ان بعـض المعلمين والاساتذة وكذلك طلبة الاداب سيجدون فيـه ضالتهم المنشودة بكل تاكيد ... نظرا لتنوع الموضوعات واختلاف اساليب كتاب الاصول التي اخذ منها المؤلف مقتطفاتـــــه ...

ونحن اذ نقدم هذا الكتاب لا نجهل الخط الفاصل بين التقديـم والتقريظ وبين اظهـار الحقيقة وتقديـم المجاملة ، فكتاب « صور ومشاهد من الحضارة الاسلامية » نموذج طيب للكتـاب الدراسـي في المكتبة المغربيـة الناهضة ... وهو ككل عمل انساني ، لا يخلو من نقص على حد تعبير مؤلفه نفسه في المقدمة

ولعل الحقيقة هي التي تملك التعبير عن نفسها في هدوء وايمان من غير احتياج الى شيء آخر ... وحقيقة هذا الكتـاب هي التـي اقنعتني اولا ... ولعلها تقنـع غيري ممن لا يريد شيئا غيرها ...

فاس : عبد القادر زمامة



القى الينا بريد المجلة خلال هذا الشهر طائفة من الكتب والمجلات والنشرات التي تصدر في المغرب وخارجه ، كما تسلمنا جملة رسائل ومكاتبات من مختلف انحاء العالم ، وكلها تشجيع وتنويه واشادة بالمجهود الذي نبذله مجلتنا في جميع حقول المعرفة والعرفان ، ونظرا لوفرة الرسائل العديدة التي نتلقاها من الهيآت الرسمية وغيرها سواء من الشرق او الغرب فان المجلة لايسعها الا ان تحيي جميع من كاتبوها ، وتثني على مبادرتهم وتلطفهم وعطفهم ، كما تكبر تقديرهم للمجهود الموصول الذي ما برحت اسرة المجلة تنهض به ، والذي يجد صدى بعيدا في كل مكان.

وجريا على عادتنا في هذا الباب الذي ننقل فيه لقرائنا الكرام كل ما يصل الينا من اصداء ادبية وعلمية وثقافية ، فقد خصصنا لهم فيه المواضيع التالية :

العراق في الشعر العربي والمهجري

اهدى الينا الدكتور محسن جمال الدين الاستاذ بكلية الاداب بجامعة بغداد كتابه : (العراق في الشعر العربي والمهجري)

وللدكتور محسن جمال الدين مؤلفات ودراسات وبحوث ومخطوطات مفيدة جدا ... فقد صدر له : (المستشرقون والاماكن المقدسة) و (ادباء بغداديون في الاندلس) و (رثاء هربين شاعر بغدادي ودمشقي) و (وصف الاندلس في معجم البلدان) و (صاعد البغدادي واثره في الحياة الادبية والاندلس) .

وسوف يصدر للمؤلف : (الاغتيالات السياسية في تاريخ البلاد العربية) و (في ميادين الاستشراق العربي الاسباني) و (ذيل : العذارى المائسات ، في الازجال والموشحات) و (الشعراء المنفيون) ....

والكتاب الذي بين ايدينا (العراق في الشعر العربي والمهجري) يتحدث عن العراق قديما وحديثا، ونصيب العراق اليوم من الادب العربي المعاصر ، والشعر الحديث .

فالاحداث التاريخية والاجتماعية التي مرت على بلاد العراق ، لها صداها الروحي ، في نفوس الادباء المتناثرين من العرب في كل مكان ، وكانت الوفود التي تزور بغداد ، تلقي قصائدها ، وتصف مشاعرها واحاسيسها ، بكل معاني الحب والود والتبجيل والاحترام .

وهكذا حاول الدكتور محسن جمال الدين في هذه الدراسة ان يبين شعور اخوانه العرب نحو العراق ، مقتصرا بذلك على العصر الحديث ، ومختارا النماذج من شعر البارزين منهم ، والذين اهتموا كثيرا بهذه الناحية .

وقد جعل بحثه ينتقل بالقاريء من (وادي النيل) الى (غوطة سوريا) الى (شوامخ لبنان) الى دنيا (المهجر) وضفاف (الاردن) و (فلسطين) وهضاب (المغرب العربي) و (بحيرات السودان) وشواطيء (الكويت) و (الجنوب العربي) وجبال (اليمن) وتلاع (نجد) ......

وقد ترجم المؤلف حتى للذين لم يزوروا العراق ، ولكنه ــ كما يقول ــ تأثر لسمعته الطيبة ، وبعلاه الراسخ ، فتحرك في نفسه الفخر العربي ، والروابط الاخوية المقدسة ، فوصف ما وصف للغاية المجردة

كالشاعر التونسي محمو مزهود القيرواني الذي لـــه ديوان لم يطبع يضم قصيدة نشرها منذ خمس سنوات بمجلة (الفكـــر) وجعلها تحية القيروان لاختها بغداد.

وفي هذا الكتاب ترجم للشيخ العلامة المغفور لـه سيدي المدني بن الحسني بوصفه شاعرا وطنيا .

ويسرنا ان نقتطف من الكتاب ترجمة العالـــم المغربي سيدي المدني بن الحسني :

(... عالم جليل ، شاعر ، مقل ، اتصلت حياته في جهاد وطني مستمر في سبيل قضية بلاده المغـرب، يوم ان كان للاستعمار فيه صولة وجولة ودولـة ، استطاع ان يقف مكافحا ومدافعا عن اخوته ومليكـه المغفور له الملك محمد الخامس مع فئة اخرى صالحة من العلماء الوطنيين .

ان المصادر التي بين ايدينا عن هـذا الرجـل الصالح قليلة جدا ، وخاصة ما يتصل منها « بالعراق »

ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات الخطية تسعى اسرته الكريمة الان في اخراجها الى عالـم الطباعة والنشـر .

اشاد بفضله الاستاذ (الكتاني) في دراسة عنه بيوم ذكراه في مجلة « الايمان » وبيـن بعض الجوانب البارزة في شخصيته العلمية ، كما كتب عنه سيادة الاستاذ (التازي) سفير المغرب دراسة قيمة .

كان هو والعالم المرحوم الشيخ محمد المختار السوسي من دعائم الحركة العلمية الاسلامية .

ان هذه اللمحات الخاطفة عن هذا الشيخ الجليل قد لا تعطي القاريء عندنا الانطباع الواضح ، والبيان الكاشف عنه .

واري ـ يقول المؤلف ـ ان اهم الاسباب التي حالت دون اطلاعنا عن حياة المغرب والشمال العربي الافريقي يعود الى عوامل السدود والستائر التي كان المستعمرون يضعونها بيننا وبينهم ، وكذلك عزلة ابناء المغرب وحياتهم الخاصة التي فرضتها طبيعة بعد بلادهم ، وتفكير بعض الادباء وحملة الاقلام عندهم ..... (؟ !) .

والكتاب يقع في 494 صفحة من الحجم المتوسط

الشهيد الحاج احمدو بلو
عضو المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي

فوجيء العالم الاسلامي بوفاة علم من اعلام الاسلام الشهيد الحاج احمدو بلو عضو المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، ورئيس جمعية نصر الاسلام .

ولقد وقع استشهاده يوم السبت 24 من رمضان 1386 الموافق 15 / 1 / 1966 غب ثورة عارمة في نيجيريا رددتها الصحف ووكالات الانباء تكشفت عن تلك الفاجعة المروعة التي ادت الى اغتيال الشهيد الحاج احمدو بلو .

والشهيد الحاج احمدو بلو نذر نفسه لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية مضحيا بكل غال وثمين في سبيل ارضاء الله ، وكثيرا ما كان يردد قوله: (ان المسلمين لن يستقيم لهم حال ، ولن يقوم لهم مجد الا اذا جمعتهم اخوة الاسلام ، وبغير ذلك سيظلون مغلوبين على امرهم يتحكم فيهم اعداء الله جميعا) .

ولقد تضاعفت ماساة المسلمين باستشهاد الحاج ابو بكر تفاوا باليوا رئيس وزراء اتحاد نيجيريا . بعد ان كان جانب الرجاء والامل ، يرجح كفة الغدر والخيانة ، فقد كانت الاخبار غامضة مجهولة فيما اثير حوله من انباء حتى تأكد اخيرا اغتياله وقتله بنفس الايدي الاثمة التي اشتركت من قبل في اغتيال الشهيد الاول الحاج احمد بلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية رحمه الله . ولقد استقبل العالم الاسلامي والعالم العربي ، نعي الفقيد ، بكثير من الوجوم والحزن والالم والاسى . حيث كان رحمه الله موضع الامل ومناط الرجاء . وكان رفيقا صادقا لزميله المرحوم الحاج احمدو بيللو رحمه الله في حياته وجهاده ونضاله ، وكان الامل معقودا عليه في مواصلة الخطة الاسلامية التي نهضا باعبائها سويا وعاشا من اجلها ومن هنا نجم الشعور بمضاعفة النكبة وخطورة الجريمة ، حين توارى الرجلان . ونعاهما الناعي في آن واحد بيد آثمة مشتركة وكان الهدف من هذه الجريمة توجيه الطعنة النجلاء الى صدر الاسلام وكبد المسلمين بعد ان ذعرت الشيوعية الملحدة وتضافرت مع الصهيونية ضد تلك القوة السلمية الهائلة التي كانت ـ وحدها ـ امضى سلاح انتضاه الفقيدان في نضالهما وجهادهما والتي كانت مستمدة من الاسلام وروحه .

لقد كان الفقيد السيد ابو بكر تفاوا باليوا معنيا بشؤون بلاده في غيرة وطنية وحماسة دينية الى اقصى حد يحمل هموم مواطنيه ويعمل لاخراجهم من الظلمات الى النور . الى الحقيقة والمعرفة ، وذلك عن طريق الاسلام ، وكان يعرف مصادر العبث في بلاده ، ونوازع الشر ومواردها ، وقد وقف ضد المباديء الهدامة .... الى ان بلغ اعداء الاسلام الغاية التي ارادوها !!

ولقد كتبت الصحف والمجلات الاسلامية عن الشهيد الحاج احمد وبللو : في مختلف انحاء العالم وجهاته ، والواقع ان ما كتب عن الشهيد يضيق به الحصر والاحصاء فقد حفلت الصحف العربية والاسلامية بانباء مصرعه وجهاده ونضاله من اجل الاسلام والمسلمين بصفة عامة ، ومن اجل بلاده نيجيريا عن طريق اشاعة الاسلام فيها ، وبث روحه ومبادئه وتعاليمه بين بنيها ، بل كرس حياته كلها لاجل تحقيقه وتمكينه ، حتى عاجله القضاء على يد ذلك الاعتداء الاثيم الذي كان موجها الى الحنفية السمحاء .

والكتاب الذي بين ايدينا ، والذي اخرجته مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، يضم كل ماكتب عن الشهيد في العالم العربي والاسلامي ، حيث يتضمن عواطف المسلمين نحو الشهيد سواء في السودان او في الولايات المتحدة وكندا والفليبين والاردن ، وفي شرقي افريقية ، والمغرب ، والعربية السعودية ، كما يتضمن خطاب دولة الشهيد في المؤتمر الاسلامي العام بمكة المكرمة 1384 هـ 1965 م .

شعراء من الشيعة

اصدرت منابع الثقافة الاسلامية الكتاب الخامس والخمسين من سلسلتها الثقافية التي تبحث في الاسلام بعنوان « شعراء من الشيعة » للاستاذ عبد المجيد الحائري .

والكتاب المامة عابرة بتاريخ حياة عدة من شعراء الشيعة الذين عرفوا الحق فاتبعوه ، واتخذوا الشعر رسالة انسانية فادوها حقها .

اما الذين ارخ لهم هذا الكتاب فهم (حسان بن ثابت) و (النابغة الجعدي) و (الفرزدق) و (النجاشي) و (الكميت بن زيد) و (العبدي الكوفي) و (قيس بن سعد بن عبادة) و (دعبل) و (ابو نواس) و (ابو تمام) و (ابو فراس) و (الشريف الرضي) و (ابو الفتح كشاجم) و (الناشيء الصغير) ....

وصدر الكتاب بسماحة العلامة المجاهد الحجة السيد محمد كاظم القزويني .

ومؤلف الكتاب الاستاذ عبد المجيد حسن الحائري له روحية دينية وحماسة اسلامية ، يدافع عن الاسلام بامكاناته .

معجم الفقه المالكي
تاليف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي : 15.000 نسخة من المعجم الفقهي المالكي عربي — فرنسي .

وقد قدم له الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بالكلمة الآتية :

قام الفقه المالكي في المغرب العربي والاندلس بدور هام منذ القرن الثاني الهجري وقد استطاع هذا المذهب ان يتميز ويتركز لاسباب اما سياسية واما ذاتية لها علاقة بقيمة الفكر الفقهي عند امام دار الهجرة وبانسجام المذهب مع روح الورع والتشدد التي اذكت المغاربة ومع المصالح المرسلة التي رعاها العرب البربر منذ قرون وقد تبلور المصطلح الفقهي الاسلامي تدريجيا في الجناح الغربي للعروبة فتكيف في كثير من مظاهره بالوان محلية زاهية تبرز في هذا المعجم الذي رتبناه حسب الحروف الهجائية والذي استقينا مادته الخصبة من جردنا الشخصي لبعض كتب الفقه والافتاء وخاصة ما ترجم منها الى اللغة الفرنسية والتي تجدون قائمتها في الخاتمة .

وسيعتمد المكتب الدائم للتعريب على هذه الحصيلة الهامة لتطعيم معجمه العام في الفقه والقانون الذي اعده بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء والذي يشتمل على أزيد من عشرة آلاف كلمة فرنسية مع مقابلها او مقابلاتها المستعملة في العالم العربي وسيطبع بواسطة الورق المهرق (ستنسيل) طبعة اولى ليوزع على المجامع وكليات الحقوق والهيئات المختصة في العالم العربي من اجل ابداء الراي وانتقاء المقابل العربي الاصلح قبل طبعه في قالبه النهائي .

والمكتب الدائم في انتظار ملاحظات الاخصائيين من الفقهاء ورجال القانون حول هذا المعجم المالكي المتواضع .

الى اين ايها العرب ؟ ؟

رجا منا الاستاذ محمد الرابع الندوي المشرف المسؤول عن جريدة « الرائد » التي تصدر بالهند ان ننشر المقال الآتي للاستاذ المذكور صاحب الجريدة :

لقد اطلعنا نحن المشتغلين باللغة العربية وآدابها في الهند على اعداد مجلة العربي الاخيرة الصادرة من احدى وزارات دولة الكويت ، وقد حملت في صفحاتها بحثا للاستاذ عبد الوارث كبير حول صحة روايات في صحيح البخاري وفي غيره من مراجع الشريعة الاسلامية السمحة وكان البحث تهجما شديدا كله واستخفافا خلوا من النزاهة والقصد ودقة البحث وسلامة الفهم بل كان يمثل محاولة للنيل من صفاء الاسلام والتعرض لمنابع شريعته الصافية بقصد وارادة

لم يكن البخاري نبيا من الانبياء ولا ملكا من الملائكة حتى يصان عن الزلات والعثرات غير ان تحريه للحق ودقة تمحيصه للكلام الذي يقدمه في كتابه يفوقان دقة البحث والتمحيص عند كل المؤلفين والجامعين في التاريخ الانساني وهذا هو الحق الذي لا يسع اي عالم منصف ان يتغابى عنه ويماري فيه .

ونظرة في شروط الامام البخاري في اخذه للحديث ورده والتزامه بهذه الشروط كفيلة باقناع كل من اراد الحق ولم يرد المراء والهدم .

ودع البخاري فانه ارفع بكثير بامانته ودقته في نقل الحديث فانك لن تجد محدثا اقل منه تمحيصا الا ويهتم هو ايضا بتمحيص الروايات التي يختارها ويقدمها وتحري امانة نقلها عند رواتها كما لايهتم مثله اشد الناس عناية بنقل كلام اهل الدنيا من المؤرخين والباحثين في حقول العلم والثقافة والآداب الذين يؤمن بنزاهتهم وأمانتهم أمثال الاستاذ كبير ومن حذا حذوهم

ثم ان الكلام الذي يعنى بتقديمه هؤلاء المحدثون ليس كلام الساقطين من رجال التاريخ الانساني ولا السطحيين منهم بل انه كلام مجتمع انساني يشهد التاريخ بصفاء اعماله وسمو سلوك رجاله كانت حياتهم كلها محافظة على العدالة والاخلاص والتزام للحق والنزاهة وابتعاد عن الزور والدنايا ، فان استعصى عند احدهم تفهم أي عمل من اعمالهم فلماذا لا يسعه ان يبالغ في التحري قبل ان يتفوه بكلمة نابية فيهم ، لاشك ان الذي تضيق نفسه عن احسان الظن برجل اصيل الكرامة والنزاهه رجل لايريد الحق ولا يبغي الا السوء .

لقد راى العالم الاسلامي في الفترة الاخيرة بتأثير العلماء والباحثين المستشرقين نماذج كثيرة للتشكيك في الاسلام وتكدير صفوه ببراهين لماعة لمعانا كاذبا يخفي وراء متانة البحث ورزانة العلم مكرا لتشويه سمعة الاسلام السمح الطاهر تشفيا للغيظ الغربي المكتوم نحو الاسلام واهله ، فكم جنى هؤلاء المستشرقون افسادا في حق الاسلام الصافي وراء دراساتهم التي بدت كأنها كلها دقة في البحث وامانة في التحقيق واخلاص للعلم ولكن المتفحص فيها كلما خاض في بحوثهم وجد سموما فتاكة لشريعة الحق وصفو الاسلام العظيم .

ولم يلبث هؤلاء على ذلك فحسب بل سعوا ونجحوا في تخريج تلاميذ اوفياء لهم من نفس الامة الاسلامية في كل مكان بداوا يسيرون مسيرهم ويختطون نفس الخطة الى ان اصبحت نفوسهم تكاد تابى ان تقبل للشرق اي خير لم يسبق اليه الغرب واي بناء لم تتقدم اليه سيدتهم أوربا فالشرق عندهم متاخر وتلميذ دائما ويجب أن يفتخر بذلك افتخارا .

ثم ان هؤلاء الباحثين التلاميذ يعدون أنفسهم من اوفياء الاسلام والعاملين في حقوله المختلفة بكل اخلاص وامانة

ومن المؤسف جدا أن نرى مؤلفين وباحثين من هذا الطراز بداوا يظهرون الآن في الامة العربية أيضا وبدانا نسمع منهم كل يوم نعرة جديدة لاتقوم الا على انقاض مبادىء الاسلام التليدة وامجاده العظيمة الخالدة ولا تسوق الى نفوس الآلاف من اخوانهم الا شكا في تراثهم وآثارهم الخالدة ليصابوا بمركب النقص الشديد والشك في كرامة ما بناه الآباء وما رفعوه من مجد .

لقد كاد التعليم الاوربي ان يسلب من العرب أعز ما كانوا يملكونه من الوفاء للدين والغيرة للحق والحمية للشعارات الاسلامية الفاضلة والايمان العميق الذي صيرهم زعماء العالم في يوم من الايام وأبطال التاريخ الانساني وقادة لشعوب كثيرة في الارض حتى سار

فى ركابهم بعد حملهم لدعوة الاسلام الرومي والفارسي؛ والتركي والخرساني والهندي والافغاني ؛ والجاوي والملاوي وامحت على يدهم فوارق السلالات والاوطان واللغات والجنسيات واصبح عباد الله بهم اخوانا .

هؤلاء الابطال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ لم يرثوا مع الاسف من الجيل الجديد الا احلافا ينقضون غزلهم انكاثا ويهدمون مجد اسلافهم بأيديهم ويشككون العالم فى عظمة تراثهم لم يختاروا لانفسهم من الاعمال الا استيراد الشر واستبدال خيرهم به .

الاسلام والمساجد فى المانيا

نشرت الرسالة الاسبوعية المصورة التي تصدرها ادارة الصحافة والاعلام لحكومة المانيا الاتحادية المقال الآتـــي :

كان المسلمون فى المانيا قبل الحرب العالمية الثانية قلة ضئيلة ؛ اغلبهم من رجال السلك الديبلوماسي والتجار والطلبة . اما اليوم فانه يعيش فى جمهورية المانيا الاتحادية وحدها ، ما يقرب من 100 000 مسلم . هم من المسلمين الروس الذين هربوا من الاتحاد السوفيتي اثناء الحرب العالمية الثانية ، او بعدها مباشرة ، ولجأوا الى المانيا الاتحادية واستقروا بها ، واتخذوا منها وطنا ثانيا لهم . ومن الطلبة والمتمرنين الذين قدموا لتحصيل العلم والمعرفة من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وخاصة من العالم العربي . والعمال والضيوف الاجانب الذين قدموا من تركيا ويوغوسلافيا ـ وهم يمثلون نسبة كبيرة ـ وتونس ومراكش . اما الالمان الذين اعتنقوا الدين الاسلامي لاي سبب من الاسباب ، فان عددهم ضئيل؛ لا يقارن بعدد الضيوف الاجانب ، اذ انه لا يعتقد انهم يزيدون عن الالف شخص .

ومن الطبيعي أن عدد المساجد القديمة ، القائمة فى المانيا منذ ما قبل الحرب ، لم يكن ليكفي هذا العدد الهائل من المسلمين ، لاقامة شعائرهم الدينية ، بالحرية والطمانينة الكاملة التي كفلها لهم الدستور الالمانـــي .

فقد كان هناك المسجد المقام بحديقة قصر شفيتسينجن بالقرب من المدينة الجامعية العريقة الشهيرة هايدلبيرج الواقعة على ضفاف نهر نيكار . وقد قام ببنائه فى نهاية القرن الثامن عشر امير الماني محب الفن ، ميال للقريب من الابداع الفني . وكان الدافع لبنائه مجرد التسلية والمتعة الفنية وتجميل حديقة القصر . فقد انشاه على الطراز الشرقي الرائع، وعلى الصورة التي كانت تسود الفكر العام آنذاك عن طرز المعمار الشرقية الفريدة .

وبالطبع فان هذه التحفة النادرة لم تستخدم كمسجد قط آنذاك . فلم يكن هناك مسلمون فى المانيا فى ذلك الحين . ثم دارت الايام ، وبدا المسجد منذ سنوات قليلة ، يفتح ابوابه ليستقبل جماعات المسلمين من المناطق القريبة منه . وبدا فى استخدام المسجد لاداء الشعائر واقامة الصلوات فى الاعياد الاسلامية الكبرى ، كعيدي الفطر والاضحى .

وفي عام 1928 ، انشىء اول مسجد حقيقي للاسلام والمسلمين فى المانيا . وكان ذلك فى برلين . وهو ذلك المسجد القائم الآن فى برلين الغربية . وقد اشرف عليه لوقت طويل امام الماني من أتباع مذهب الاحمدية . وقد تزوج من سيدة باكستانية ، ثم رحل معها الى الباكستان حيث يعيش الآن . ولعله من المهم هنا ان نشير فى هذه المناسبة الى حقيقة هامة تدعو الى العجب . وهي ان نشاط الدعوة الاسلامية والعمل الاسلامي فى المانيا ، ودول غرب اروبا مقصور فقط على فريق الاحمدية . فانهم وحدهم الذين يقومون بالتبشير بالاسلام والدعوة اليه والعمل من اجله. كما ان فريق الاحمدية كان ايضا اول من قام بنشر القرآن الكريم بالعربية والالمانية معا بعد الحرب . وذلك فى طبعة تضم النص العربي الاصلي ، تقابله الترجمة الالمانية . وقامت بنشره اكبر دار لنشر الكتب الشرقية فى جمهورية المانية الاتحادية .

ظل هذا المسجد فى برلين ، المسجد العامل الوحيد فى المانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . حيث انشىء فى هامبورج مسجدان جديدان . يعد احدهما حتى الان اكبر المساجد الموجودة فى جمهورية المانيا الاتحادية على الاطلاق . ثم انشىء من بعدها

الى مصاولة منازل جديد ومحاولة استنزاف قواه في ميدان فرعي ! ..

ورايت ان الامر لايتعدى مفهوم القديم عند حملته والمدافعين عنه والذين ينزلونه منزلة التقديس ولا يرون فيه الا الخير المطلق ، ويجمدون عند مدلول قيمه، وشروطه الاساسية والشكلية معا .

وكذلك يتوقف الامر على مفهوم الجديد عند معتنقيه وحاملي لوائه والمبشرين به والزاحفين على هديه وارشاده كي يحتلوا كل مواقع سلفه .

المفهومان في الميزان

تردد على ذاكرتي هذا البيت ، وانا اعالج موضوع القديم والجديد :

ان هذا القديم كان جديدا
وسيغدو هذا الجديد قديما

ونحن ، وان كان يطربنا الشعر ونهتز له ونحله من نفوسنا محلا خاصا ، وان كنا لا ننكر ما فيه من جمال وحكمة ومن نظرة صائبة احيانا كثيرة ، فلابد لنا ان نناقش هذا التقرير الذي جاءنا به الشاعر هل صحيح ان القديم الذي يصل الينا كان بالضرورة جديدا . وان جديدنا ، هذا الذي سندعو اليه ، سيغدو قديما . اذا كان الشاعر يقصد بالقديم الشيء الذي تمر عليه السنون فقد نوافقه على ما ذهب اليه . ولكن اذا كان للقديم والجديد مفاهيم اخرى فالاحرى بنا ان نعالج الموضوع على ضوء هذه المفاهيم

اعتقد ، بالنسبة للقيم الاجتماعية والثقافية ، ان على القديم ان يتخذ معنى التراث الذي يصل الينا عبر القرون ، محملا بكل حكمتها وتجاربها وبكل خبرة الاسلاف ، ضحلة وغنية ، ولكن هذا التراث لم يتجمع هكذا كتلة جامدة في عهد من العهود ، ثم تدحرج حتى وصل الينا . انه عملية تطور بطيئة احيانا ثائرة احيانا اخرى . انه عملية خلق مستمرة ، وما دام كذلك فهو في تطور دائم . وهو في حركته ومرونته واستمراره لا يترك فجوات هائلة يتردد السائر والعابر في قطعها من الامس الى اليوم الى الغد . ان عملية الخلق والابداع المستمرة في داخله ومن داخله ، وكذلك طموحه الى الكمال في سبيل نشر الجمال والسعادة وتعميمها في المجتمع ، كل ذلك وغيره يؤلف هذا الصراع الحياتي الذي يغني الجديد الوليد ويبعث فيه القوة ويجعله يشعر بانه يستند الى اساس متين ، الشيء الذي يسهل عملية البناء الجديدة ويجعلها ارسخ ، ويمكن مهندسي الغد من ان يرفعوا على هذه الاساس ابنية جديدة ، متعددة الاشكال الهندسية ، ومتنوعة المحتوى الجمالي ايضا .

وبذلك لا تكون ثمة حاجة بنا الى معركة حياة او موت . اننا نسلم باننا نبحث عن الحياة دوما ، عن اغناء مشكلها ومحتواها ، ونحن في سبيل ذلك لا نجمد عند شكل ومحتوى . اننا مخلوقون لجيل غير جيل الماضي – وهي كلمة مأثورة عميقة من تاريخنا ومن تراثنا – ولا يمكن ان نقسر انفسنا وعقولنا وابداننا على ان تأخذ بكل ما رسمه الجيل او الاجيال الماضية لابنائها . انه لا بد لنا ان نقف بقوة ضد كل مفهوم يريد ان يجمد بنا ، ويريد ان يجردنا من القدرة على العطاء لكي يحرمنا بذلك من انسانيتنا ، اننا ندافع عن انسانيتنا ولهذا ندافع عن امكانية العطاء والخلق والابداع ، ولكننا لا ننكر على القديم انه اعطى وخلق وابدع ضمن ظروفه الموضوعية المتميزة حتما عن ظروفنا .

انفصال ام استمرار في التطور

نحن اذن اعداء الانفصال عن القديم بمعناه الخير . اننا بالاحرى مؤمنون بان هناك استمرار في التطور – الكمي والكيفي – لا تنفصم عراه ولا يقف عند حد مرسوم له . انه تطور يواكب الحياة . وما دام احدهما موجودا ، فالاخر موجود .

انه ليسعدنا ويرضي اعتزازنا ان تكون شجرة تراثنا ذاهبة الجذور عميقا وقويا في التاريخ ، ولكننا نجيز لانفسنا ان ننوع الاثمار والاوراق والالوان ونغنيها ، وفي الوقت نفسه نرضي متطلبات التطور ، متطلبات العصر وكل عصر يريد ان يكون له طابعه واسهامه في الحضارة . ان تاريخ الفنون جميعا ، وتاريخ الانسانية عموما ، يشهد بضرورة هذا التطور، بضرورة التجديد . صحيح ان حركات التجديد لا يمكن ان تكون كلها في سبيل الجمال والسعادة ، وصحيح ان هناك «جديدا» – اذا اجزنا لانفسنا الصاق صفة الجديد به – يطمح الى الانفصال . انه شيء يشبه جدا – من حيث النتائج المؤذية – ذلك «القديم» الذي يطمح الى الجمود ، ويؤدي ذلك به الى الانعزال والتقوقع ، الى الانفصال عن الحياة . الاول مولود شاذ في تربة وبيئة تنفثان الموت ، والثاني يحمل كفنه وينتظر من يدفنه .

مسجد آخر فى مدينة فرانكفورت ، افتتحــه السير محمد ظفر الله خان ، نائب رئيس محكمة العــدل الدولية فى لاهاي . ثم مسجد آخر فى مدينة آخن . تلك المدينة الشهيرة بمدرسة الهندسة العليا ، التــي تضم عددا كبيرا من الطلبة العرب ، حتى انه لايمكن ان توصف هذه المدرسة بأنها مدرسة عربية عليا .

والى جانب هذه المساجد الستة . فانه قد تم وضع المشاريع الخاصة بانشاء مسجدين جديديـن ، احدهما بمنطقة السار ، والثاني بمدينة ميونيخ مركـز تجمع المسلمين . وسيكون مسجد ميونيخ ــ الذي تم الانتهاء من وضع تصميمه الهندسي ــ تحفة معمارية رائعة ، تجمع بين طرازي البناء الاسلامي والغربي معا .

ويجتهد اصحاب الاعمال الالمان ، فى حالة ما اذا تعذر بناء مسجد جديد للعمال المسلمين الذين يعملون لديهم ، لاي سبب من الاسباب المالية او غيرها ، فـي ايجاد الحلول المناسبة لهم لاقامة شعائرهم الدينية . فنجد هيئة السكك الحديدية الالمانية مثـلا ، تقـوم بتحويل عربتان من عربات قطارات الركاب ، لتصبـح أماكن صالحة للصلاة للعمال الترك الذين يعملون بها . ولتكون بمثابة « مساجد متنقلة » ، تجرها قاطــرة ، لتنتقل مع المسلمين الترك حيثما انتقلوا من مكـان عمل الى آخر . وقد حولت كل عربة بحيث يصبـح نصفها مكانا للاغتسال والوضوء ، بينما فرش النصف الآخر بسجادة كبيرة ليصبح مكانا للصلاة والعبادة .

ولما كان هذا العدد الهائل من المسلمين ، الـذي يقرب من المائة الف ، موزع فى جميع انحاء جمهوريـة المانيا الاتحادية ، فان هناك بالطبع نسبة كبيرة مـن المسلمين تعمل وتعيش فى اماكن بعيدة عن المساجـد الستة الموجودة . ولذلك فان الهيئـات والسلطـات الالمانية المختلفة تحاول دائما ايجاد الحلول المؤقتـة لتمكين المسلمين من اداء الصلوات ، بوضـع أماكـن الاجتماعات العامة تحت تصرفهم فى الاعياد والمناسبات الدينيـة الكبـرى .

وهكذا نجد أن محاولات دائمة تبذل فى جمهورية المانيا الاتحادية ، لايجاد الحلول الملائمة لمشاكل الضيوف المسلمين الناشئة عن الاغتراب ، وذلك فى حدود الامكان والمستطاع . ففي منطقة مدينة كولونيا ، حيث يعيش حوالي 5 000 مسلم ، قامت كاتدرائية كولون الشهيرة فى العام الماضي ، بتخصيص جزء منهـا ، وضعته تحت تصرف المسلمين لاقامة صلاة العيد به . وفى هذا العام وضعت قاعة الاستاذ الرياضي الكبير بكلونيا ، تحت تصرف المسلمين لاقامة صلاة عيد الفطر بها .

والامل كبير فى ان يقام فى المستقبل عدد كبيـر من المساجد الجديدة فى المانيا . لا لتكون مجرد نماذج جميلـة الطراز من البناء الفنـي : تضفي على المدن الالمانية رونقا وجمالا خاصا فقط ، بل لتساهم ايضا فى توعية الالمان بقيمة الثقافة الاسلامية ، وتعريفهم بالدين الاسلامـي .

هل المعركة بين القديم والحديث حتمية ؟

بقلــم : احمد سليمان الاحمد

نشرت « اضواء » هذا المقال القيم الـذي صدر بباريس فى 15 يناير 1966 احببنا ادراجـه فى هـذا الباب تعميما للفائـدة :

هل لابـد مـن معركـة ؟

هذه مشكلة ليست بالجديدة . فالقديم اذن هـو الصفة اللاصقة بها . ولكن الصراع مـع ذلك ما فتيء تدور رحاه ــ واظن ان الامـر سيستمر وسيطـول وسيتردد زمنا غير قليل ــ ما بين القديم والجديـد . وفى كل مرة ينتصر الجديد . ولكن ليس دون صعوبات، وليس دون قتيل وتعثر ، وليس دون جهود كان يمكن لها أن تصرف فى مجالات اخرى اجدى وانفع .

ولا يقف الامر عند هذا فقط . بـل ان القديـم الذي اتخذ موقف المعادي ، او الذي اتخذه الجديـد عدوا رغما عنه ، كان هو الآخر يغدو ذا نفـع وجدوى، لو لم يصـرف امكانياته الكبيرة فى حقول واجواء غريبة عن مقتضـى المطـاء .

واسارع فاستدرك هنا . ان الصراع ليس هـو الغريب عن الحياة . فالصراع محرك قاطرة الحيـاة ووقودها الذي لاينفد ولا تشح مصادره وخاماتـه . ولكن صرف القوى فى معاكسة تيار الحياة هو الـذي يجعل منها جهدا ضائعا ، مؤسفا فى الواقع .

وفكرت اكثر من مرة : هل لابد من معركة ؟ هـل المعركة حتمية ابدا بين القديم والجديد ؟ الامثلة التـي فى ايدينا ، من التاريخ ومن حولنا ، لا تتردد فى اعطـاء الرد الايجابـي الجديـد .

ولكن الا يمكن ان ينتصر مرة لكي يبقى جديـدا ابدا ، دون أن يتلبس مسوح القديم ، ودون الحاجـة

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وضع الحجر الاساسي لعدة مساجد في الرحلة الملكية الميمونة الى اقاليم الجنوب

قام صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ، نصره الله ، يوم الاثنين 2 — 5 — 66 برحلة ميمونة الى جنوب الوطن العزيز ، وتعتبر هذه الزيارة عبر الاقاليم الجنوبية هي الاولى منذ تربع صاحب الجلالة على عرش اسلافه الامجاد ...

وقد دامت هذه الرحلة الملكية نحو اسبوعين قطع جلالته خلالها نحو 2.500 كلم ، كانت تشمل كلا من اقليم قصر السوق وورزازات وبني ملال .

ولما لصاحب الجلالة امير المومنين ، وحامي حوزة الملة والدين من الرعاية والعناية والاهتمام بشؤون الاسلام والمسلمين ، فقد اغتنم وجوده بهذه الاقاليم الجنوبية للملكة المغربية بوضع الحجر الاساسي لعدة مساجد في الاقاليم التي تشرفت بزيارته .

تدشين مسجد بقصر السوق

وقد وصل موكب جلالة الملك الى قصر السوق ، وبهذه المناسبة السعيدة ، وضع جلالته الحجر الاساسي لمسجد بقرية نموذجية .

احياء حفلة دينية بضريح مولاي علي الشريف

في يوم الثلاثاء 3 — 5 — 66 وصل صاحب الجلالة الى الريصاني حيث قام حفظه الله بزيارة ضريح مولاي علي الشريف ، واشرف على اقامة حفلة دينية تليت فيها آيات بينات من الذكر الحكيم ، وانشدت امداح نبوية شريفة .

وضع الحجر الاساسي لمسجد ببوذنيب

وفي يوم الاربعاء 4 — 5 — 1966 وصل الموكب الملكي الى بوذنيب ، حيث اقام عامل اقليم قصر السوق مأدبة غذاء اكراما لجلالة الملك .

وفي هذه الزيارة الملكية الميمونة ، وضع جلالة مولانا الملك الحجر الاساسي لبناء مسجد بهذه المدينة ترك السنة السكان تلهج بالدعاء والنصر لمولانا امير المؤمنين .

رئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية للوفد الرسمي الذي توجه الى الديار المقدسة هذه السنة

تراس معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج أحمد بركاش الوفد الرسمي المعين من لدن صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني اعزه الله الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج .

وتشكل الوفد الرسمي من أصحاب السعادة السفير السيد يوسف بن العباس سفير المملكة المغربية بالجمهورية العربية المتحدة والجنرال حمو ، والسيد الحاج الفاطمي بن سليمان سفيرنا بالمملكة العربية السعودية والسيد حرمة ولد بابانا ، وأصحاب الفضيلة السيد احمد بن عبد النبي من مدينة سلا والسيد عبد الله الجراري مفتش أول بوزارة التربية الوطنية والسيد محمد البكاري من علماء فاس ، والسيد حماد العراقي رئيس رابطة القضاة والسيد الحسين والحاج.

وقد استقبل صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني اعضاء الوفد برئاسة الوزير قبل توجيهم الى الديار المقدسة حيث زودهم بنصائحه الغالية ودعائه الصالح .

وقد غادر الوفد الرسمي تراب المملكة المغربية يوم 23 مارس وعاد يوم 23 ابريل 1966 .

نشاط معالي الوزير في الشرق

الى جانب المهمة السامية التي قام بها وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية برئاسة الوفد الرسمي التي اسندها اليه مولانا صاحب الجلالة ، فقد كلفه جلالته بالقيام بمهام اخرى سامية .

وهكذا فقد حمل معه المنحة الملكية السنوية التي يبعثها صاحب الجلالة قصد توزيعها بالديار المقدسة ، وقد بلغت هذه السنة مائة الف درهم .



* يعلن اتحاد كتاب المغرب العربي لجميع الكتاب والشعراء انه سينظم مسابقة لنيل جائزة الشعر وشروط الترشيح كما يلي :

— ان تكون القصائد مكتوبة بخط واضح ، او مضروبة على الالة الكاتبة . وان تكون فى الحالتين فى اربع نسخ .

— الا يكون قد سبق نشرها او اذاعتها .

— آخر اجل لقبول القصائد هو 25 ابريل

ويعتبر هذا الاعلان بمثابة دعوة لتوجيه القصائد الى مقر اتحاد الكتاب بدار الفكر شارع علال بنعبد الله 42 الرباط .

وننبه الى ان الباب مفتوح فى وجه جميع المدارس والنزاعات الشعرية شريطة ان تتوفر القصيدة على الايقاع الضروري بشكليه القديم او الحديث .

* عاد الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله من القاهرة التي اجرى فيها محادثات مع الجامعة العربية تتعلق بالمكتب الدائم للتعريب بالرباط .

* احتفلت تونس بذكرى شاعرها ابي القاسم الشابي فى مهرجان كبير . وقد مثل المغرب فى هذا الاحتفال الاستاذان عبد الكريم غلاب ، وعبد المجيد بن جلون .

* القى الدكتور صلاح الدين المنجد محاضرة فى بيروت عن المخطوطات العربية ومراكزها الكبرى فى العالم التي تحتفظ بالتراث العربي المكتوب . وقد ذكر الاستاذ المنجد بمزايا المخطوطات الموجودة فى كل من المغرب وتونس خاصة . واشاد بدور دمشق وحلب فى حفظ التراث العربي .

* غادر الاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون المغرب متوجها الى القاهرة لحضور مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية هناك . وقد خص هذا المؤتمر ببحث فى موضوع الحديث النبوي من وجهة النظر العلمية والدينية وهو موضوع مقترح عليه من الامانة المجمعية .

* صدر مؤخرا عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « انس الفقير وعز الحقير » لمؤلفه ابن قنفد القسنطيني . قام بتحقيقه والتعليق عليه الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس

* يصدر قريبا فى بيروت كتاب « دفنا الماضي » للاستاذ عبد الكريم غلاب ، الذي كان ينشره مسلسلا فى جريدة «العلم» .

* يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « ابو المطرف ابن عميرة المخزومي » وهو عبارة عن دراسة لهذه الشخصية للاستاذ محمد ابن شريفة الذي تقدم بها لكلية الاداب المغربية لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا التي فاز بها بعد مناقشة هذه الاطروحة .

* صدر عن معهد مولاي الحسن بتطوان الجزء العاشر من مجلته « تطوان » السنوية .

* عقد السيد وزير التعليم فى غضون الشهر الماضي ندوة كبرى بقاعة كلية العلوم اوضح فيها سياسة التعليم التي ستسير عليها الوزارة فى المستقبل .

* يعد الاستاذ عبد الهادي التازي سفيرنا فى بغداد سابقا بحثا عن « السفارة المغربية فى العراق منذ القرن الرابع الهجري الى العصر الحديث » وتوصل فيه الى ان ابا عمران الفاسي كان اول سفير للمغرب فى العراق . وانتهى الاستاذ التازي ايضا من دراسة تاريخية للساعات المائية المعروفة فى الاسلام .

* اعلن وزير الاعلام الجزائري ان الجزائر ستنشىء وكالة توزيع حكومية للصحف والكتب

قيم قديمة وقيم جديدة

من الواضح جدا انه لا يمكن لنا الاخذ بكثير من القيم القديمة . اننا في طموحنا الى الافضل ، وفي ايماننا بقدرة الجماهير الشعبية المبدعة ، وبكل ما فيها من طاقات الخير والبناء ، لابد ان نرفض قيما قديمة ، تواضعنا عليها ، واخذنا بها ، في ظل انظمة لم تعد تصلح لنا . واذا ما وضعنا الانسان ، الجماهير الانسانية ، في مركز الاهتمام ، واعتبرنا ان كل القيم المادية والروحية انما هي في سبيلها ، ومن اجلها ، ما كان لنا ان نتقيد بحرفية قوالب وضعت لزمن غير زمننا . اننا في رفضنا ايديولوجية الانظمة البالية نكون نستجيب الى نداء الصراع التطوري المستمر ، الى نداء الحياة .

موقف اللغة

واللغة ، هذا الكائن الحي المتطور هو الاخر لا يشذ عن قاعدة كل حي . ان حاجات الجماهير وحاجات الثقافة والعلم لابد ان توجد تطويرا مرموقا في اللغة . فثمة عشرات ومئات الالفاظ تموت لتحيا مكانها عشرات ومئات الالفاظ الضرورية . وليس الاستعمال او بالاحرى عدم الاستعمال ، وتحيا مكانها عشرات ومئات الالفاظ الضرورية . وليس هذا فقط بل ان قوالب التعبير ، هذه الاشكال ، تتطور ايضا حاملة زخما جديدا ، فاتحة افاقا لا تحد .

اذا كان أواحد انعدم الاخر !

وتحضرني بهذه المناسبة ، صراع القديم والجديد ، نادرة لاحد الفلاسفة القدامى ، ولعله كان يلقي درسا على تلاميذته ، وذكر لهم الموت فادركهم الهلع من اطلالته المخيفة بمنجله الرهيب ، فضحك الاستاذ وقال بلهجة الواثق ، ولم نخشى شيئا عندما نكون نحن لا يكون هو ، وعندما يكون هو لا نكون نحن !

ترى هل تنطبق هذه النظرية على القديم والجديد ، فاذا كان احدهما لم يكن الاخر . ان الامر ليس بمثل هذه البساطة ، كما ان قضية الحياة والموت هي الاخرى لا يمكن لنا ان نكتفي بتلخيصها هكذا او الوقوف عند هذا الحد من شجاعة مفتقدة يفتش عنها الفيلسوف القديم .

ان هناك اتصالا عميقا بين الحياة والموت . يموت القديم البالي الذي استنفذ طاقته ، ليحيا ابدا الجديد الذي سيدركه البلى يوما من الايام وسيتلاشى عندما يفرض الموت وجوده ، ولكن الشيء الخالد الحي ابدا هو هذا الطموح دوما الى الاحسن ، وهو هذا التطور المستمر وهو وحده المنتصر ، وان شئت قلنا له : الجديد .

التماس ...

يرجو سلامة بن زيدان باشا العاصمة الاسماعيلية من جميع اصدقاء المرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان بان يساهموا بحظهم في جمع ثرات المرحوم والده .

وعليه ، فالرجاء ممن لديه اي مخطوط او رسالة او قصيدة من تراث فقيد العلم والتاريخ ، ان يتفضل مشكورا ببعثه له ليعمل على اخذ نسخة منه ، وله الفضل في احياء هذه المكرمة النبيلة اولا واخيرا ، والسلام .

※ جائزة سنوية فى النقد تحمل اسم « الدكتور محمد مندور » سيخصصها مجلس الفنون فى مسابقة سنوية يعلن عنها مؤخرا .

※ سيصدر قرار جمهوري فى القاهرة بتحويل مكتبة الفقيد عباس محمود العقاد وبيته الى متحف قومي وقد اخذ المجلس الاعلى للفنون فى اجراءات الاستيلاء على البيت ومحتوياته .

※ توفي فى القاهرة الكاتب الصحفي مصطفى القشاشي صاحب مجلة « الصباح » والذي كان نقيبا للصحفيين . كما توفي الشاعر محمود عماد ،

※ صدر عن دار التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ديوان « الشعلة المقدسة » لمحمد هارون الحلو .

※ بتكليف من المجلس الاعلى للفنون والاداب ، اعد الدكتور نجيب محمود تقريرا عن فن الشعر فى ج.ع.م. واعد عباس خضر تقريرا عن الدراسات الادبية ، واعد ثروت اباظة تقريرا عن الفن القصصي وستنشر هذه التقارير فى سجل ثقافي خاص تعده الجامعة العربية عن الحركة الادبية فى العالم العربي فى المدة من اكتوبر 1964 الى اكتوبر 1985 .

※ صدر مؤخرا للاستاذ الشاعر خضر عباس كتاب بعنوان « شاعرية ابي المحاسن » وهو دراسة ادبية شاملة احاطت بجوانب الشاعر وحياته ونماذج من شعره .

※ صدر عن دار العلم بالقاهرة كتاب « ابراهيم المصري » وهو دراسة تحليلية عن حياة الكاتب وفنه وجهاده واثره فى الادب العربي .

※ امام مجلس الفنون فى ج.ع.م. مشروعات تعديل قانون حماية حق المؤلف ، وتشجيع الباحثين ، وتشكيل لجنة لوضع معجم باللغة العربية فى مجلد واحد عن شؤون افريقيا ، وتحديد نظام المكافآت فى التاليف ، واصدار مجموعة من الكتب عن الفنانين ، والادباء، والرواد ، باللغات العربية والانكليزية والفرنسية .

※ سيطلق اسم كامل الشناوي على شارع النباتات فى حي جاردن سيتي فى القاهرة .

※ انشيء اخيرا فى القاهرة ودمشق مركزان لدراسة الثقافة العربية ونشرها . وسيتولى احد المركزين بمساعدة اليونسكو ، اجراء بحث فى موضوع مساهمات العلماء العرب فى تطوير الفكر والثقافة بين القرنين السابع والثاني عشر . ويبحث المركز الاخر موضوع مساهمات الاسلام والعرب فى الحضارة الاوروبية . وستكون لهاتين الدراستين اهمية ابراز ذلك الاثراء المتبادل الذي انتفعت به الثقافتان الشرقية والغربية .

※ محمود امين العالم يصدر له كتاب عن المعارك الفكرية ويسجل التيارات التي تجاذبت اوضاع الفكر بالبلاد الغربية خلال السنوات الاخيرة .

※ اعلن الدكتور طه حسين رئيس المجمع اللغوي فى آخر جلسات المجمع بانه مهما كانت المهمة شاقة امام المجمع ، ومهما بلغت هذه المهمة من العسر ، فلابد ان يشرع المجمع فى اخراج المعجم اللغوي التاريخي ، الذي يتتبع تاريخ لفظ عربي على مدى عصور الحضارة العربية قديما وحديثا .

※ آخر رواية صدرت لتوفيق الحكيم «الصرصار ملكا»

※ اول رسالة دكتوراه من نوعها تناقش فى مبنى كلية الاداب بالقاهرة . الرسالة تسجيلات صوتية تبحث اصل اللهجة المغربية .

※ هاجم الشاعر عزيز اباظة الادب الجديد والشعراء المجددين ومستخدمي اللغة العامية فى الادب وذلك فى الكلمة التي القاها فى عيد العلم بالقاهرة امام رئيس الجمهورية بالنيابة عن الفائزين بجوائز الدولة التقديرية ، وقد احدثت هذه الكلمة موجة من رد الفعل فى الاوساط الادبية والصحفية واجهزة الثقافة ، واعتبروها استعداء ضد التجديد والمجددين.

※ «شيوخ العصر فى الاندلس » كتاب جديد صدر للدكتور حسين مؤنس .

※ نعت انباء الجمهورية العربية المتحدة الاديب الاسكندراني المعروف المرحوم صديق شيبوب الذي ساهم فى خدمة الادب والصحافة مدة طويلة من الزمن .

※ « شعر الهجر » دراسة صدرت للدكتور كمال نشأت فى سلسلة « المكتبة الثقافية » .

※ «صور من اوربا » كتاب يعرض التيارات الادبية ، والسياسية ، والاقتصادية على ضوء

استقبال جلالة الملك فيصل لوزير الاوقاف المغربـــي

ولقد تشرف وزير الاوقاف المغربي أثناء اقامتـــه بالمملكة العربية السعودية بالاتصال مع صاحب الجلالة فيصل ملك العربية السعودية حيث حمله تحيـــات وعواطف مولانا الحسن الثاني نصره الله واشاد جلالة الملك السعودي بالعلاقات الودية التي تربط العربيـــة السعودية بالمغرب .

فى الاردن ...

وعرج وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى رحلته الى الديار الشرقية على المملكة الاردنية الهاشميـــة فى نطاق مهمته الرسمية .

واثناء اقامة الوزير بعمان سلم الاعانة الملكية الى المغاربة المقيمين بالقدس الشريف الذين لهجوا بالدعاء لمولانا الملك المنصور بالله .

فى مصـــــر ....

وفى طريق عودة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى ارض الوطن مر على الج . ع . م حيث كلفه مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني بتسليم رسالة شخصية لفخامة الرئيس جمال عبد الناصر ، ولقد كان محـــل حفاوة وتبجيل من طرف المسؤولين المصريين الذيـــن حضروا له برنامجا خاصا لاقامته .

وقد زار عدة مآثر اسلامية ، ووقف على معالمها،

كما حضر معاليه مادبة العشاء التي اقامها سيادة الرئيس جمال عبد الناصر تكريما لصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله التي حضرها عدد كبير من رجال الدولة ، كان فى مقدمتهم المشير عبد الحكيم عامـــــر ، والسيد زكريا محيي الدين رئيس الوزراء ، والسيد علي صبري نائب رئيس الجمهورية ، والسيد أنور السادات رئيس مجلس الامة ونواب الرئيس والسادة الوزراء ، كما حضرتها الشخصيات المرافقة لسمو الامير مولاي عبد الله .

بناء مسجدين بالقبائل التابعة لنظارة احواز فاس

اعادت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بناء مسجد « بوردود » بقبيلة « متيوة » ومسجـــــد اولاد « ازام » بقبيلة صنهاجة . والكل بالقبائل التابعة لنظارة احواز فاس .

وكان يوم الجمعة 29 ابريل موعد تدشين هذين المسجدين حيث توجه من جانب وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية رئيس قسم الوعظ والارشاد نيابة عن معالي وزير الاوقاف الاستاذ السيد محمد الطنجي ، وناظر احواز فاس ومساعدوه والمقاولون والخبير الحبسي المشرف على البناء .

كما توجه من جانب السلطة والقضاء فضيلـــة قاضي تاونات وفضيلة قاضي « متيوة » والكاتب العام لقيادة الدائرة ، وقواد « تاونات » و « متيـــوة » و « بني وليد » . وكان فى استقبالهم علماء واشـــــراف واعيان القبيلتين واظهروا من الفرح والابتهاج بافتتاح المسجدين رجالا ونســاء واطفالا ما اقام خير دليل على تمسكهم بالدين ، واطعموا الضيوف ، وجميع المصلين هناك بخير الاطعمة على عادة القبائل العربية فى كرم الضيافة وقد اديت صلاة الجمعة فى مسجد « بوردود » بقبيلة « متيوة » كما اقيمت صلاة العصر بمسجد أولاد « ازام » والقى رئيس قسم الوعظ خطبة الجمعة كمـــا القى خطبة على سكان قرية أولاد أزام نوه فى الخطبتين بعناية مولانا صاحب الجلالة بالمساجد وبالجهود التي يبذلها معالي وزير الاوقاف السيد الحاج أحمد بركاش تطبيقا لتوجيهات امير المؤمنين بالعناية ببناء المساجـــد واصلاحها . ورفع الحاضرون أكف الضراعة والابتهال بالدعوات الصالحة لجلالة الملك دام نصره وعلاه .

* «دراسات فنية في الادب العربي» كتاب جديد صدر في دمشق للدكتور عبد الكريم اليافي درس فيه القيم الجمالية في الشعر العربي .

* صدر عن مكتبة العباسية في دمشق كتاب «مشاكل الاطفال» لايمانويل ميلر ، و «الممارسة والنظرية البلشفية» لبرتراندرسل وهما من ترجمة سمير عبده .

* قرر المجمع العلمي العربي بدمشق طبع كتاب «الاعرابيات» للفقيد خليل مردم بك ، وقد عهد الى نجله عدنان مردم بك ، واحمد الجندي بشرح حواشيه والتعليق على تراجم الاعلام . والكتاب جليل الفائدة ، وفريد من نوعه ، فهو يدلل على اثر الاعراب في اللغة العربية ، وكيفية انه في الحقيقة من اكبر مصادر اللغة العربية وهم اساتذة شيوخ اللغة العربية امثال : الاصمعي ، والكسائي ، والخليل ويشرح المؤلف في كتابه عن الاعراب الذين يؤخذ عنهم واين هي مواطنهم ، ويتكلم عن بلاغتهم ، واسلوبهم ، ثم ياتي على ترجمة اربعين اديبا ، وصدر هذا الكتاب في هذه الايام .

* توفيت في دمشق مؤخرا اديبة الشام ورائدة الادب الحديث ماري عجمي ، وكانت قد اقعدها المرض منذ سنوات عديدة فاعتزلت ، وتركت القلم الذي كانت سيدة ميدانه نثرا وشعرا .

* يعكف في حلب الدكتور محمد يحيى الهاشمي على نشر مخطوطة «مطارح الشعاع» ليعقوب بن اسحاق الكندي ، فيلسوف العرب من القرن الثالث الهجري . وتبحث المخطوطة عن ايجاد مرآة محرقة تجتمع فيها الاشعة ، وهي الفكرة التي راودت ارخميدس .

* «الاشجار تموت واقفة» عنوان الديوان الشعري الجديد للشاعر الفلسطيني معين بسيسو ، وسيصدر في بيروت قريبا .

* في سلسلة المكتبة العربية صدر «مقامات الهمداني» بمراجعة الدكتور عبد العزيز الاهواني

* صدرت مجلة باسم «ابناء النور» عن جمعية الخدمة الاجتماعية للمكفوفين في العراق ، وهي مجلة ممتازة بابحاثها واخراجها .

* صدر في بغداد لعبد الحميد العلوجي كتاب «مؤلفات ابن الجوزي» وهو يتضمن استقصاء لمؤلفه في الخزائن الشرقية والغربية وتصحيح ما نقل عنه والكتب التي تسبت اليه .

* نشرت مجلة «المكتبة العراقية» ان احدى دور النشر تقوم بطبع ديوان شعر مخطوط لم ينشر للزهاوي بعنوان «نزغات ابليس» وعقب الاستاذ انور الجندي قائلا : الواقع ان هذا الديوان صدر سنة 1963 في القاهرة ضمن الدراسة الجامعية الخصبة التي كتبها الشاعر هلال ناجي بعنوان : «الزهاوي وديوانه المفقود» .

* صدر عن مطبوعات المجمع العلمي العراقي في سلسلتها «طرائف التراث العربي الاسلامي» كتاب بعنوان «ساعات من القرن الرابع عشر في فاس» لمؤلفه الاستاذ ديريك ج. دي صولا برايس من جامعة يالي كونيتكتوط اميركا . قام بتعريفه والتعليق عليه الاستاذ عبد الهادي التازي ، سفير المغرب في العراق سابقا .

* صدر مؤخرا في مطبوعات المجمع العلمي العراقي الجزآن الاول والثاني من كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» القسم العراقي ــ تاليف عماد الدين الاصبهاني ، وكان الجزأ الاول صدر سنة 1900 من تحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري والدكتور جميل سعيد . والجزء الثاني صدر 1964 تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثري .

* من اهم الكتب التي صدرت حديثا عن معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية كتاب «خيري الهنداوي وحياته وشعره» وهو عبارة عن محاضرة القاها الدكتور يوسف عز الدين امين المجمع العلمي العراقي ، والاستاذ بجامعة بغداد على طلاب المعهد المذكور .

* صدر في العراق خلال الشهر الماضي «كتاب سيبويه» المشهور في مجلدين كبيرين ، وكان هذا الكتاب قد طبع سنة 1317 هجرية بمطبعة بولاق بالقاهرة . واعيد الان طبعه بالاوفست عن النص الاصلي الذي يحتوي هامشه على تقريرات وزبد من شرح ابي سعيد السيرافي .

* اصدر الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين كتابا يضم تراجم عدد من الادباء والشعراء الاتراك بعنوان «اعلام من الادب التركي» قد ترجم فيه

ذاكرا ان مكتبات هاشيت الفرنسية كانت تحتكر توزيع الصحف المقررة بالمدارس ووصف هذا الاحتكار بانه يشكل خطرا على الجزائر ويسهل عملية الغزو السري لابناء الجزائر .

* تبرعت الجزائر بمبلغ 15 الف دولار لمكتبة «كنيدي» التذكارية التي ستقام في امريكا .

* اصدرت دار النشر بتونس كتاب « الادب الفارسي في العصر الغزنوي » للدكتور علي الشابي. ويقع في 500 صفحة . وهو الاطروحة التي نال بها المؤلف شهادة الدكتوراة من جامعة القاهرة .

* اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا ممتازا عن شاعر تونس ابي القاسم الشابي ، بمناسبة المهرجان الذي اقيم اخيرا بالعاصمة التونسية ، تخليدا لذكراه .

* « من القيروان الى بواتي » عنوان كتاب جديد صدر بتونس للاستاذ محمد التركي الذي وضعه بالفرنسية وهو يؤرخ فيه للفتح العربي باوروبا ودعمه بوثائق نشرت لاول مرة .

* ينعقد في شهر شتمبر القادم مؤتمر باثيوبيا يتناول موضوع « الدراسات الاثيوبية » من المنتظر ان يشارك عدد كبير من المثقفين الافارقة في المؤتمر .

* اجتمع مؤخرا في اديس ابابا مؤتمر من الخبراء الافريقيين في شؤون الصحافة فناقشوا انشاء وكالة افريقية للصحافة . ثم انتخبت لجنة فرعية ، ضمت مندوبين عن الحبشة ، وغانا ، وغينيا ، والمغرب ، وكلفت باعداد تقرير مفصل في الموضوع ليعرض في الدورة القادمة على وزراء منظمة الدول الافريقية .

* اصدرت جمهورية الكونغو « برازافيل » مرسوما جمهوريا يتبنى التوصية التي اصدرها المؤتمر الدولي الثامن والعشرون لمحو الامية وتعليم الراشدين المنعقد بدعوة من اليونسكو والمكتب الدولي للتعليم في مدينة جنيف .

ويعلن هذا المرسوم الذي وقع عليه رئيس الجمهورية ان الكونغو تتخذ هذه التوصية « اساسا لجهودها في محو الامية وتعليم الراشدين . »

* منحت الدولة المصرية حق التفرغ للناقد غالي شكري لاعداد دراسة عن تطور النقد الادبي من ثورة 1919 حتى ثورة 52 .

* الشاعر المصري فاروق شوشة ، صدر له ديوان شعر بعنوان « الى مسافرة » واكثره من الشعر الحر . قال النقاد ان الديوان « صورة عميقة دقيقة المشاعر » .

* صدر بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة عباس محمود العقاد كتاب للدكتور عثمان امين بعنوان : « نظرات في فكر العقاد » .

* صودرت كتب سيد قطب في مصر . من اهم كتب سيد قطب « العدالة الاجتماعية في الاسلام » « الانظمة الاجتماعية » « الاشتراكية » .

* كتاب « ليالي الدار البيضاء » تاليف عبد الرحمن عيسى ، نال جائزة مجلس الفنون والاداب بالقاهرة في مسابقة الكتاب الوصفي . الجائزة 200 الف فرنك . وطبع الكتاب ونشره على نفقة المجلس .

* تقدم غريب محمد غريب برسالة الى كلية الاداب بجامعة القاهرة لنيل درجة الماجستر عن « بدر شاكر السياب والشعر الجديد » .

* اول بحث علمي عن العادات الغذائية وآداب الطعام عند المتصوفة المسلمين اجراه محمد عبد المنعم الاخصائي الفني في مركز البحوث تحت اشراف الدكتورين صبري رياض وعبد الرحمن بدري

* اوصى مجلس الدولة بالقاهرة بالمحافظة على مكتبة الفقيد عباس محمود العقاد وعدم التصرف فيها حتى يفصل المجلس الاعلى للفنون في مصيرها، ويتجه الفكر الى ان تحتفظ بها الدولة رغبة في الانتفاع بما فيها من تراث قيم .

* فاز الدكتور عبد العزيز السيد ، والشيخ عطية الصوالحي ، بعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* تسلم نقيب الممثلين قطعة ارض في منطقة البساتين بالقاهرة ، اهدتها الدولة الى النقابة على ان تقام فوقها مقبرة الفنانين الخاصة .

* يعد شعاع العاني رسالة الماجستير عن « المرأة في القصة العراقية ».

* « سراب » مجموعة شعرية صدرت في بغداد لعبد الحق العاملي .

* الدكتور طه الحجري المنتدب للتدريس في جامعة بغداد الف كتابا عن « الحياة الفكرية في البصرة في القرنين الاولين للهجرة » .

* يقوم المجمع العلمي العراقي بطبع اقدم مخطوطات تاريخية عن الجزيرة العربية لابي الحسن محمد بن علي . وميزة هذه المخطوطات ان المؤلف هو المؤرخ الوحيد الذي ارخ للجزيرة وهو يعيش احداثها ويقطن فيها .

* باشرت الدكتور خديجة الحديثي عميدة الطالبات بجامعة بغداد بطبع الاطروحة التي نالت بها الدكتوراه بعنوان « ابو حيان التوحيدي » .

* فقدت البلاد السعودية اديبا من كبار ادبائها البارزين بوفاة الاستاذ حامد دمنهوري . ومن اشهر مؤلفاته قصة « ومرت الايام »

* اصدر المسلمون في سنغافورة كتابا عن العقاد بالانجليزية عنوانه « الفيلسوف الاسلامي عباس محمود العقاد » الفصول الاولى عن رأي العقاد في الله ، والرسول ، والخلفاء ، والقرءان ، والاحاديث ، والمعجزات .

* « الارض والدم » قصة الكاتب الجزائري مولود فرعون ترجمت الى الروسية . وهذا الكتاب الثاني لمولود الذي ترجم الى الروسية . كان الاول « ابن الفقير » .

* «البخلاء» كتاب الجاحظ ترجم وطبع في الاتحاد السوفيتي وبيع منه 100 نسخة .

* نعت انباء الاتحاد السوفياتي العالمة السيدة كلثوم عودة فاسيلييفا واثار نبا وفاتها الاسى لدى جميع الذين عرفوها من كتاب العربية ، نظرا للجهد الكبير الذي بذلته في نقل خيرة مؤلفات التراث العربي الى اللغة الروسية . وولدت كلثوم عودة في 12 ابريل 1892 في مدينة الناصرة من اسرة عربية .

* سينعقد في موسكو المؤتمر العالمي الثاني لعلوم المحيطات ، وذلك في الفترة من 30 مايو الى 9 يونيو 1966 وتبحث فيه شتى الموضوعات المتعلقة بالمحيطات .

* الف البروفيسور كونستاتين تسريتيلي العالم اللغوي الجورجي الشهير ، كتابا حول اللغة الاثورية الحديثة تقوم اكاديمية العلوم السوفياتية بنشره ، ويحتوي هذا الكتاب على تحليل لاصول اللغة الاثورية وقواعدها ونحوها وتصاريفها ومفرداتها مع التعليق عليها ، وقد امضى البروفيسور السوفييتي 25 عاما في وضع هذا الكتاب وهو الذي الف 40 كراسا علميا نشره في الاتحاد السوفييتي وفي البلدان الاخرى .

* في باريس حصلت طالبة عربية اسمها سامية احمد اسعد على الدكتوراه من جامعة السوربون وقد كان موضوع رسالة الطالبة العربية « في الخلق المسرحي عند فيكتور هوجو » واستغرق اعداد الرسالة اربع سنوات .

* سينعقد قريبا مؤتمر عن القصة القصيرة في دول البحر الابيض المتوسط ، المؤتمر باشراف اليونسكو والمكتب الثقافي للجامعة العربية .

* اجتمعت في مقر اليونسكو بباريس لجنة من الخبراء ، قوامها سبعة من البيولوجيين البارزين . وايدت هذه اللجنة مشروعين بانشاء معهد دولي للابحاث الاساسية في علم البيولوجيا واقامة مؤسسة دولية الفرض منها تمويل عمليات التبادل الدولي وتنظيم مناهج التدريب والحلقات الدراسية ومنح الاعانات لتشجيع وتنمية الابحاث البيولوجية

* تترجم الى الفرنسية روايات نجيب محفوظ الاخيرة وهي : «اللص والكلاب » ، و « الطريق » ، و « الشحاذ » .

* اصدرت دور النشر في فرنسا في العام الماضي 13 الف كتاب من 250 مليون نسخة .

* ليلى عباس الديب تحمل ماجستير الاداب من فرنسا . وسجلت رسالة الدكتوراه في السوربون كتبت ثلاث مسرحيات بعثت بها الى سارتر فتلقت رسالة منه تقول : قرات مسرحياتك واعجبت بها . «الكاتبة استاذة اللغة الفرنسية بكلية التجارة بالقاهرة .

الاحداث الراهنة . اصدره الاستاذ خيري حماد الذي تسميه صحافة الشرق «مؤسسة الترجمة» لكثرة ما ترجم الى العربية من الكتب في مختلف الاتجاهات الفكرية .

* مأساة الانسان المعاصر في شعر عبد الوهاب البياتي » موضوع كتاب يشترك فيه ثلاثون كاتبا من اوربا والعالم العربي . ويتناول بالتحليل شعر البياتي الذي عبر فيه عن مأساة الانسان .

* لا ينتهي نجيب محفوظ من كتاب الا ليبدا كتابا آخر . انه يخصص كل ساعات بعد الظهر للكتابة فقد فرغ من روايته الجديدة «ثرثرة على النيل» وبدا رواية « آخر المطاف » .

* «همسات قلب» ديوان شعر جديد لمحمد سليم رشدان ، المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية سيصدر قريبا في منشورات دار الكتاب العربي ببيروت .

* « شعراء سورية » كتاب جديد للشاعر والاديب السوري احمد الجندي ، صدر عن دار الكتاب الجديد ببيروت .

* يصدر قريبا في منشورات عويدات كتاب «تاريخ الفلسفة الاسلامية » تاليف هنري كوربان ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي . مراجعة وتقديم الامير عارف تامر .

* صدر عن دار العلم للملايين ببيروت كتاب « غبار الايام » لتوفيق يوسف عواد ، وهو يضم منتخبات من القطع الموجزة التي اعتاد المؤلف كتابتها باسماء مستعارة منذ زمن وشق بها في ادب الصحافة نهجا جعل لها طابعا خاصا .

* «مجلة السياحة » الشهرية التي يصدرها في بيروت اديب مروة ، اصدرت عددا فخما ممتازا عن « شبه الجزيرة العربية » جاء بمثابة مرجع قيم عن دول وامارات هذا الجزء الكبير من العالم العربي .

* صدر في منشورات الندوة اللبنانية ببيروت كتاب « مصير » لخليل رامز سركس . وهو مجموعة تاملات فلسفية موحدة الموضوع حول المغامرة الكبرى التي يخوضها انسان القرن العشرين في مختلف نواحي الروحيات والزمنيات . وقدم له ميشيل اسمر مؤسس الندوة اللبنانية » .

* صدرت في بيروت مسرحية «الامير» تاليف جرجي نقولا وهي ثاني مسرحية تصدر المؤلف بعد مسرحيته الاولى « القرية المجنونة » .

* «مجامر الصخور » ديوان شعر جديد لثريا مجلس ، سيصدر قريبا في بيروت . وهو خامس ديوان لها بعد « النشيد التائه » و«قربان» و « مساجن الزمن » بالانجليزية و « ملحمة الانسان »

* ثلاث جوائز تشجيعية لوزارة التربية الوطنية في لبنان ، فاز بها فؤاد الخشن الذي احرز على جائزة الشعر على ملحمته « ادونيس وعشتروت » ميخائيل صوايا احرز على جائزة القصة على روايته «ماذا جنى» جائزة الدراسة الادبية فاز بها مناصفة الدكتور علي شلق على مؤلف « ابو النواس بين التخطي والالتزام» وعبد اللطيف شرارة على مؤلفه « مي زيادة » .

* فرغ الشاعر حافظ جميل من اعداد اصول ديوانه الجديد « اللهب المقفى » تمهيدا لتقديمه الى احدى دور النشر الكبرى في بيروت لطبعه .

* سيطلق اسم عفيف الطيبي على احد شوارع بيروت وستخصص منحة سنوية لطالب لبناني للتخصص بالصحافة في الخارج .

* اهدى رئيس الجمهورية اللبنانية وسام الارز من رتبة فارس للكاتب والمؤلف والمفكر اللبناني لبيب الرياشي تقديرا لادبه وعمله في حقل التاليف والتعليم .

* مرت في الشهر الماضي الذكرى السابعة لوفاة الاديب والشاعر اللبناني ميشيل ابو شهلا مؤسس مجلة « الجمهور » في بيروت .

* صدر في بيروت كتاب « ملائكة الجبل الاخضر » تاليف عبد الله محمد الطائي . وهو قصة الثورة العمانية في مرحلتها الاولى .

* مجلة الاداب البيروتية ستصدر عددا خاصا بالعميد طه حسين. كما اعلنت انها ستصدر عددا آخر خاصا بنجيب محفوظ ، وقبل ذلك ستصدر عددا بالشعر العربي الحديث .

لكل من محمود عبد الباقي ، وابراهيم شاسي ونامق كمال ، وتوفيق فكرت ، ومحمد عاكف وحسين جاهد ، ويحيى كمال واحمد هاشم وجاهد صدقي . وقد تحدث الاستاذ المؤلف عن حياة كل منهم وعن العناصر البارزة في ادبهم ، وارفق ذلك بنماذج من آثارهم الادبية ، وبعد الكتاب تعريف جيد للادباء العرب بادباء الاتراك الذين لم يكتب لقراء العربية ان يطلعوا على شيء من نتاجهم الفكري .

❊ اصدرت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين العدد الاول والثاني من مجلة « الكتاب » التي دابت على اصدارها متناولة مختلف الشؤون الفكرية والادبية ، وقد الحقت بالعددين الكلمات والقصائد التي القيت في حفلة تابين الشاعر المرحوم بدر السياب التي كانت الجمعية قد اقامتها بمناسبة مرور ثلاثة اشهر على وفاته .

❊ شرعت احدى دور النشر باعادة طبع كتاب « نقد وادب » للدكتور ناصر الحاني ، سفير الجمهورية العراقية في واشنطن، بعد اضافة فصول لم يسبق نشرها فيه ، وكان الكتاب قد طبع لاول مرة سنة 1946 .

❊ صدر في بغداد للدكتور محمد سلمان حسن ترجمة الجزء الاول من كتاب « الاقتصاد السياسي » تاليف لوسكار لانكمه . ويقع في ثلاث مجلدات .

❊ يقوم مصطفى علي بشرح وتحقيق ديوان الرصافي بالاضافة الى نشر قصائد لم يسبق نشرها وسيصدر الديوان قريبا في بغداد .

❊ قريبا يصدر للدكتور احمد مطلوب الاستاذ بجامعة بغداد كتاب « القزويني وشروح التلخيص» وهو الاطروحة التي نال بها الدكتوراه

❊ انتهى البروفسور ماكس مالزان رئيس البعثة الاثرية البريطانية سابقا في النمرود من تاليف كتاب ضخم يضم تجاربه الاثرية في منطقة النمرود التي اشرف على التحريات فيها عدة سنوات . وآخر مقالات الكتاب عن التحف المصنوعة من الزجاج والتي عثرت عليها البعثة في العاصمة الاشورية .

❊ صدر حديثا الجزء الثاني من كتاب « المستشرقون » تاليف الاستاذ نجيب العقيقي . وقبل شهرين كان قد صدر الجزء الاول من هذا الكتاب الذي يكون ثلاثة اجزاء كبيرة تستعرض الاستشراق والمستشرقين منذ فجر الاستشراق حتى اليوم .

❊ ضمت الى مكتبة الآثار العراقية مخطوطات مكتبة الفقيد احمد نيازي وهي مخطوطات نادرة .

❊ صدر في بغداد رواية شعرية لحسن الظريفي بعنوان « الشاعر جميل صدقي الزهاوي في بعض مجالسه في اخريات ايامه » .

❊ الباحث العراقي الدكتور جواد علي يعد الان دراسة موسعة عن نظام الجاهلية .

❊ يتوقع معهد الدراسات الاسلامية في بغداد الحصول على نسخة مصورة من كتاب « ابن ابي خيثمة » لتحقيقه ونشره . كما اعلن الدكتور صالح احمد العلي عميد المعهد ان نسخة مصورة كاملة من كتاب « انساب الاشراف » للبلاذري موجودة في المعهد .

❊ وجهت وزارة الارشاد العراقية الدعوة الى المستشرق الفرنسي بلاشير لزيارة بغداد .

❊ صدر للدكتور محسن جمال الدين مدرس الادب الاندلسي في كلية الاداب بجامعة بغداد كتاب بعنوان « العراق في الشعر العربي والمهجري » يضم الصور الشعرية والادبية التي عرضها وصورها شعراء معروفون في اقطار عربية شقيقة ، كما يستعرض الشعراء الذين نظموا قصائد عن العراق .

❊ 75 الف كتاب ومجلة تضمها المكتبة المركزية ببغداد حسب آخر احصاء .

❊ في سلسلة منشورات دار الباقر في النجف الاشرف صدر مؤخرا كتاب «من علوم الطب في الاسلام » تاليف الدكتور عارف القره . ومن موضوعاته علاقة الدين بالصحة والشعر في القرآن الكريم ، والسر في اطالة اللحية ، وقص الشارب في الاسلام ، وغير ذلك من البحوث المهمة التي تتعلق بموضوع الكتاب الذي نرجو ان ينال ما يستحقه من تقدير وانتشار .

❊ « الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري » تاليف الدكتور كامل مصطفى الشيبي ـ الاستاذ بجامعة بغداد صدر حديثا